بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : **عادل حسين محمد الرحامنة** / كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم : الدراسات العليا التاريخية والحضارية .

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : **الدكتوراه** في تخصص : **التاريخ القديم** .

عنوان الأطروحة : **" خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم - دراسة تاريخية "** .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:-
فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ : ١٠ / ٢ / ١٤٢٠ هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ....

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش	المناقش
أ.د/ أحمد محمود حسين صابون	د/ سليمان بن عبد الرحمن الذييب	د/ أمين عبد الفتاح عامر
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : .....

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

أ.د/ يوسف بن علي الثقفي

التوقيع : .....

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

٠٠٠٩٧٥
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

خروج بني إسرائيل من مصر

والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم

دراسة تاريخية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد الطالب

عادل حسين محمد الرحامنة

إشراف

الدكتور / أحمد محمود صابون

المجلد الثاني

مكة المكرمة
١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

الفصل الثاني

أولاً : شبه جزيرة سيناء سياسياً وحضارياً .

ثانياً : بنو إسرائيل في سيناء .

أولاً : شبه جزيرة سيناء سياسياً وحضارياً :

يجدر بالباحث إعطاء صورة واضحة عن شبه جزيرة سيناء لاسيما وأن بني إسرائيل قضوا فيها أربعين عاماً بأمر الله عز وجل ، بعد حُكمه عليهم بالتيه ، جزاءً وفاقاً لعصيانهم أمر الله عز وجل ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام .

أصل الكلمة " سيناء " :

وردت هذه الكلمة في التوراة مرتبطة بـ" برية سيناء " ، و " جبل سيناء " ٣٥ مرة ، وفي ١٧ مرة تُسمى " حوريب "[١] .

ووردت الإشارة إلى سيناء في القرآن الكريم في معرض الحديث عن جبل الطور ١٠ مرات[٢] ، في مواضع مختلفة من السور القرآنية الكريمة[٣] .

وقد ذكر ياقوت الحموي عن سيناء قوله :

« سَينَا : بكسر أوله ويُفتح ، فيُقال طور سيناء ، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ، ونودي فيه . قال شيخنا أبو البقاء : هو اسم جبل معروف ، فإذا فُتحت السين كانت همزته للتأنيث البتة ، لبُطلان كونها للإلحاق والتكثير؛ لأن فعلالاً لم يأتِ في غير المضاعف كالزلزال ، ويجوز كسر السين ، فعلى هذا تكون الياء فيه زائدة ويكون على فيعال مثل ديباج وديماس ، وقد تكون الياء أصلية ، ويكون كعلياء ونصب حينئذٍ كعلياء في كون الهمزة للإلحاق ، فإن قلت فلِمَ لم ينصرف ؟

---

(١) بطرس عبد الملك ، جون الكساندر طمسن ، إبراهيم مطر ، وآخرون : قاموس الكتاب المقدس ، الطبعة الثانية ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٩٨ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، المكتبة الإسلامية ، اسطمبول ، ١٩٨٤ م ، ص ٤٢٩ .

(٣) انظر :
سورة البقرة ، الآيتان (٦٣ ، ٩٣) .
سورة النساء ، الآية (١٥٤) .
سورة مريم ، الآية (٥٢) .
سورة طه ، الآية (٨٠) .
سورة المؤمنون ، الآية (٢٠) .
سورة القصص ، الآيتان (٢٩ ، ٤٦) .
سورة الطور ، الآية (١) .
سورة التين ، الآية (٢) .

قلت : لاجتماع التعريف والتأنيث لأنها اسم بُقعة »[١] .

وذهب البعض[٢] ، إلى أن معنى كلمة سيناء هو الحجر ، وأنها وردت في التوراة باسم حوريب أي الخراب ، بحيث يدل اسم حوريب على البلاد جملةً ، واسم سيناء على أشهر جبلٍ فيها .

ولم يكن في النصوص المصرية القديمة اسم سيناء معروفاً بهذا اللفظ ، فقد ذهب بعض المؤرخين[٣] ، إلى أنه أُطلق على هذه المنطقة في الآثار المصرية القديمة اسم "توشويت" أي الأرض القاحلة ، أو أرض الجدب والعراء . وأحياناً اكتفوا بتسميتها بـ" ساحة الفيروز " أو " بيت سينفرن " ، وأحياناً أخرى أُشير إليها في نصوص الأسرة الحادية عشرة (٢١٣٣ - ١٩٩١ ق.م) باسم " طنجهت " و " بياونت " .

ويذهب آخرون[٤] ، إلى أنه لعل في اسم شبه جزيرة سيناء ما يشير إلى اتصالها ببعض الشعوب السامية الشرقية ؛ لأن اسمها متصل باسم معبود القمر " سين " معبود الساميين ، إذ عُرف هذا المعبود بهذا الاسم في بلاد الرافدين ، وجنوب غربي شبه الجزيرة العربية .

جغرافية شبه جزيرة سيناء :

تقع شبه جزيرة سيناء بين ذراعي البحر الأحمر ، وهي تُعتبر جيولوجياً كتلة قديمة ارتفعت بين منطقتين اخدوديتين ، هما خليج السويس غرباً ، وخليج العقبة شرقاً . وشبه جزيرة سيناء مثلثة الشكل تقريباً ، تمتد قاعدتها على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط من بور فؤاد غرباً إلى رفح شرقاً بطول حوالي ٢٠٠ كيلاً . ورأس هذا المثلث عند منطقة رأس محمد في أقصى الجنوب ، ويبعد عن ساحل البحر الأبيض المتوسط حوالي ٣٩٠ كيلاً.

---

(١) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٠٠ .

(٢) إبراهيم أمين غالي : سيناء المصرية عبر التاريخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٣ وكذا نعوم بك شقير : تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ١٠ .

(٣) إبراهيم أمين غالي : المرجع السابق ، ص ١٣ - ص ١٤ وكذا

نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ١٠ ، ص ٢٢ ، ص ٤٢٦ .

(٤) عبده مباشر ، وإسلام توفيق : سيناء الموقع والتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ م ، ص ١٦٥ وكذا

Bernstein , B . , Sinai the Great and Terrible Wilderness , First Published , The Viking Press , New York , 1979 , P . 6 .

ويحد شبه جزيرة سيناء غرباً خليج السويس وقناة السويس ، ويبلغ طول هذا الحد الغربي حوالي ٥١٠ أكيال ، ويحدها شرقاً الساحل الغربي لخليج العقبة ، ويبلغ طول هذا الحد حوالي ٢٤٠ كيلاً ، ثم الخط الوهمي للحدود السياسية بين سيناء وفلسطين الذي يمتد من طابا على خليج العقبة حتى رفح على ساحل البحر الأبيض المتوسط بطول حوالي ٢١٥ كيلاً . وتبلغ مساحة شبه جزيرة سيناء ٦١٠٠٠ كيلاً مربعاً ، أي أن مساحتها تعادل مساحة الدلتا ثلاث مرات تقريباً[١] .

وفي شبه جزيرة سيناء قمم جبال بركانية عالية ، أهمها :

جبل سانت كاترين الذي يبلغ ارتفاعه ٢٦٣٩ متراً ، وجبل الثبت الذي يبلغ ارتفاعه ٢٤٣٩ متراً ، وجبل أم شومر الذي يبلغ ارتفاعه ٢٥٨٦ متراً .

وإلى الشمال من هذه القمم البركانية توجد هضبة التيه التي تنحدر شمالاً وتكوّن ثلثي مساحة شبه الجزيرة ، ويبلغ متوسط ارتفاعها ألف متر . ويقطع هضبة التيه وادي العريش وروافده المختلفة ، شاقاً طريقه نحو البحر الأبيض المتوسط حيث ينتهي بالقرب من مدينة العريش[٢] .

وطول وادي العريش ٢٤٠ كيلاً ، أما عرضه فحوالي خمسين متراً ، وله رأسان : " وادي المغارة " وينشأ من نقب ورصاء ، و " وادي جنيف " وينشأ من " حصى المُرَوكِبة " شرقي ورصاء ، ويلتقيان قُبيل جبل ظلّيل في موقع يُدعى عرقوب الراهب[٣] .

---

(١) أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٥ وكذا

عبده مباشر ، وإسلام توفيق : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ص ٦١ وكذا

نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ، ص ٥ وكذا

Bernstein , B . , Op . Cit . , P . P . 1 , 3 - 4 .

(٣) إبراهيم أمين غالي : المرجع السابق ، ص ٢٣ وكذا

نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

وتنقسم شبه جزيرة سيناء إلى ثلاثة أقسام طبيعية :

١ – القسم الشمالي : منطقة العريش .

وهو قاعدة المثلث من شبه الجزيرة ، التي تمتد على ساحل البحر المتوسط من بور سعيد إلى العريش ورفح . والشائع إطلاق اسم " الصحراء " على هذا القسم والقسم الأوسط من شبه جزيرة سيناء ، ولكن هذا الوصف لا يصح تعميمه ، لأن هذا القسم ، الشمالي على الأقل – مع كونه سهولاً رملية كثيرة الكثبان – لا يخلو أبداً من مياه الأمطار ، مما يكفل وجود الآبار على مسافات متقاربة نسبياً . وتُؤثَر اليوم تسمية الاقليم الشمالي من شبه جزيرة سيناء باسم أكبر الأودية فيه وهو وادي العريش الذي يتميز بسهولهِ المتسعة من الرمال التي تتخللها بقاع صالحة للزراعة تبلغ مساحتها تقريباً ثمانية آلاف كيلاً مربعاً ، وحدّها الطبيعي من الجنوب الفاصل بينها وبين بلاد التيه جبل المغارة[١]. وتسمى معظم بلاد العريش في المصادر الإسلامية باسم الجفار[٢]، لكثرتها فيها.

وهذا الاقليم الصحراوي المحاذي للبحر ، يُعد طريقه الساحلي الذي تكثر فيه الآبار " باب مصر الشرقي " منذ القدم . فمن هذا الباب ، خرجت بعوث مصر المتجهة نحو غرب آسيا تارة في مهامها التجارية ، وأخرى في زحوفها الحربية لتأديب أعدائها وتأمين حدودها . ومن هذا الباب كذلك سلك الوافدين على مصر ، تارةً من أهل السلام المتطلعين إلى العيش في ظل خيراتها ، وتبادل التجارة معها ، وتارات من أهل الحرب المغيرين ، الطامعين في غزو مصر مثل : الهكسوس ، والحثيين ، والآشوريين ، والفرس ، وغيرهم[٣] .

---

(١) عبد الرحمن صدقي : " لمحة من فجر التاريخ عن سيناء ورسالة مصر الحضارية " ، مجلة الهلال ، العدد السادس . السنة التاسعة والسبعون ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ٥٤ وكذا

أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ، ص ٦ – ص ٧ وكذا

نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٢) الجِفَارُ : بالكسر ، وهو جمع جَفْر ، وهي البئر القريبة القعر ، الواسعة ، وربما لم تُطْوَ . وذكر ياقوت الحموي : أنها أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر ، أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبي متصلة برمال تيه بني إسرائيل ، وسميت الجفار لكثرة الجفار بأرضها ، ولا شُرب لسكانها إلا منها . انظر :

محمد بن الحسن بن دُريد : الإشتقاق ، ج ٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ٣٢٧ وكذا

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ .

(٣) عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٥٥ وكذا

محمود عبد الحميد أحمد : الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر . الطبعة الأولى ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ م ، ص ٦٢ هامش (٦) ، ص ١٥٦ .

٢ – القسم الأوسط : صحراء التيه .

لما كان القطاع الشمالي الساحلي ترتفع أرضه تدريجياً في اتجاه الجنوب كلما ابتعد عن البحر ، فإنه لا يلبث أن يتحول إلى هضبة من الحجر الجيري يصل ارتفاعها فوق مستوى البحر من ٥٠٠ إلى نحو ٢٥٠٠ قدم . وهذا القسم الأوسط من شبه جزيرة سيناء يُطلق عليه صحراء التيه ، أو برية التيه[١] .

وصحراء التيه أو برية التيه ، عبارة عن سهل عظيم مُقفر ، جامد التربة ، يتخلله بعض الجبال ، وتغطيه طبقة رقيقة من فتات الصوان ، مساحته حوالي ١٦٠٠٠ كيلاً مربعاً ، ويخترقه من الجنوب إلى الشمال وادي العريش وفروعه ، وفي وسطه بلدة نخل الشهيرة . ويفصل صحراء التيه عن جنوب شبه الجزيرة سلسلة عظيمة من الجبال تُعرف بـ" جبال التيه " تمتد من اتجاه السويس إلى اتجاه العقبة في شكل قوس عظيمة تحدبها إلى الجنوب[٢] .

وهذه الجبال تقسم إلى ثلاثة مجاميع كبيرة ، هي :

جبال الراحة ، في طرفها الغربي ، وهي تطل على رأس خليج السويس ، وبينهما سهل رملي متوسط عرضه نحو ١٦ كيلاً . وجبال خشم الطرف ، في طرفها الشرقي ، تطل على خليج العقبة ، ويُقال لها " طرف الركن " ومنها فرع يدعى جبل الطباقة . وجبال العُجمة ، في وسطها عند تحديب قوسها ، ومنها فرع يمتد إلى داخل التيه يُدعى " شُوَيشة العجمة "[٣] .

٣ – القسم الجنوبي : منطقة الطور .

في آخر هضبة برية التيه الصحراوية المنبسطة الجيرية ، تظهر مرتفعات من صخور رملية تسمى " دبة الرملة " ، وهي بمثابة الطلائع للقسم الجنوبي من سيناء ، بجباله الصخرية العالية الوعرة . ويُعرف هذا القسم باسم منطقة الطور ، أو طور سيناء من قبيل

---

(١) عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) إبراهيم أمين غالي : المرجع السابق ، ص ٢٥ وكذا
أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ، ص ٧ – ص ٨ وكذا
نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٦ – ص ٣٧ .

إطلاق اسم البعض - وهو جبل الطور - على الكل . وهذه الجبال قلما تُشبهها غيرها ، لا في كونها شاهقة وعرة ، بل لأنها - فوق ذلك - متجمعة بلا نظام ولا ترتيب ، على نحوٍ من الفوضى رهيب ، يجعلها تبدو متراكمة، على ارتفاع يتراوح بين ٨٠٠٠ - ٩٠٠٠ قدم فوق مستوى البحر الأحمر[١] .

وهذه الجبال العالية مُعرضة لهطول الأمطار ، وتتكون الصخور فيها من مواد نارية ومتبلورة تحتفظ بالرطوبة ، مما يساعد على نمو الأعشاب . لذلك كان هذا القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء صالحاً لتوسع بعض الرعاة من منطقة مدين في شمال الجزيرة العربية ، على خلاف القسم الشمالي لشبه جزيرة سيناء الذي تغطي جانباً منه كثبان الرمال ، ووجود بعض الآبار بين تلك الكثبان[٢] .

وهذه السلاسل المتصلة من جبال طور سيناء تنحدر سفوحها ناحية البحر في جانبي شبه الجزيرة ، فينشأ مما ينهمر على سفوحها من الأمطار بعض الأودية يتجه مصبها إلى أحد الخليجين . وحيث يكون الماء ، يقوم بعض النخيل والشجر الصحراوي ، وأشهر هذه الأودية على خليج السويس " وادي فيران " الذي تُعد واحته في سيناء أخصب الواحات . بيد أن مثل هذا الوادي النزه وما دونه من الأودية الصغرى ، لم يكن من طبيعة شأنها أن تُغير من التسمية المصرية القديمة لها في آثارهم باسم " توشويت " التي تعني - كما مر سابقاً - أرض الجدب ، حيث كانت طبيعة أرضها وقتذاك[٣] .

ومن أهم الجبال التي لها شهرتها التاريخية والدينية المنتشرة في هذه المنطقة الجبلية جبل موسى ، وجبل المناجاة ، وجبل الصفصافة ، وجبل سانت كاترين ، وجبل سربال ، وجبل أم شومر ، وجبل ثمان ، وجبل مدسوس ، وجبل صحرا ، وجبل العاط الشرقي ، وجبل العاط الغربي ، وجبل خشبة ، وجبل الناقوس ، وجبل حمّام فرعون ، وجبل ثال ، وجبل المغارة ، وجبل سرابيت الخادم[٤] .

---

(١) عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) سليمان حُزين : " سكان مصر ودراسة تاريخهم الجنسي " ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني ، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، مايو وأكتوبر ١٩٤٨ م ، ص ١٦ .

(٣) عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٤) عبده مباشر ، وإسلام توفيق : المرجع السابق ، ص ٥٨ - ص ٥٩ .

وتبلغ مساحة هذا القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء نحو ١٦٠٠٠ كيلاً مربعاً ، وفيه بعض السهول الضخمة ، وهي من الشمال ، حسب تقسيم بعض المؤرخين[١] :

سهل الراحة : بين جبال الراحة وخليج السويس ، ويمتد من شاطيء السويس إلى جبل حمّام فرعون ، عند ميناء ملعب مسافة نحو ٩٥ كيلاً .

سهل المرخاء : يبدأ من ميناء أبو رديس ويمتد جنوباً نحو ٢٣ كيلاً إلى مصب فيران.

سهل القاع : يبدأ حيث ينتهي سهل المرخاء ، ويمتد جنوباً إلى رأس محمد مسافة ١٤٢ كيلاً تقريباً ، وعرضه عند مدينة الطور نحو ٢٢ كيلاً ، ولكنه من مصب فيران إلى مدينة الطور يتقهقر نحو البر ، فيفصل بينه وبين البحر جبال مستطيلة قليلة الارتفاع ، أشهرها جبل حمام موسى وجبل الناقوس .

سهل الرملة : وهو يقع في الشمال الغربي من بلاد الطور مما يلي جبال التيه .

ومما هو جدير بالذكر ، أنه بالإضافة إلى الأقسام الثلاثة آنفة الذكر ، فإن شبه جزيرة سيناء كانت تضم إليها وتدخل في حدود مصر خلال تاريخها الطويل مناطق أخرى، مثل : النجب ، وهي المنطقة التي تشغل نصف فلسطين الجنوبي حسب الاصطلاح السياسي الحديث ، والتي تبدو على شكل مثلث قاعدته تمتد من الشمال من البحر الميت إلى البحر المتوسط على خط عرض حبرون (الخليل) إلى غزة تقريباً . ويقع ضلعاه الآخران على خط الحدود الفلسطينية الأردنية من الشرق ، والفلسطينية المصرية من الغرب ، ويكاد يلتقي هذان الضلعان عند خليج العقبة[٢] .

ولم تقتصر المناطق التي تنضم إلى شبه جزيرة سيناء على منطقة النجب فحسب ، بل تشمل المنطقة التي تمتد شرقاً عبر منخفض العربة إلى شمال شبه جزيرة العرب ، بل كانت طبيعة الاقليم تمتد غرباً حتى أرض جوشن ، وهي وادي طميلات في محافظة الشرقية في الوقت الحاضر . هذا بالإضافة إلى اقليم منطقة خليج العقبة[٣] .

---

(١) إبراهيم أمين غالي : المرجع السابق ، ص ٢٧ وكذا
نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٢٢ – ص ٢٣ .

(٢) أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ، ص ٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٩ .

أهمية شبه جزيرة سيناء :

إن شبه جزيرة سيناء لم تكن مجرد صحراء مصرية ؛ وإنما كانت بحق بوابة مصر التاريخية ، امتدت عبرها علاقات مصر الخارجية ، سواء كانت سياسية أو حضارية ، إلى شبه الجزيرة العربية ، وسوريا ، وبلاد الرافدين ، وغيرها من أقطار العالم القديم . وقد عبر عن هذا الدور الخطير لشبه جزيرة سيناء أحد المؤرخين[١] بقوله :

« شبه جزيرة طور سيناء بلغة الشاعر قنطرة النيل إلى الأردن والفرات ، وبلغة الناثر الوُصْلة البرية بين افريقيا وآسيا ، وبعبارة أخص هي تلك البادية الشهيرة التي تصل القُطْر المصري نفسه بقطري سوريا والحجاز » .

لذلك كان لشبه هذه الجزيرة في تاريخ مصر القديمة آثار خطيرة ؛ فلا يكاد عصر من عصوره يخلو منها ، فموقعها الجغرافي خطير جعلها بمثابة حلقة الوصل بين أكثر بلاد الشرق القديم في حوض البحر المتوسط ، وتزداد قيمتها أو تقل تبعاً لحاجة كل قُطْر إليها ، أو علاقته بها . فكانت معبراً للإغارة على مصر ، حتى اضطر ملوك وفراعنة مصر القديمة إلى شن الحملات العسكرية لتأديب البدو المغيرين ، ولتأمين عمال المناجم فيها[٢] . فضلاً عن كونها الطريق إلى غربي آسيا وإلى فلسطين وسوريا .

وكما يقول أحد المؤرخين[٣] : فإن شبه جزيرة سيناء " كانت تُمثل الدرع التي استمسكت مصر بها ، حرصاً على كيانها ، وضماناً لوقايتها شر الغزوات " .

ولا يستطيع أثري أو مؤرخ أن يُحدد تاريخاً دقيقاً لبدء الاتصال بين سكان مصر وجيرانها في سوريا ، إذ أن صحراء شبه جزيرة سيناء لم تكن في يوم من الأيام عقبة أو حائلاً يمنع السفر أو الانتقال ، خصوصاً وأن سكانها من البدو كانوا دائماً فروعاً من القبائل المتجولة في منطقة شمالي الجزيرة العربية والأردن وجنوبي فلسطين . فكان أولئك السكان من البدو يُغيرون على البعثات المصرية التي تذهب لتعدين النحاس وغيره من

---

(١) نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) عبده ماشو ، وإسلام توفيق . المرجع السابق . ص ١٦٥ ، ص ١٦٦ .

(٣) سليمان حُزّين وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعوني ، المجلد الأول - البيئة والإنسان والحضارة في وادي النيل الأدنى . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٦٢ م ، ص ٢٤ .

خامات المعادن ، أو حجر الفيروز ، فلهذا ورد في النصوص المصرية القديمة ما يشير إلى الحملات المصرية التأديبية على البدو القاطنين هناك ، وخاصة تلك النقوش التي عُثر عليها في وادي مغارة ، والتي تُبين بعض ملوك الدولة القديمة أمثال زوسر وسنفرو وخوفو وغيرهم وهم يؤدّبون بدو تلك المنطقة[1] .

وتوجد مناجم النحاس في الجبال الواقعة على الجانب الغربي لشبه جزيرة سيناء ، وخاصة في وادي نصب ، ووادي مغارة ، وبالقرب من سرابيت الخادم . وكان أهم هذه المناجم منجم وادي مغارة ، ولا تزال على أحد التلال في وسط هذا الوادي أكواخ العمال من الحجر ، وحصن صغير لحماية المصريين الذين كانو يقيمون هناك من غارات بدو سيناء ، الذين كانوا يشكلون خطراً على عمال المناجم المصريين المنقطعين عن الاتصال بمصر . ومن ناحية أخرى خلت المنطقة من الخطر الآخر الذي كان يُهدد التعدين في جهات أخرى ، ألا وهو ندرة الماء ، فقد كان الماء قريباً من تلك المناجم ، وكانت الأحواض على الجبل تُغذيها الأمطار كل سنة بما فيه الكفاية ، مما كفل للعمال والجنود أداء الشعائر الدينية ؛ إذ كانت تُعبد هناك ، إلى جانب معبودات أخرى ، المعبودة " حاتحور سيدة بلاد الدهنج " التي كانت في اعتقادهم المعبودة الحامية لسائر مناجم سيناء ، وإذا كان ليس هناك ما يُثبت قيام معبد لها في وادي مغارة ، فإنه يبدو مع ذلك أنه كانت تؤدى في هذا الوادي العبادة بطقوسها الخاصة ، وذلك لأن " ني وسر رع " (ست إيب تاوي) سادس ملوك الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق.م) أهدى أحد المعبودات هناك إناءً ثميناً[2] .

---

(١) عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٥٨ وكذ

أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص ٦١ وكذ

عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الأصول المصرية القديمة لبعض مظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثاني الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، ص ٣٥٣ .

(٢) أدولف إرمان ، وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ، وفخري خمدي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م ، ص ٥٣٩ وكذ

Bernstein , B , Op Cit , P 7

وقد ظل العمل في منجم وادي مغارة في حركة دائبة طوال عصر الدولة القديمة ؛ إلا أنه يبدو أن العمل توقف فيها بعد مدة طويلة ، ولم يُستأنف إلا في أواخر عصر الأسرة الثانية عشرة وخاصة في عهد امنمحات الثالث (١٨٤٢ - ١٧٩٧ ق.م) حيث أعاد العمل من جديد في هذا المنجم بنشاط كبير . وتوصل العمل أيضاً في هذا المنجم في عصر الدولة الحديثة[١] .

أما العمل في مناجم سرابيت الخادم فقد بدأ في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وصارت منذ ذلك الوقت مركزاً لمنطقة المناجم كلها ، فقد أقام امنمحات الثالث معبداً صغيراً للمعبودة حاتحور ، وزاد فيه فراعنة الدولة الحديثة وخاصة تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) . ويبدو أن هذه المناجم قد اهتم بها حكام الدولة الحديثة ، ولا أدل على ذلك من كثرة النقوش التذكارية التي وجدت هناك ، حيث نقشها رؤساء البعوث ، تخليداً لوفودهم على هذه البلاد النائية ، خاصة في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) ، حيث وُجدت كثير من النقوش في هذه المنطقة تعود إلى عهده[٢] .

وهكذا ، يبدو واضحاً أن الاهتمام المصري بمناجم سيناء - مع تفاوته وبالرغم من الظروف التي أدت أحياناً إلى توقفه - قد استمر أكثر من ٢٥ قرناً ، منذ الأسرة الأولى حتى الأسرة العشرين (١١٨٤ - ١٠٨٧ ق.م) . وقد ازدهرت هذه المناجم خاصة في عهد سيتي الأول (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) وابنه رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) ، وخاصة في سرابيت الخادم حيث بلغ انتاج المناجم كلها في عهدهما الحد

---

(١) أدولف إرمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ، ص ٥٣٩ - ص ٥٤٠ وكذ

Wilson , J A., "Egyptian Historical Texts - The Egyptian Mines in Sinai ", ANET, P 229 - 230

(٢) سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء السادس ، عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ص ٣٩٨ ص ٤٠٠ وكذ

أدولف إرمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ، ص ٥٤٠ وكذ

Faulkner , R O , " Egypt From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III " , CAH , Vol II , Part 2 , P P 217 , 224 , 231 , 235 , 237

الأقصى الذي كان لا زيادة بعده لمستزيد ، سيان في ذلك المحاجر أو مناجم النحاس ، ومناجم الفيروز[١] لما ها من أهمية بالغة[٢] .

وبالإضافة إلى اهتمام الفراعنة المصريين في العصور القديمة بشبه جزيرة سيناء وما تحويه من معادن وأحجار كريمة ، فإن هذه المنطقة أيضاً لعبت دوراً فعالاً في النواحي الفكرية والحضارية .

لقد كان لشبه جزيرة سيناء أثر ديني في حياة الشرق القديم ؛ ففيها قدّس المصريون القدماء معبودتهم حاتحور ، وجعلوها ربة للمناجم التي استغلوها فيها . وعن طريق شبه الجزيرة أخذت المعبودات المصرية القديمة طريقها إلى بلاد الشرق القديم ، فانتشرت عبادة آمون على ساحل فينيقية منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة ، ومن قبل اتصلت عبادة أوزوريس بوادي الأرز في فينيقية أيضاً ، واتصلت الحياة الدينية وطقوس الجنازة عند المصريين أيضاً بمحصولات فينيقية . وعن طريق شبه جزيرة سيناء عرفت المعبودات السامية طريقها إلى مصر مثل : المعبود " بعل " في ركاب الهكسوس ، ودخل بعضها عن طريق أسرى الحرب الكنعانيين مثل معبودهم " حورون " الذي كان يُعبد على هيئة الصقر . وعبر شبه جزيرة سيناء أيضاً أدخل بعض فراعنة الأسرة الثامنة عشرة بعض أرباب الحرب والقوة مثل : " عشتارة " و " رشب " ، حتى صار لها مكانة رفيعة في المعابد المصرية[٣] .

---

(١) الفيروز : حجر كريم . كان الأقدمون يستخدمون مسحوقه كمادة تويس واسمه في اللغة المصرية القديمة " مفاكت Mefaket " ، واسمه الحديث باللغات الأجنبية Turquoise أي الحجر التركي نسبة إلى أحد مصادره في الشرق ويوجد الفيروز عروقاً في صخر من نوع الحجر الرملي . ولون الفيروز المثالي أزرق سماوي . وعُرف الفيروز الأزرق الضارب إلى الخضرة في مصر القديمة . وكان مصدره الوحيد وادي المغارة وسرابيت الخادم في شبه جزيرة سيناء ، واستخدمه المصريون القدماء في ترصيع المصوغات وصنع الخرز والتمائم .

والفيروز يتأثر بالهواء ، وخاصة عند الانتقال من موضع جاف إلى آخر رطب ، أو إلى درجة حرارة أعلى منها .

عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٦١ - ص ٦٢ وكذا .

محمد كمال صدقي : معجم المصطلحات الأثرية ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، ص ٣٨٩ وكذا

Bernstein , B , Op Cit , P. P 6 , 7 , 166 - 167 , 170

(٢) عبد الرحمن صدقي : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٣) عبد الناصر ، وإسلام توفيق : المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ .

وعلى أي حال ، فقد كان لشبه جزيرة سيناء دور هام ، على مر العصور ، في التبادل الحضاري بين مصر ودول الشرق الأدنى القديم . وكمثال على هذا التبادل الحضاري الهام ما عُثر عليه من كتابات غير مصرية ، بالقرب من مناجم الفيروز ، وعلى بعض الأعمدة في معبد سرابيت الخادم .

ففي عام ١٩٠٥ م اكتشف فلندرزبتري ، في أثناء حفره في معبد سرابيت الخادم ، اثني عشر نقشاً أو قطعة أثرية عليها كتابات أبجدية ، حروفها تتشابه مع الكتابة المصرية القديمة ، رغم أن بعضها لا يشبهها . وحدثت محاولات كثيرة لفك رموزها ، وأطلق عليها علماء الدراسات اللغوية اسم الكتابة السينائية أو الكتابة البروتوسينائية ، وأدركوا الصلة بينها وبين بعض ما كان معروفاً من الكتابات الفينيقية . وليس مهماً الآن سرد المحاولات الكثيرة لفك رموزها ، ولكن يكفي القول أنه في يناير ١٩٤٨ م ذهب البرايت إلى سيناء مع البعثة الافريقية لجامعة كاليفورنيا كمستشار أثري لها ، وكان قد نشر بحثاً عن النقوش السينائية عام ١٩٣٥ م ، فانتهز فرصة وجوده في سيناء ، فراجع جميع لنقوش على أصولها ، وتوصل إلى أن هذه الكتابات البروتوسينائية ليست إلا أبجدية كنعانية دارجة ، تعود إلى الفترة ما بين ١٥٠٠ ق.م – ١٤٠٠ ق.م ، وأن الذين استخدموها هم بعض العمال أو الأسرى السوريين الذين كانوا يعملون مع المصريين في تلك المناجم ، أو أنهم طبقة من السكان السماميين الذين كانوا يعيشون في شمال شرقي الدلتا ، وأنهم كانوا ساميين من الشمال الغربي ، أو بعبارة أدق من ذلك الفرع السامي الذي كان يسكن في سوريا على مقربة من الشاطيء[1] .

---

(١) إبراهيم أمين عالي : المرجع السابق ، ص ٧٠ وكذ
أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ، ص ١٦ وكذا
عبده ماشر ، وسلام توفيق : المرجع السابق ، ص ١٨١ وكذا
أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١١٧ وكذا
Finegan , J . , Light from the Ancient Past , The Archeological Background of Judaism and Christianity , Princeton University Press , Princeton , New Jersey , 1969 , P P . 148 - 149 , 162 - 163 .
Bernstein , B . , Op Cit , P P 9 166 - 169

وبناءً على ذلك ، فقد ذهب بعض المؤرخين[١] إلى أن السكان الأصليين الذين كانوا يستوطنون شبه جزيرة سيناء منذ بدء التاريخ كانوا من أصول سامية ، وكانوا يتكلمون لغةً غير اللغة التي يتكلمها المصريون ، وقد عُرفوا على الآثار المصرية القديمة باسم " هيروشاتيو " أي أسياد الرمال ، أو ساكني الرمال ، وعُرف سكان القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء خاصة باسم " مونيتو " ، وعُرفوا في التوراة عند مرور بني إسرائيل في شبه الجزيرة باسم العمالقة .

ويذهب بعض المؤرخين[٢] أيضاً إلى أنه طوال التاريخ المصري القديم كان المصريون يُطلقون أسماء عامة على سكان المناطق الواقعة إلى شرق مصر وشمالها الشرقي مثل : عامو ستيو ، شاسو ، منتيو ، ايونتيو ، وغيرها . وأكثر هذه الأسماء شيوعاً في النصوص المصرية القديمة هي كلمة عامو ، ولعلها قريبة من كلمة عم العربية . وكانت كلمة عامو تُطلق على سكان الصحراء الشرقية ، وسيناء ، وسوريا ، وفلسطين ، وشمال الجزيرة العربية ، أي على ما يمكن تسميته بالعناصر البشرية السامية .

ويتجه رأي بعض المؤرخين[٣] إلى أن أقدم كتابة لكلمة " عامو " تعود إلى عصر الدولة القديمة في مصر حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م ، وأنه كثيراً ما جاءت بعد هذه الكلمة

---

(١) إبراهيم أمين عالي : المرجع السابق ، ص ٤٣ ، ص ٤٤ ، ص ٦٧ وكذا
عبده ماشر ، وسلام توفيق : المرجع السابق ، ص ١٧ وكذا
يعوم بث شقير . المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ص ٤٢٦ وكذا
Wilson , J A , " Egyptian Historical Texts - Asiatic Campaigns Under Pepi I " , ANET , P 227 note 3 ,
Bernstein , B , Op Cit , P P 6 , 8

(٢) بهور ليب . نخات من الدراسات المصرية القديمة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م ، ص ٤٢ وكذا
عبد المنعم عبد الحليم سيد . " الجزيرة العربية ومدلقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول - مصادر تاريخ الجزيرة العربية - الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ص ٣٩

(٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد : المرجع السابق ، ص ٣٩ وكذا
محمد عبد القادر محمد : " العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة . مصادر ودراسات " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول - مصادر تاريخ الجزيرة العربية - الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ص ٩ ، ص ٢١ وكذا
عبد العزيز صالح : " شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة " ، بحث عام منكور ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول ، وزارة الاعلام ، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٠٤ .

جملة وصفية هي : " حريو – شع " بمعنى سكان الرمال ، أو " جريوشع " أي القائمون على الرمال ، و " نميوشع " أي جوالوا الرمال ، كما ورد من مُخصِّص كلمة عامو الدال على جماعة من الناس . ثم ظهرت الكلمة " عامو " بعد ذلك بمخصص يدل على المكان بشكل أكثر دلالة عندما كُتبت : " تا – عامو " بمعنى أرض أو بلاد الآسيويين ، والتي أطلقت على المناطق الواقعة شمال شرقي مصر ، والتي تشمل سوريا ، وفلسطين ، وسيناء ، وبلاد العرب .

إلا أن جون ولسون[1] يعتقد أن كلمة " منتيو إن ستت Mentu in Setet " ، هي أقدم تسمية أو دلالة مصرية على جيران مصر المتاخمين لها في المناطق الشمالية الشرقية للحدود المصرية .

أما " ستيو " فتعني القوّاسة أو البدو ، و " شاسو " تعني النّهّابون ، أو الشاردون ، أو الرعاة . و " منتيو " أو " منتو " أي البدائيون . وكل هذه التسميات تُعبّر عن صفات البداوة ، والنفور ، والشرود ، وقلة الاستقرار. إلا أن المصادر المصرية أدرجت بعض هؤلاء وهؤلاء مع أمثالهم من الطوائف قريبة الصلة بهم في تسمية عامو ، وهي تسمية ترددت منذ أواسط الألف الثالث ق.م (٢٥٠٠ق.م)، ويمكن القول أنها تعني القبليين ، بما يحمله هذا المعنى ، من وجهة النظر المصرية القديمة ، عن طبيعة التكوين القبلي الاجتماعي ، القائم على رابطة الدم والمصلحة الخاصة لمجموعة محدودة من الناس . ولهذ المدلول ما يمثله في سياق النصوص الآرامية ، والعبرية ، والعربية ، والسريانية ، والنبطية القديمة من حيث التعبير بألفاظ عام ، وعمي ، وعامّة عن الجهالة إزاء العلم ، وعن العامة والعمومية ضد الخاصة والخصوصية ، لاسيما في حالات المقابلة مع أهل المدنية والثقافة المستقرة حتى في البلد الواحد . لذلك لم ير المصريون في جحافل الهكسوس التي هاجمت مصر في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد أكثر من " عامو " أي عوام همجيين قبليين ، على الرغم من إمكاناتهم العسكرية[2] .

---

(١) Wilson , J . A . , " Egyptian Rituals and Incantations - The Execration of Asiatic Princes ", ANET , P 328 note 14

(٢) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٣٠٤

هذه بعض الملامح الرئيسة لشبه جزيرة سيناء ، آثرت أن تكون مدخلاً للحديث عن بني إسرائيل فيها ، بعد خروجهم من مصر بقيادة الرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام ، وما ارتبط بهم من أحداث في هذه المنطقة .

ثانياً : بنو إسرائيل في سيناء .

عندما نجى ا لله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من بني إسرائيل ، انتهت علاقتهم بمصر زمن الرسول الكريم موسى عليه السلام ، وبدأت مرحلة جديدة من تاريخهم .

وبدخولهم تلك المرحلة الجديدة يجدر بالباحث الإشارة إلى مدة إقامتهم في مصر بعد أن خرجوا منها .

هناك آراء مختلفة في تحديد المدة الزمنية التي أقاموها في مصر منذ دخولهم إليها ، إلى خروجهم منها . فحسب نص التوراة :

« فقال لابرام إعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرضٍ ليست لهم ويُستعبَدون لهم . فَيُذلّونهم أربعمائة سنة »[١] .

وفي نص آخر :

« وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة . وكان عند نهاية أربعمائة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر »[٢] . وهذا ما أشارت إليه أيضاً النسخة الانجليزية للتوراة[٣] .

وقد أشار الانجيل أيضاً إلى هذه المدة ، فجاء في النص :

« وتكلم ا لله هكذا . أن يكون نسله مُتغرِّباً في أرضٍ غريبةٍ فيستعبدوه ويُسيئوا إليه أربعمائة سنة »[٤] .

وفي موضع آخر من الإنجيل :

« ... إن الناموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكّنَ من ا لله نحو المسيح حتى يُبطِل الموعد »[٥] .

---

(١) سفر التكوين ١٥ : ١٣ .

(٢) سفر الخروج ١٢ : ٤٠ - ٤١ .

(٣) American Bible Society , The Holy Bible , King James Version , The old Testament , New York , 1988 , Genesis 15 13 ; Exodus 12 40 - 41

(٤) سفر أعمال الرسل ٧ : ٦ .

(٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣ : ١٧ .

وعلى الرغم من أن هذه المدة الزمنية تبدو طويلة جداً لإقامة بني إسرائيل في مصر ؛ إلا أن مارتن نوث[١] ، رغم إقراره بأن ذلك الرقم من السنين كبير جداً بلاشك ، ذهب إلى أن حساب المدة بأربعة أجيال يكون على الأرجح صحيحاً ، إذ لا يوجد لدى الباحثين شيء آخر لحساب أدق .

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن الترجمة السبعينية للتوراة تُعقِّد الموضوع بالقول في سفر الخروج ١٢ : ٤٠ أن « مدة إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر وكنعان أربعمائة وثلاثين سنة » ، مما يعني أن إضافة كلمة واحدة هي " كنعان " اختزلت هذه المدة إلى حوالي النصف ، وأن الأربعمائة وثلاثين سنة تشمل الفترة الزمنية من دعوة إبراهيم – عليه السلام – إلى الخروج من مصر زمن موسى – عليه السلام – ومعه بني إسرائيل[٢] .

أما الروايات التاريخية في بعض المصادر الإسلامية فإنها تُشير إلى أن مقام بني إسرائيل في مصر كان قد ابتدأ بدخول يعقوب عليه السلام مع بنيه ، وقد كان له من العمر ١٣٠ سنة ، وعاش بعد ذلك ١٧ سنة . فيكون مُكث بني إسرائيل بمصر ٢١٠ سنين على قياس قول بني إسرائيل أن من ولادة إبراهيم إلى ولادة موسى عليهما السلام ٤٢٠ سنة ، وأن موسى خرج من مصر ببني إسرائيل وقد مضى من عمره ٨٠ سنة[٣] .

يقول أحد المؤرخين[٤] :

« كان أول قدومهم إلى مصر لمضي تسع وثلاثين سنة من عُمْر يوسف ، فأقاموا في مصر بقية عُمْر يوسف وهو إحدى وسبعون سنة ؛ لأن عُمْر يوسف كان مائة وعشر سنين ، فإذا نقّصنا منها تسعاً وثلاثين سنة بقي إحدى وسبعون سنة ، وأقاموا أيضاً مدة ما

---

(١) Noth , M . The History of Israel , SCM Press , London , 1983 , P 114 note 2

(٢) نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الشرق الأدنى القديم ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ م ، ص ٢٨٢ وكذا

Anderson , B W , The Living World of the Old Testament , First Edition , Longmans , Green and Co , London , 1958 , P 29 , note 10

(٣) حمزة بن الحسن الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٦٨ وكذا

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق C Eduard S ، بيرج ، ١٩٢٣ ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد ، ص ٧٤ .

(٤) عماد الدين إسماعيل أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ، الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٠ .

كان بين وفاة يوسف ومولد موسى وهو أربع وستون سنة ، وأقاموا أيضاً ثمانين سنة من عُمْر موسى حتى خرج بهم ، فيكون جملة مقام بني إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى مائتين وخمس عشر سنة » .

ويُستفاد من نص التوراة[١] أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما تم بيعه في مصر كان قد بلغ من العمر سبع عشرة سنة . وحسب نص آخر[٢] فإن يوسف عليه لصلاة والسلام كان ابن ثلاثين سنة لما وقف أمام ملك مصر .

أما والده يعقوب عليه السلام ، فبناءً على نص التوراة :

« وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة . فكانت أيام يعقوب سنو حياته مائة وسبعاً وأربعين سنة »[٣] . ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين[٤] .

وبين موت يوسف عليه الصلاة والسلام وخروج موسى عليه الصلاة والسلام ببني إسرائيل من مصر جيل واحد ، ومن ثم فإن مدة بقاءهم في مصر لا تزيد عن قرنين من الزمان[٥] . أو حسب رأي بعض المؤرخين[٦] قرن ونصف من الزمان .

والحق الأقرب للصواب ، والذي عليه كثيرٌ من المؤرخين[٧] ، فضلاً عما سبق ذكرهم ، أن بني إسرائيل أقاموا بمصر مدة ٢١٥ سنة . وإن كان هناك رأي يذهب إلى أن تلك المدة كانت ٢١٧ سنة[٨] .

---

(١) سفر التكوين ٣٧ : ٢ .

(٢) سفر التكوين ٤١ : ٤٦ .

(٣) سفر التكوين ٤٧ . ٢٨

(٤) سفر التكوين ٥٠ ٢٦ .

(٥) نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٤

(٦) Anderson , G W , The History and Religion of Israel , Oxford University Press , Oxford , 1976 , P 25 .

Sarna, N M , Exploring Exodus the Heritage of Biblical Israel , Schocken Books , New York , 1989 , P 8

(٧) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي اليُمْن مجير الدين : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩١٣ م ، ص ١٠١ وكذا

حسن أحمد محمود وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم السامیون القدماء – العبرانيون ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٥٢ وكذا

صابر عبد الرحمن طعيمة اليهود بين الدين والتاريخ ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ١٢٧ .

(٨) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمن عُميرة ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، شركة مكتبات عكاظ ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ، ص ٢٥٣ .

وهذا التحديد الزمني قد يكون صحيحاً من خلال حساب السنوات التي أشارت إليها النصوص التوراتية آنفة الذكر ، المتعلقة بحياة يعقوب عليه السلام في مصر ، ومن بعده يوسف عليه الصلاة والسلام ، إلى أن تم الخروج في عهد موسى عليه الصلاة والسلام .

ومما تجدر الإشارة إليه ما ورد في التوراة عن عدد الذين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء في النص أنهم : « نحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد . وصعد معهم لفيفٌ كثير أيضاً مع غنمٍ وبقرٍ مواشٍ وافرةٍ جداً »[١] .

وفي نص آخر : « كان جميع المعدودين ستمائة ألفٍ وثلاثة آلافٍ وخمسمائة وخمسين »[٢] . وهذا ما أشارت إليه النسخة الانجليزية المعتمدة للتوراة[٣] .

وهذا العدد لاشك أنه بعيد عن المنطق ، ولا يقبله أو يرتضيه العقل ، وتبدو من خلاله المبالغة الشديدة على وجه التأكيد . فقد أشار القرآن الكريم على لسان فرعون إلى بني إسرائيل أنهم جمعٌ قليل ، كما في قوله تعالى :

﴿ **إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون • وإنهم لنا لغائظون • وإنا لجميعٌ حاذرون** ﴾[٤] .

والشرذمة هي الطائفة القليلة المنقطعة ، أو الجمع القليل المُحتَقر ، وقد جاء ذكرهم في الآيات السابقة بالاسم الدال على القلة ، ثم جعلهم قليلاً بالوصف ، ثم جمع القليل فجعل كل حزبٍ منهم قيلاً ، واختار جمع السلامة الذي هو للقلة . وإن كان يجوز أن يريد بالقلة الذلة لا العدد . لكن المعنى يدل على أنهم لقلتهم لا يُبالي فرعون بهم ، ولا يتوقع غلبتهم وعلوّهم[٥] .

---

(١) سفر الخروج ١٢ ٣٧ - ٣٨ .

(٢) سفر العدد ١ ٤٦ . وانظر :
سفر العدد ١١ : ٢١ .

(٣) The Holy Bible , King James Version , the Old Testament , Exodus 12 37 - 38 , P 57 ,
Numbers 1 46 , P 115 ,
Numbers 11 21 , P 127

(٤) سورة الشعراء ، الآيات (٥٤ ٥٦) .

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، ص ٢٦٤ وكذا
محمد بن عمر بن حسين الملقب بالإمام فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ، ج ٢٤ ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٣٧ وكذا
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ج ١٣ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، ص ٦٩ .

قال أحد المؤرخين[١] :

« وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأيمة [هكذا] النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل ، غثاً أو سميناً ، ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ... فَضَلّوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر ... وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل بأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يُطيق حمل السلاح ، خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألفٍ أو يزيدون ، ... فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لاتّسعَ نطاق مُلكهم ، وانفسح مدى دولتهم ، ... ويَبعُد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد ... » .

وقال ابن حزم الظاهري[٢] عن عدد بني إسرائيل الوارد في نص التوراة السابق :

« فاعجبوا لهذا لكذب الفاحش المفضوح ، وهذا المُحال الممتنع .... أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قوله تعالى حاكياً عن فرعون أنه قال إذ تبع بني إسرائيل : ﴿ **إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون** ﴾[٣] . هذا الذي لا يجوز غيره ، ولا يمكن سواه أصلاً » .

ويمكن القول أن هذا العدد الذي ورد في التوراة مبالغٌ فيه على وجه التأكيد ، وأنه من ضمن التحريف الذي دخل على التوراة على أيدي كتبة الأسفار ، الذين أدخلوا فيها الكثير من الأخبار الباطلة .

ومن الأدلة التي تشير إلى عدم صحة هذا العدد الضخم لبني إسرائيل عند خروجهم مع رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام :

أولاً : أن هذا العدد لا يتوافق مع المعلومات الواردة في التوراة نفسها ، فقد جاء في النص :

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٩ - ص ١١ بتصرف .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ٢٦٣ - ص ٢٦٤ .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٥٤) .

« وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شِفرة واسم الأخرى فُوعة . وقال حينما تولّدان العبرانيات وتنظُرانهنّ على الكراسي . إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا . ولكنّ القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد . فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأولاد . فقالت القابلتان لفرعون إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات . فإنهن قويّاتٌ يلدن قبل أن تأتيهُنّ القابلة . فأحسن الله إلى القابلتين . ونما الشعب وكَثُرَ جداً . وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتاً . ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كلُّ ابنٍ يُولد تطرحونه في النهر . لكنّ كلَّ بنتٍ تستحيونها »[1] .

فمن غير الممكن أن يكون باستطاعة تلك القابلتين القيام بتلك المهمة لعدد كبير من النساء الإسرائيليات . وإن كان هناك من يرى[2] أن تكون القوابل كثيرات لا اثنتين فقط كما تُفيد العبارة في النص ، وأن تلك القابلتين كانتا هما المشهورتين بين قوابل النساء ، وربما كانتا الرئيستين ، وأن نساء بني إسرائيل أكثرهن كُنّ يعرفن التوليد فيستغنين عن القوابل القانونيات أو المشهورات إذا لم يتيسر حضورهن .

لكن العبارة الأخيرة في النص السابق تدل على أن المصريين كانوا أيضاً يقومون بطرح المواليد الذكور من بني إسرائيل في نهر النيل بناءً على أمر فرعون لهم . ومن المستبعد أن يُخالف المصريون أمر حاكمهم .

ثانياً : لقد مر فيما سبق أن بني إسرائيل كانوا يقيمون في جزء من الدلتا وهو اقليم جوشن . ولم تكن أرض جوشن في مساحتها سوى حوالي ٦٠ كيلاً طولاً ، وحوالي ٤ أكيال عرضاً . فلم يكن من الممكن أن تتسع هذه المساحة من الأرض لعدد بني إسرائيل المقترح والكلي والذي يصل إلى حوالي مليوني شخص[3] . ولم تكن هناك مدينة في العالم

---

(١) سفر الخروج ١ : ١٥ ٢٢

(٢) وليم مارش كتاب لسن لقويم في تفسير أسفار العهد القديم ، الجزء الأول ، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٩٨ وكذا

Sarna , N M , Op Cit , P 95

(٣) سامي سعيد الأحمد : " الأسس التاريخية للديانة اليهودية " ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ١٩ ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص ١٠٤ وكذا

Anderson , B W , Op Cit , P 45 ,
Sarna , N M , Op Cit , P 97

القديم مهما بلغ حجمها تتسع لبضعة ملايين[١] . بل إن فلندرز م. بتري[٢] يذهب إلى أن سكان الوجه البحري كلهم لم يكونوا في ذلك الوقت ثلاثة ملايين . وقد كان بنو إسرائيل أصحاب مواشٍ ، مما يعني أنهم كانوا يحتاجون من الأرض لرعاية مواشيهم أكثر مما يحتاج إليه أهل الزراعة لزراعتهم . ثم إن أرض جوشن لم يكن فيها أكثر من عشرين ألف نفس إذا كانوا يعيشون من الزراعة ، وأما إذا كانوا يعيشون من رعاية المواشي كما كان بنو إسرائيل ، فإن عددهم يكون أقل بكثير ، حتى تسعهم تلك المنطقة ويعيشوا من رعاية مواشيهم فيها .

ثالثاً : لم يرد في الآثار المصرية أي إشارة إلى خروج هذا العدد الضخم من بني إسرائيل من مصر ، مع أن الكتّاب المصريين كانوا يسجلون الأحداث الكبيرة التي تقع في مصر[٣] .

رابعاً : أن هذا العدد بعيد عن الحقيقة ، إذا ما أُخذ بالاعتبار طبيعة الحياة في الصحراء ، وقلة توفُّر سُبل العيش فيها ، حيث يندر الماء ، ويقل الطعام ، وتشح الأراضي الصالحة لرعي القطعان من الماشية ، فضلاً عن الصعوبات التي واجهوها عند عبورهم إلى سيناء ، ومناوئة السكان الأصليين لهم[٤] .

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٥ - ص ٢٨٦ .

(٢) " خروج بني إسرائيل من مصر " ، مجلة المقتطف ، المجلد ٣١ ، ج ٧ ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، ص ٥٣٧ - ص ٥٣٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٣٧ .

(٤) حسن أحمد محمود وآخرون . المرجع السابق ، ص ٣٥٧ وكذا

محمود عنقاعة : المشكلة اليهودية وهل تحتها إسرائيل ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ١٥١ وكذا

عامر سليمان وأحمد مالك الهتيان . محاضرات في التاريخ القديم ، جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٧٨ م ، ص ٣٦٩ وكذا

أحمد السقاف : العنصرية الصهيونية في التوراة ، الطبعة الأولى ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٥ وكذا

فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رفيق ، أشرف على مراجعته وتحريره جرائيل جبور ، الجزء الأول ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ١٩٤ وكذا

Sarna , N M , Op Cit , P P 97 - 98

خامساً : يذهب فلندرز م. بتري[١] إلى أن كلمة " ألف " الواردة في تعداد بني إسرائيل الخارجين من مصر لها معنىً آخر وهو : البيت ، أو العائلة أو الأسرة ، أو الجماعة أو العشيرة ، أو الخيمة . ويبدو أن أول كاتب كتب عن خروج بني إسرائيل من مصر كتب أنهم كانوا ستمائة بيت ، ثم جاء الذين كتبوا أسفار التوراة وأخطأو في فهم معنى البيوت ، فظنوا أنها تعني " الألوف " فكتبوا ستمائة ألف ، وأضافوا إلى ذلك من الإضافات ما ينطبق على المعنى الذي فهموه . وإذا صح هذا التفسير زالت بعض المصاعب التي تكتنف موضوع خروج بني إسرائيل من مصر ، ومنها عددهم الحقيقي . فتصير أرض جوشن كافية لهم ولو كانوا أهل مواشٍ ، ويصير الارتحال في برية سيناء أيضاً ممكناً لهم ، وحتى الحروب بينهم وبين العمالقة من المحتمل أنها تبدو مفهومة كخصمين متكافئين تقريباً في القوة ، وعلى ذلك تُفسر كثير من الأمور المتعلقة ببني إسرائيل .

ويستند فلندرز م. بتري في رأيه هذا على ما ورد في التوراة نفسها :

« كان المعدودون منهم لسبط رأوبين ستة وأربعين ألفاً وخمسمائةٍ »[٢] .

أي ستة وأربعين بيتاً فيها خمسمائة نفس . وفي نصٍ آخر :

« المعدودون منهم لسبط يَسَّاكر أربعةٌ وخمسون ألفاً وأربعمائة »[٣] . أي أربعة وخمسين بيتاً ، فيها أربعمائة نفس .

ويذهب أحد المؤرخين[٤] إلى أن هناك عدة فقرات توراتية تستخدم كلمة ألف للجزء من القبيلة الواحدة ، ففي نص التوراة[٥] : « هؤلاء مشاهير الجماعة رؤساءُ أسباطِ آبائهم .

---

(١) خروج بني إسرائيل من مصر ، ص ٥٣٩ ص ٥٤٠ . وانظر .

سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء السابع ، عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ م ، ص ١٣٢ ص ١٣٣ وكذا

Bernstein , B , Op Cit , P P 45 - 46

(٢) سفر العدد ١ : ٢١ .

(٣) سفر العدد ١ : ٢٩ .

(٤) Sarna , N M , Op Cit , P P 98 - 99

(٥) سفر العدد ١ : ١٦ . وانظر :

سفر القضاة ٦ : ١٥ وكذا

سفر صموئيل الأول ٩ : ٢١ ؛ ١٠ : ١٩ .

رؤوس ألوف إسرائيل » . فَسُمُّوا رؤوس ألوف إسرائيل . وهذا المعنى الدقيق جاء في نص آخر[١] :

« من كل بيت أبٍ من جميع أسباط إسرائيل كل واحدٍ رئيس بيت آبائهم في ألوف إسرائيل » . فإذا أُخذت الكلمة بهذا الفهم ، فإن " الستمائة ألف " يمكن أن تعني ستمائة وحدة أُسرية ، وعلى هذا الوجه يمكن تفسير تلك القوائم الإحصائية الواردة في التوراه في سفر العدد بهذه الطريقة . وحسب تعداد جي. سيمونز[٢] سيكون هناك تسعة وخمسون وحدة تعادل ثلاثة آلاف شخص ، وهكذا بالنسبة لكل قبيلة . وتبعاً لهذه النظرية فإن ألف تمثل مجموعة خيمة تتسع تسعة أشخاص مكونة من جَدّين ، وأبويَن ، وثلاثة أبناء ، وشخصين إضافيين ، وسيكون الإحصاء الكلي ٥٩٨ وحدة ، والتي تعادل ٥٥٥٠ شخصاً ، وعدد الوحدات هذا يتطابق تماماً مع الستمائة وحدة التي غادرت مصر ، فيكون العدد الكلي لبني إسرائيل الخارجين من مصر حوالي ٥٥٥٠ شخصاً .

وبناءً على ذلك ذهب بعض المؤرخين[٣] إلى أن هذا المعنى هو الأقرب للصواب ، وأن عدد الذين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام كان قريباً من ستة آلاف نسمة ، وهو عدد معقول ومناسب لما كانت عليه شبه جزيرة سيناء التي دخلوها ، بالإضافة إلى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان باستطاعته أن يفصل في النزاع والمشاكل التي دبت بين بني إسرائيل ، إذ أن ذلك ممكن بين حوالي ستة آلاف ، ولكن لا يمكن أن يقضي موسى عليه الصلاة والسلام ويُصدر الأحكام بين ما يزيد على ستمائة ألف وهو الرقم المُبالغ فيه كثيراً .

---

(١) سفر يشوع ٢٢ : ١٤ .

(٢) Sarna . N M . Op Cit . P 99

(٣) نحيب ميخائيل إبرهيم : لمرجع لسابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ وكذ
محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ لشرق لأدنى لقديم (٧) إسرائيل - لكتاب لأول - لتدريج ، لاسكندرية ، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م ، ص ٤٤٤ وكذا
نعوم بك شقير : لمرجع لسابق ، ص ٤٥٣ وكذ
مصطفى كمال عبد لعليم وسيد فرج راشد : اليهود في العالم لقديم ، لطبعة لأولى ، دار لقلم والدار لشامية ، دمشق ، بيروت ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م ، ص ٥٣ - ص ٥٤

إلا أن ناحوم . م. سارنا[١] يعود ويقول : ان هذه النظرية العبقرية أُسست على عدم الدقة في تكوين كلمة " الألف " التي لها قابلية التبدل والتغير وغير المضبوطة دائماً ؛ إذ لا تستطيع تفسير العدد ٢٢٢٧٣ الذي أُعطي للأولاد البكور في التوراة[٢] ، فالمناسبة هناك قاطعة الدلالة على المعنى المباشر . ونفس الشيء ينطبق على عدد اللاويين والذي ذُكر أيضاً أنه يصل إلى ٢٢٠٠٠ شخصاً من الذكور في نص آخر[٣] .

من الواضح أن تناولاً مختلفاً قد جرى محاولته للخروج من هذه المآزق ، فالتناقضات السابقة تطرح معضلات للقراء المعاصرين ، إذ أن المؤرخ يميل إلى التعامل مع المعومات بمعزل عن الأهداف الكبرى للرواية التوراتية ، مع التسليم بأن الوعي التاريخي للرواي يتطلب إبراز حقائق إحصائية دقيقة في مناسبة محددة مرتبطة بزمن . ولهذا فإنه ليس بعيداً على القاريء أن يكون عُرضةً للخلط بين الحقيقة والمجاز ، إذ أن هذه الافتراضات مبنية على سوء الفهم ، فالبنية الفكرية التي كان كتّاب التوراة يعملون ضمنها تسمح لهم بأن يتخيلوا الحقيقة بطرق مختلفة تماماً عن طرق الباحثين المعاصرين[٤] .

وقد اختلفت وجهات النظر بين المؤرخين حول العدد الحقيقي لبني إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام . فيرى البعض[٥] أن عددهم كان يزيد على الألف وستمائة رجل (١٦٠٠) عدا الذراري ، باعتبار أن العدد المذكور في نص التوراة السابق " ستمائة ألف ماشٍ " عدد غير مقبول عقلاً ، إذ يبدو أن الخطأ في هذا الرقم ناشيء من المترجمين للتوراة الذين وضعوا كلمة " ألف " بعد ستمائة ، وكان الأصح أن توضع هكذا " ألف وستمائة ماشٍ " وبذلك فإن هذا الرقم ألف وستمائة لا يمكن رفضه منطقياً ، إذ أنه يبدو في إطار المعقول والمقبول .

---

(١) Sarna N M , Op Cit , P 99

(٢) سفر العدد ٣ : ٤٣ .

(٣) سفر العدد ٣ : ٣٩ .

(٤) Sarna , N M , Op Cit , P P 99 - 100

(٥) أنظر بسقف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص ١٩٨ وكذ

محمود شاكر : التاريخ الإسلامي (١) قسم العقيدة ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م ، ص ٥٣ .

ورأي آخر[١] يذهب إلى أن عددهم كان حوالي أربعة آلاف نسمة .

ويرى آخرون[٢] أن عددهم كان حوالي ستة آلاف نسمة . أو أنهم كانوا ، حسب رأي بعض المؤرخين[٣] ، حوالي ستة آلاف أو سبعة آلاف .

بينما يرى سامي سعيد الأحمد[٤] أن عددهم يمكن تقديره بحوالي عشرة آلاف نسمة.

وبناءً على دراسة إحصائية قام بها أ. لوكاس A Lucas فإن عددهم لم يرد عن عشرة آلاف وتلاثمائة وثلاث وستين نسمة[٥] .

ويميل أحد المؤرخين[٦] إلى أن عددهم كان حوالي اثنان وسبعون ألفاً .

فيما توقّفَ مارتن نوث[٧] عن تحديد عددهم واستحالة ذلك بشكل أكيد .

ويرى الباحث هنا أنه لا يمكن الأخذ بالعدد الذي ذكرته التوراة في النص آنف الذكر ، وهو ستمائة ألف ، فهو عدد مبالغ فيه على وجه التأكيد .

وما ذكره المؤرخون ما هي إلا اجتهادات قد تُخطيء وقد تُصيب ، إذ ليس هناك دليل قطعي على ما أشاروا إليه من عددهم .

والمعول عليه هو ما أشار إليه القرآن الكريم على لسان فرعون ، في قوله تعالى :

﴿ **إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون** ﴾[٨] . فلم يُحدد القرآن الكريم عددهم ، وإنما نعتهم بوصفٍ يدل على الجمع القليل ، ولو كانوا بتلك الكثرة لعقب القرآن الكريم على ما ادعاه فرعون في وصفه لهم بالشرذمة القليلون .

---

(١) داود عبد العفو سُقرط : جذور الفكر اليهودي ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان ، عمان ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣م ، ص ٥٢ .

(٢) حسب ميخائيل إبراهيم المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ وكذا
مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣) حسن أحمد محمود وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ وكذا
محمود شاكر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٢ وكذا
محمد أبو الفرج العش عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٥ وكذا
أحمد السقاف : المرجع السابق ، ص ٣٥ وكذا
فيليب حتي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٤) الأسس التاريخية للديانة اليهودية ، ص ١٠٤ .

(٥) Sarna , N M . , Op Cit , P 97

(٦) Bimson , J J , Redating the Exodus and Conquest , The Almond Press , Sheffield , 1981 , P 27

(٧) Noth , M , Op Cit , P 133

(٨) سورة الشعراء ، الآية (٥٤) .

وتبعاً للمنهج القرآني الكريم فإني أتوقف عن تحديد عدد بني إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ، فالعلم في ذلك عند الله عز وجل وحده الذي يعلم الغيب والشهادة ، إذ أن العدد لا يمكن القول فيه بغير علم ورجماً بالغيب ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ **وفوق كل ذي علمٍ عليم** ﴾[1] . فلو كان في ذكر ذلك منفعة للمسلمين أو يتحقق لهم كبير فائدة لأشار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة إلى ذلك ، والله أعلم .

وعلى أي حال، فقد واصل بنو إسرائيل مسيرهم بعد نجاتهم وغرق فرعون وجنوده. ولم يتعين المكان الذي ساروا منه على وجه لتحديد بعد عبورهم البحر ، وإن كان البعض[2] يُرجِّح أن ذلك المكان يقع قرب السويس والذي يُعرف في الوقت الحاضر باسم " عيون موسى " أو " ينابيع موسى "[3] ، حيث استراحوا فيه ، ونُظِمَتْ فيه ، حسب رواية التوراة[4] ، التسبيحة للرب ، ابتهاجاً بنجاتهم وخلاصهم .

ثم سار موسى عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ببني إسرائيل ، حيث تشير التوراة[5] إلى أنهم : « ... خرجوا إلى برية شور[6] . فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماءً .

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٧٦)

(٢) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ وكذا

زكي شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ، الجزء الثامن ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ١٩٧٤ م ، ص ٢٩ ص ٣٠ وكذا

عبد الشكور محمد أمان العروسي : " بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء " ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ، ص ١٩٣ .

(٣) عيون موسى أو ينابيع موسى : بُقعة صحراوية تنتشر فيها عيون الماء ، وأشجار النخيل ، وفيها بعض الآبار . وهي على غاية ١١ كيلاً من السويس . انظر :

زكي شنودة : المرجع السابق ، ص ٢٩ – ص ٣٠ .

(٤) سفر الخروج ١٥ : ١ – ٢١ .

(٥) سفر الخروج ١٥ : ٢٢ – ٢٥ ؛ سفر العدد ٣٣ : ٨

(٦) برية شور . يُقصد بها المنطقة الواقعة على الحدود الشمالية الشرقية لأرض مصر ، وهي البرية المسماة ببرية تيه بني إسرائيل ، أو برية يتام .

⇐

فجاءوا إلى مارّة[1] . ولم يقدروا أن يشربوا من مارة لأنه مُرّ . لذلك دُعي إسمها مارة . فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب . فصرخ إلى الرب . فأراه الرب شجرةً فطرحها في الماء فصار الماء عذباً » . ثم ان بني إسرائيل لما شق عليهم المقام في مارة غادروها إلى موضع آخر ، فحسب نص التوراة[2] :

« ثم جاءوا إلى إيليم[3] وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة . فنزلوا هناك عند الماء » .

= وهذه البرية تنحصر بين الطريق الساحلي إلى غزة وبين الطريق الصحراوي إلى فلسطين وسوريا ، في المنطقة الواقعة إلى جهة الشرق من بحيرة المنزلة ، أي الجزء الشمالي الغربي من سيناء المتاخم لشرق الدلتا ، بحيث أنها تنتهي إلى طريق القوافل القديم الممتد من الاسماعيلية عبر سيناء ، ولا تتجاوز شرقاً منطقة لطاسة وبئر قصيمة . يليها سهل لعريش . ويرى هاستنج Hastings في الموسوعة التوراتية أن الطور الحالية هي أرض شور . ومن كان هناك رأي يذهب إلى أنها تمتد من بحيرة سربونيس في الشمال إلى عين حواره في الجنوب .

وقد جاء ذكر شور أولاً في قصة هروب هاجر ، حسب ما ورد في سفر التكوين ١٦ : ٧ ثم صارت بعدئذٍ مسكناً للإسماعيليين وفقاً لما ورد أيضاً في سفر التكوين ٢٥ : ١٨ ومن كان هناك إشارة في سفر التكوين ٢٠ : ١ إلى أن إبراهيم عليه السلام سكن بين قادش وشور . انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ وكذا

جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ١ ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة . بيروت ، بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص ٤٣٦ وكذا

عطاس عبد الملك خشبة : رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، دار هلال ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ص ٢١٦ هامش (١٣) ، ص ٢٥٣ هامش (١٠٨) ، (١١٢) .

(١) مارّة : أي شديد المرارة . وهو موضع في برية شور على بُعد مسيرة ثلاثة أيام من موضع عبور بني إسرائيل البحر . ويرى البعض أن مارة هي التي تسمى اليوم باسم عين حواره في وادي الامارة ، وتبعد عن عيون موسى نحو ٤٩ كيلاً

ويظن البعض أنها تقع إلى الشمال الشرقي من عيون موسى على مسافة تحو ١١ كيلاً انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٨٣١ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ وكذا

ركي شودة : المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٩ وكذا

عطاس عبد الملك خشبة : المرجع السابق ، ص ٢١٦ هامش (١٥) .

(٢) سفر الخروج ١٥ : ٢١ . وانظر :

سفر العدد ٣٣ . ٩ .

(٣) إيليم : اسم المكان الثاني الذي نزل فيه بنو إسرائيل بعد عبورهم البحر ، وكان هذا المكان يقع بين مارة وبرية سين . والراجح أن مكان إيليم هو ما يُعرف حالياً بـ وجه وادي غرندل ، التي كانت كثيرة المياه والنخيل والأشجار . ويبعد هذا المكان نحو ٩٥ كيلاً جنوبي شرقي السويس . انظر .

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٤٤ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٣ وكذا

ركي شودة : المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٩ – ص ٣٠ وكذا

عبد الشكور محمد أمين العروسي : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أول انحرافات بني إسرائيل العقدية عندما طلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبدوا الأصنام . قال تعالى :

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون • إن هؤلاء مُتبرٌ[1] ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون • قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ﴾[2] .

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة واضحة على رغبة بني إسرائيل وحبهم في تقليد القوم المشركين بالله الذين يعبدون الأصنام من دونه ، بل ويطلبون من رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم إلهاً صنماً كما عند أولئك القوم ، فيجيبهم لرسول الكريم بأن ما عليه أولئك القوم من الشرك مُتبرٌ وباطل ما كانوا يعملون .

وقد ذكر بعض المفسرين[3] أن القوم الذين كانوا يعكفون على أصنامٍ لهم ربما كانوا من لخم إحدى قبائل العرب ، أو من الكنعانيين ، أو من لخم وجذام ، أو من العرب الذين كانوا يقيمون بالقرب من حدود مصر .

---

(١) مُتبرٌ : التَّبْرُ الكسير والإهلاك ، يُقال : تَبَرَهُ وتَبَّرَهُ . وقال ابن عباس في معنى متبر أي خسران . انظر :
محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، ضبطه ورقمه ، وذكر تكرار مواضعه ، وشرح ألفاظه وجمله ، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم . ووضع فهارسه مصطفى ديب البغا . محمد المرسي ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، كتاب التفسير ، باب رقم ١٣٣ تفسير سورة الأعراف ، ص ١٦٩٧ وكذا
الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات (١٣٨ - ١٤٠)

(٣) محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، حققه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر ، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، ج ١٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨ م ، ص ٨١ وكذا
القرطبي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ج ٧ ، ص ١٧٤ وكذا
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ، ص ٢٤٢ وكذا
محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار ، ج ٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م - ١٩٧٣ م ، ص ٩٥

وقد أشارت السيرة النبوية المطهرة إلى ذلك ، فروى ابن إسحاق قال[١] :

((حدثني ابن شهاب لزهري ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال : فسرنا معه إلى حُنين ، قال : وكانت كفار قريش ومَنْ سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فَيُعلِّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرةً خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله ﷺ : " الله أكبر ، قلتم ، والذي نفس محمدٍ بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون** ﴾ إنها السُّنن ، لتركبُنّ سَنَنَ مَنْ كان قبلَكم ")) .

فكان طلب بني إسرائيل من موسى عليه الصلاة والسلام عبادة الأصنام والتوجه إليها بالعبادة من دون الله هو ، كما قال أحد العلماء المسلمين[٢] :

((أول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة نبيها ، وقُرب العهد بإنجائهم من فرعون وإغراقه وإغراق قومه ... فطلبوا من مخلوق أن يجعل لهم إلهاً مخلوقاً . وكيف يكون الإله مجعولاً ؟ فإن الإله هو الجاعل لكل ما سواه ، والمجعول مربوب مصنوع ، فيستحيل أن يكون إلهاً)) .

قال فخر الدين الرازي[٣] :

((والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يُعين لهم أصناماً وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى ، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾[٤] . فكان هذا القول من

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري : السيرة النبوية . حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، القسم الثاني . الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٤٢ .

(٢) محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي . ج ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٩٩

(٣) التفسير الكبير ، ج ١٤ ، ص ٢٢٣ .

(٤) سورة الزمر ، الآية (٣) .

المشركين كفراً ، إذ أجمع كل الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أن عبادة غير الله تعالى كفر ، سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهاً للعالم ، أو اعتقدوا فيه أن عبادتهم تُقربهم إلى الله تعالى ، لأن العبادة نهاية التعظيم ، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام)) .

وهذا الصلب الذي طلبه بنو إسرائيل وهو عبادة لأصنام يدل على أن الوثنية كانت عالقة في نفوسهم ، وخلق التقليد متمكن منهم ، ما ألفوه من وثنية المصريين وتقليدهم في وثنيتهم ، ونسوا أن مهمة رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام هي محاربة الوثنية والشرك بالله ، وأنه إنما بُعث إليهم ليغرس في نفوسهم حُب التوحيد ، ويجتث منها عروق الشرك . لذلك وصفهم الرسول الكريم بالجهل المطلق الذي يشمل كل ما يصلح له من الجهل الذي هو فَقْدُ العلم ، وسفه النفس ، وطيش العقل ، وأهمه لمناسب للمقام وهو جهل التوحيد ، وما يجب عليهم من إفراد الرب سبحانه وتعالى بالعبادة ، وما يناسب مع مهمة رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم . ثم جهل ما كرم الله به البشر حيث جعلهم أهلاً لمعرفته ودعائه ومناجاته ، بلا واسطة تُقربهم إليه ، فإنه أقرب إليهم من حبل الوريد [1] .

وكانت سيناء ، كما مرّ سابقاً ، منذ أقدم العصور من أوفر مصادر مصر بالفيروز والنحاس ، حيث تركت بعثات التعدين كثيراً من النقوش في وادي مغارة وسرابيت الخادم ، وكان المهندسون والعمال ممن يذهبون إلى سيناء يتعبدون للمعبودة حاتحور ربة الفيروز ، طلبين إليها الحماية والأمن . فاقتضى استغلال المناجم المنتظم ، وقيام مجتمعات لعمال فيها قيام معبد للمعبودة حاتحور في سرابيت الخادم منذ الدولة الوسطى . والذي لاشك

---

(١) محمد أحمد بعسوي دعوة الرسل إلى الله تعالى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م ، ص ١٩٣ ، ص ١٩٤ وكذا

محمد رشيد رضا : مرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٩٧ وكذا

عفيف عبد الفتاح طبارة اليهود في القرآن ، الطبعة التاسعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ٢١٧ وكذا

رشاد محمود عبد الحي : حول الأرض المقدسة عند اليهود ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٤١٣هـ ١٩٩٦ م ، ص ١٠ .

فيه أن بني إسرائيل قد إتّبعوا الطريق الذي كانت قوافل التعدين تسلكه إلى تلك المناجم في سيناء ، وأنهم مروا بتلك المناجم في تجوالهم هناك ، حيث أشار القرآن الكريم إلى مجتمع مقيم حول عبادة له في تلك البقاع . فلما رأوا تلك الآلهة قالوا قولتهم المنكرة حنيناً منهم إلى ما ألفوه في مصر من تعلق قلوبهم بمعبودات المصريين وتماثيلها وأصنامها[1] .

وهذا يدل أيضاً على أنهم لم يكونوا على فهم للتوحيد الذي جاء به رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ، بل كان معتقدهم وثنياً لا يمكن أن يكون في اتجاه التوحيد الخالص لله عز وجل ، ولا يمكن أن يكون بين ثناياه أو في مضمونه بقية من آثار الوحي الإلهي ، فهم لم يعرفوا عقيدة الإيمان بالإله الواحد رباً ، وطوال فترات تاريخهم لم يحافظوا على منحة الله لهم ، وعونه إياهم ، باستثناء تلك المراحل القليلة ، والجماعات المحدودة التي حفظت وحي الله وعملت بالرسالة الإلهية على ضوء ما أخبر القرآن الكريم منصفاً ومطهراً للتاريخ الذي زيفه ودنسه كُتّاب التوراة[2] .

وهكذا كانت استجابة بني إسرائيل للإيمان برب العالمين ، والإذعان له ، باعتباره الإله الخالق ، ضعيفة في نفوسهم ، وغريبة على صباعهم ، فضلاً عن خراب القلب الإيماني الذي يستجيب لمتطلبات والتزامات العمل في ظل الطاعة لنبي أو رسول ، أو الاقتداء بنبوة أو رسالة ، حتى صار ذلك طبيعة في نفسيات بني إسرائيل ، فما تكاد تهتدي حتى تضلّ ، وما تكاد ترتفع حتى تنحطّ ، وما تكاد تسير في طريق الاستقامة حتى ترتكس وتنتكس[3].

---

(١) أحمد عبد الحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ١٢٥ - ص ١٢٦ وكذا

محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م ، ص ٢٣٥ ص ٢٣٦ وكذا

رشاد محمود العدوي : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٩٤ وكذا

صابر عبد الرحمن صعيمة : التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، ص ٣٥٤ وكذا

محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٤٧٤ - ص ٤٧٥ .

(٣) صابر عبد الرحمن صعيمة : بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٣٠ وكذا

محمد سيد طنطاوي : المرجع السابق ، ص ٤٧٥ .

وقد عَبّرَ القرآن الكريم أروع تعبير عن هذه الطبيعة الملتوية ، والسريرة الخبيثة ، التي اتصف بها كثير من بني إسرائيل ، في قوله تعالى :

﴿ ولتجدنّهم أحرص الناس على حياةٍ ومن الذين أشركوا يودُّ أحدُهم لو يُعمَّرُ ألف سنةٍ وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر وا الله بصير بما يعملون ﴾[1] .

وعلى أي حال ، فقد واصل بنو إسرائيل سيرهم ، فحسب نص التوراة[2] :

« ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بني إسرئيل إلى برّيّة سين[3] التي بين إيليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من أرض مصر » . فيكون بنو إسرائيل قد بلغوا برية سين بعد مرور شهر على خروجهم من مصر . فزاد تذمرهم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى أخيه هارون عليه السلام ، وقالوا لهما حسب ما ورد في نص التوراة[4] :

« فتذمّرَ كلُّ جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية . وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشّبع . فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تُميتا كل هذا الجمهور بالجوع » .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٩٦) .

(٢) سفر الخروج ١٦ . ١ . وانظر :
سفر العدد ٣٣ : ١٠ - ١١ .

(٣) برية سين : هي أول برية سيناء ، وفيها أنزل الله عز وجل المن للمرة الأولى على بني إسرائيل . ولعل مكانها في الوقت الحاضر هو بدية الرملة ، وهي كومة رمال ، عند سفح جبل لتيه . ويرى بعض أن برية سين يُقصد بها الإقليم الجبلي الواقع في شرق خليج العقبة وفقاً لما ورد في سفر العقبة ١١ . ١٦ من أن بني إسرائيل بعد صعودهم من مصر قد دخلوا القفر حتى بحر سوف . وهذا الرأي بعيد عن الصواب .
وهناك رأي يذهب إلى أن برية سين في أطراف وادي طيبة ، بين إيليم وسيناء ، وهي الصحراء المعروفة بالرقي ، الواقعة بين الجبال شرقاً والبحر الأحمر غرباً . انظر :
بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ - ص ٤٩٨ وكذا
زكي شنودة : المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٣٠ وكذا
لويس موسل : شمال بلاد العرب (١) شمال الحجاز ، ترجمه عبد المحسن الحسيني ، مطابع رمسيس ، الاسكندرية ، ١٩٥٢ م ، ص ٤٩ .

(٤) سفر الخروج ١٦ : ٢ ٣ .

وهذا يدل على أن بني إسرائيل إلتفوا حول موسى عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مصر ، وأثناء خروجه بهم لا كرسول ، ولكن كقائد وزعيم يُرجى على يده الخلاص من استعباد المصريين ، فهم لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على الرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام ، حيث صاروا يشعرون في سيناء بأنهم فقدوا بها ما كانوا ينعمون به في مصر من خيرات[1] .

إن الطبيعة البشرية تنظر إلى الماضي في كثير من الأحوال إما بالحنين ، أو بالحزن . والإنسان دائماً يشكو معاناته الحاضرة ، ويبدو له أن الماضي كان أفضل من الحاضر ، وبالتالي فإنه لا يَتبقّى في ذاكرته من الماضي إلا لحظات الايجاب ، متناسياً لحظات السلب في حياته ، اللهم إلا إذا كان الحاضر يُذكّرهُ بواقعٍ أليمٍ في الماضي ، وهذا فيما ندر . فرغم أن بني إسرائيل عاشوا مع موسى عليه الصلاة والسلام في الصحراء على المن والسلوى كما سيأتي لاحقاً - الذي أنزله الله عز وجل عليهم من السماء ، فإنهم في تلك اللحظات لم يتذكروا من حياتهم في مصر العذاب الذي عانوه من فرعون ، وإنما تذكروا فقط الأكل الجيد والمتنوع الذي تمتعوا به هناك ، حيث كانوا يتجمّعونَ حول قدور اللحم وأكلهم الخبز حتى الشبع[2] .

ولم يؤاخذهم الله عز وجل على أفعالهم المنكرة تجاه رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ، وما ألحقوه به من أذى وعصيان وتمرد ، امتحاناً لهم وابتلاءً ، فأسبغ الله عليهم من نعمه التي لا تعد ولا تحصى . فقد جاء في نص التوراة[3] :

« فقال الرب لموسى ها أنا أُمطِرُ لكم خبزاً من السماء . فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها . لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا » .

فأنزل الله عز وجل عليهم المن والسلوى ، كما في قوله تعالى :

﴿ وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى ﴾[4] .

---

(١) أحمد شلبي : " سيناء والأديان السماوية " ، مجلة الهلال ، العدد السادس السنة التاسعة والسبعون ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ، ص ٤٦ .

(٢) أحمد عبد اللطيف حماد : " الزمان والمكان في قصة العهد القديم " ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ، وزارة الاعلام ، الكويت ، ١٩٨٥ م ، ص ٨٠ .

(٣) سفر الخروج ١٦ : ٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٥٧) .

وقوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا عليهم المن والسلوى** ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ **ونزلنا عليكم المن والسلوى** ﴾[٢] .

فكان هذا الطعام الذي أنزله الله عز وجل عليهم آية من آيات الله الخارقة ، ونعمة عظيمة امتن الله بها عليهم[٣] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٦٠) .

(٢) سورة طه ، الآية (٨٠) .

(٣) تعددت الآراء في تفسير المن والسلوى . فالمن في التوراة حسب ما ورد في سفر الخروج ١٦ : ٤ عُبِّر عنه بعبارة " خبزاً من السماء " ، وقد كان مقدار ما ينزل منه في اليوم قبل السبت ضعف ما ينزل في بقية الأيام ، بد أنه لم ينزل عليهم يوم السبت .

وقد كان ما يُحفظ منه من اليوم السادس إلى اليوم السابع يصل جيداً صالحاً ، بخلاف ما كان يُحفظ من يوم إلى آخر من أيام الأسبوع ، فإنه كان يفسد ويتولد فيه الدود . وكان كل ذلك دليلاً على قداسة يوم السبت . وحسب ما ورد في التوراة أيضاً : « وأما المن فكان كبزر الكزبرة ومنظره كمنظر المُقْل . وكان طعمه كطعم فطائر بزيت . ومتى نزل الندى على المحلة ليلاً كان ينزل المن معه » وكان المن ينزل عليهم يومياً فيوماً مدة أربعين سنة ما عدا أيام السبت .

وقيل : أن المن شيءٌ كالطَّلّ فيه حلاوة يسقط على الشجر . وقيل : المن والسلوى كلاهما إشارة إلى ما أنعم الله به عليهم ، وهما بالذات شيءٌ واحد ، لكن سمّاهُ منّاً بحيث أنه امتن به عليهم ، وسماه سلوى من حيث أنه كان هم به التسلّي .

وقد ذكر ابن كثير اختلاف عبارات المفسرين في المن ، وخلُص إلى أن آراءهم متقاربة في شرح المن ، فمنهم من فسّرهُ بالطعام ، ومنهم من فسّرهُ بالشراب . وقال بعد ذلك والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك ، مما ليس هم فيه عمل ولا كد ، فالمن المشهور إن أُكل وحده كان حلواً وحلاوة ، وإن مُزج مع الماء صار شراباً حلواً ، وإن رُكب مع غيره صار نوعاً آخر . ولكن ليس هو المراد من الآية وحده

وهناك من يرى أن المن هو العسل النحلي الذي كانوا يأخذونه في غير مشقة ولا جهد .

أما السلوى ، فتكاد تُجمع الآراء على أنه طائر كالسُّمّاني ، وهو طائر صغير من فصيلة الدجاجيات ، جسمه مكتنز ممتلىء ، وهو من القواطع التي تهاجر شتاءً إلى الحبشة والسودان . وكانت سيناء وما زالت - قبلة للأفواج الكثيرة من طيور الهجرة تُقبل في الخريف متعبة مرهقة بعد عبور البحر ، فما أن تمس الأرض حتى تحط ، فلا تكاد حتى تستريح تريم ، فقد لاحت تباشير ربيع عادت إلى حنين سيناء في طريقها إلى البحر تعبره إلى حيث تُقيم . انظر :

سفر الخروج ١٦ : ٤ - ٣١ ؛ سفر العدد ١١ : ٧ ، ٩ ، ٣١ وكذا

الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ص ٤٩٥ وكذا

ابن كثير . المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٥ - ص ٩٧ وكذا

⇐

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يَحلِل عليه غضبي فقد هوى • وإني لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾[1] .

فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يأكلو من هذا الرزق الذي رزقهم ، ولا يطغوا فيه فيأخذوا منه من غير حاجة ؛ بل يأخذوا من ذلك قدر حاجتهم إلى الغد ، لطفاً من الله ، ورحمةً بهم ، وإحساناً إليهم ، فإذا خالفوا ما أمرهم الله عز وجل به هدّدهم سبحانه وتعالى بغضبه عليهم[2] . إلا أنهم لم يطيعوا أمر الله لهم ، ولم يسمعوا لرسوله ، كما جاء في التوراة[3] :

« وقال لهم موسى لا يُبق أحدٌ منه إلى الصباح . لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى منه أُناسٌ إلى الصباح فتولّد فيه دودٌ وأنتن . فسخط عليهم موسى » .

وهذا يدل على أن ذلك التغيير أو الفساد كان قصاصاً لبني إسرائيل على سبيل الإعجاز لا أمراً طبيعياً[4] ، عندما أخذوا زيادة عن حاجتهم ، وادخروا إلى اليوم التالي .

وقد أخبر الرسول الكريم محمد ﷺ عن بعض أنواع المن الذي أُنزل عليهم ، ومنه الكمأة[5] ، ففي الحديث النبوي الصحيح عن سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه قال :

⇐ بطرس عبد الملك وآخرون . المرجع السابق ، ص ٤٨٠ ص ٤٨١ ، ص ٩٢٥ وكذا

أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ، ص ١٢٨ وكذا

محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٧) إسرائيل ، الكتاب الأول – التاريخ ، ص ٤٥٧ ص ٤٥٨ وكذا

مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط ، بإخراج إبراهيم أنيس ، وعطية الصوالحي ، وعبد الحليم منتصر ، ومحمد خلف الله أحمد ، الجزء الأول ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م ، ص ٤٤٦

(١) سورة طه ، الآيتان (٨١ ، ٨٢) .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦١ .

(٣) سفر الخروج ١٦ ١٩ ٢٠ .

(٤) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .

(٥) الكمأة : فُطْرٌ من الفصيلة الكمئية ، وهي أرضية تنتفخ حاملاتٍ أنواعها ، فتجنى فتؤكل مطبوخة ويختلف حجمها بحسب الأنواع . وينمو هذا الفطر في أماكن قريبة من جذوع الأشجار ، وكل جماعة تتكون من ١٠ – ٢٠ كمأة ويختلف لونه من الرمادي إلى البني إلى الأسود . انظر :

المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧٩٧ وكذا

محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الثاني ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، ص ١٤٧٨ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الكَمْأةُ من المنّ وماؤها شفاءٌ للعين »[١] .

وفي رواية أخرى عند مسلم بسنده عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « الكَمْأةُ من المَنّ الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل ، وماؤُها شفاءٌ للعين »[٢] .

وفي رواية أخرى أيضاً عند مسلم بسنده عن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« الكَمْأة من المَنّ الذي أنزل الله على موسى ، وماؤها شفاءٌ للعين »[٣] .

وقد بيّنت الأحاديث النبوية الصحيحة أيضاً أن بني إسرائيل إدّخروا من تلك النعم مشاقةً لله ورسوله ، حتى فسدت عليهم ، فَضَلّوا وأضَلّوا كثيراً من الناس الذين إتّبعوهم في التقليد . ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

« لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَز اللّحمُ ، ولولا حوّاء لم تَخُنْ أنثى زوجها الدَّهْرَ »[٤] .

وفي رواية عند مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لولا بنو إسرائيل لم يَخْبُث الطعام ، ولم يَخْنَزِ اللّحمُ ، ولولا حواء لم تَخُنْ أنثى زوجها الدَّهْرَ »[٥] .

---

(١) يحيى بن شرف النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ، كتاب الأشربة ، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها ، ص ٣ ، ص ٤ ؛ وكذا

أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، راجعه وقدم له ، وضبط أحاديثه ، وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، ومصطفى محمد الهواري ، والسيد محمد عبد المعطي ، ج ١٧ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ ، ص ١٤ حديث رقم ٤٤٧٨ . وانظر :

الحديث رقم ٤٦٣٩ ، ٥٧٠٨ .

(٢) يحيى بن شرف النووي : المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤ – ص ٥ .

(٤) بن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ١٣ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ ، ص ١٨٠ ، حديث رقم ٣٣٩٩ .

(٥) النووي : المصدر السابق ، ج ١٠ ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، ص ٥٩ .

وفي معنى يَخْنَز بفتح الياء والنون وبكسر النون أيضاً ، مصدره الخنز والخنوز وهو إذا تغيّر وأنتن . قال بعض ⇐

وبدلاً من أن يتوجهوا بالشكر إلى الله تعالى على ما أنعم عليهم من المن والسلوى ، فإنهم صاروا يتذمرون من هذا الطعام ، ويصخبون على موسى عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى :

﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تُنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير إهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[1] .

ذكر ابن كثير [2] عند تفسيره هذه الآية الكريمة أن بني إسرائيل ضجروا على ما رزقهم الله عز وجل من المن والسلوى ، وسألوا موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة من البقول ونحوها . فردَّ عليهم موسى عليه الصلاة والسلام كما أخبر سبحانه وتعالى :

﴿ قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴾ ففي هذا تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد ، والطعام الهنيء الطيب النافع . وردَّ عليهم موسى عليه السلام أيضاً بأن يهبطوا مصراً من الأمصار ، فهذا الذي سألتم ليس بأمرٍ عزيز بل هو كثير في أي بلدٍ دخلتموها وجدتموه ، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل لله فيه . ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ، ولا ضرورة فيه ، لم يُجابوا إليه ، والله أعلم .

= لعنهم الله بني إسرائيل لذكرهم لهم السلوى وكانوا يُقلون عن ذلك . فعوقبوا بأن قست قلوبهم . وسلبهم ما كانوا فيه من النعمة في الوقت والله أعلم . وقال بعضهم : معنى قولهم لن نصبر على طعام واحد يعنون السلوى لكثرة ما كانوا يأكلونه منها حتى أنهم لما كانوا يذكرون الثوم والعدس والبصل والقثاء والفوم في البر ، فسألوا ما كانوا يعرفونه قبل ذلك من هذه الأشياء ، وهذا هو الأظهر والله أعلم .

وانظر

المصدر نفسه ، ص ٥٩ بشرح وكذ

ابن حجر العسقلاني المصدر السابق ، ج ١٣ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، ص ١٠٣ - ص ١٠٤ حديث رقم ٣٣٣٠ وشرحه

(١) سورة البقرة ، الآية (٦١)

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ .

وقال ابن قيم الجوزية[1] :

((وهذا من سوء اختيارهم لأنفسهم ، وقلة بصرهم بالأغذية النافعة الملائمة ، واستبدال الأغذية الضارة القليلة التغذية منها ... فكانوا في أفسح الأمكنة وأوسعها ، وأطيبها هواءً ، وأبعدها عن الأذى ، ومجاورة الأنتان والأقذار ، سَقْفُهم الذي يُظِلّهم من الشمس الغمام ، وطعامهم السلوى ، وشرابهم المن ... وكانوا مع ذلك يتفجّرُ لهم من الحجر اثنا عشر عيناً من الماء ، فطلبوا الاستبدال بما هو دون ذلك بكثير ، فَذُمُّوا على ذلك)) .

ثم واصل بنو إسرائيل سيرهم ، فحسب ما ورد في التوراة[2] : ((ثم ارتحلَ كلُّ جماعة بني إسرائيل من برّية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا في رَفِيدِيم[3])) . ويبدو أنهم وصلوا إلى رفيديم بعد أن اجتازوا عدة أماكن أخرى ، بدليل النص السابق من التوراة : ((ارتحلوا من برّية سين بحسب مراحلهم)) . وهذه الأماكن أو المراحل حددّها نصٌ آخر من التوراة[4] : ((ثم رتحلوا من برّية سين

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ – ص ٣١٠ .

(٢) سفر الخروج ١٧ : ١ .

(٣) رَفِيدِيم : اسم عبري معناه " متّسعات " أو " راحات " . ومكان رفيديم غير معروف على وجه التحقيق . ولعلها في وادي رفايد شمال غربي جبل موسى . وهنالك وادي ردو وهو مجرى مياه باردة - يتصل بوادي رفايد ، وبه واحة عند سفح جبل رفايد . ويذهب البعض إلى أنه من خلال معنى هذا المكان " راحات " فيبدو أنها كانت في وادي فيران إذ أن معنى اسمها يوافقه ، لأنه كثير المياه والمراعي ، وأن ذلك الوادي يناسب سير بني إسرائيل بسعته . وهنالك موضع يُسمى " حصى الخطّاطين " فيه صخرة يُقال أنها الصخرة التي منها أخرج موسى الماء .

وهناك رأي آخر يحدد مكان رفيديم بأنها تقع على مسافة حوالي ١٠٠ كيل في الاتجاه الجنوبي من العقبة حيث يقع جبل الرافد أو رفايد ، وأنها الحوض الذي يقع في مجال هذا الوادي . وعلى بُعْد حوالي ٢٠ كيلاً تقريباً في اتجاه الجنوب الشرقي من جبل الرافد توجد واحة البدع ، أو مَدين القديمة . انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ وكذ

وام مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٠ وكذ

ألويس موسل . المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤) سفر العدد ٣٣ : ١٢ – ١٤ .

ونزلوا في دُفْقَة[١] . ثم ارتحلوا من دُفقة ونزلوا في أَلُوشَ[٢] . ثم ارتحلوا من ألوش ونزلوا في رفيديم)) .

وفي رفيديم تمرّد بنو إسرائيل أيضاً على موسى عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء في التوراة[٣] : ((ولم يكن ماءٌ ليشربَ الشعبُ . فخاصمَ الشعبُ موسى وقالوا أَعطونَا ماءً لنشربَ . فقال لهم موسى لماذا تُخاصِمونَني . لماذا تُجرّبونَ الرَّبَّ . وعَطِشَ هناك الشعبُ إلى الماءِ . وتذمّرَ الشعبُ على موسى وقالوا لماذا أصْعَدتَنا من مصر لِتُميتَنَا وأولادنا ومواشينا بالعطش . فصرخَ موسى إلى الرب قائلاً ماذا أفعلُ بهذا الشعب . بعد قليلٍ يرجمونني . فقال الربُّ لموسى مُرَّ قُدَّامَ الشعب وخُذ معك من شيوخِ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر خُذْها في يَدِكَ واذهبْ . ها أنا أَقِفُ أمامكَ هناك على الصخرة في حوريب فتضربُ الصخرةَ فيخرجُ منها ماءٌ ليشربَ الشعب . ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل . ودعا اسم الموضع مَسَّةَ ومَرِيبَة[٤] من أجل مُخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرَّبِّ قائلينَ أفي وَسطِنا الرَّبُّ أم لا)) .

---

(١) دُفْقَة : تقع في مدخل جبل سيناء في وادي فيران . وقد ذهب البعض إلى أنه ربما كان مكانها اليوم " سرابيت الخادم " ، أو مكان بالقرب من وادي مغارة ، حيث كانت فيها مناجم النحاس التي كان يستثمرها المصريون منذ القدم . انظر :
بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ وكذا
أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، العربي للإعلان والنشر والطباعة ، دمشق ، ١٩٧٢ ، ص ٢٨٦ .

(٢) أُلوش : هذا المكان الذي حلَّ فيه بنو إسرائيل أثناء ترحالهم يبدو أنه كان بالقرب من رفيديم . وهناك من يرى أن ألوش يُقصد بها وادي العريش ، شمالي جبال الحرم حيث كانت تسمى قديماً جبال ألوش . انظر
بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٠٩ وكذا
غطاس عبد الملك الخشبة : المرجع السابق ، ص ٢١٧ هامش (٢٤)

(٣) سفر الخروج ١٧ : ١ - ٧

(٤) مَسَّة ومريبة : اسم بيع بقرب رفيديم خرج من الصخر عندما ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بأمر الله تعالى فهو اسم لمكانٍ واحد . ومعنى مَسَّة أي " تجربة " حيث جرَّبَ بنو إسرائيل الرب ، حسب ما ورد في سفر الخروج ١٧ : ١ - ٧ ، وسفر التثنية ٦ : ١٦ ؛ ٩ : ٢٢ ، والمزمور ٩٥ : ٨ . أما مريبة فهو يعني " خصام أو مخاصمة " . وقد ذُكر في التوراة في سفر العدد ٢٠ : ١٣ ؛ ٢٧ : ١٤ ، وسفر التثنية ٣٢ : ٥١ ؛ ٣٣ : ٨ ، وسفر المزامير ١٠٦ : ٣٢ اسم مكان آخر في برية صين حين سمي بهذا الاسم ، وأخرج فيه موسى الماء من الصخرة بمعجزة ، ومُيّز عن مريبة المذكورة هنا بإضافته إلى قادش . انظر :
بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٨٥٥ - ص ٨٥٦ ، ص ٨٩٠ وكذا
وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

ويذكر أحد مفسّري التوراة[١] عند تفسيره للنص : ((فخاصم الشعبُ موسى)) أن الماء كان قليلاً في طريق بني إسرائيل من سين إلى وادي فيران ، وكان ما حملوه من الماء من ايليم قد نفد ، فكانوا يتوقّعون أن يرووا من مياه رفيديم ، فحمي غضبهم لشدة ظمأهم وخيبتهم ، وتوقّعهم هلاك أنفسهم ومواشيهم ، ولو كانوا على غاية من قوة الإيمان والصبر لما قاموا بتعنيف موسى عليه السلام .

ويذهب البعض إلى أن الصخرة في حوريب ، كانت معهودة لموسى عليه السلام مدة إقامته السابقة بتلك الأرض عندما كان في مدين ، وأن تلك الصخرة كان يوجد حولها الماء المغطى ، إذ يرى رواد صحراء سيناء الذين درسوا تربتها ، وجاسوا خلالها ، أمثال : جارفس Jarvis ، ولورانس Lawrence ، و وولي Woolley أنه يمكن الحصول على الماء أحياناً في هذه النواحي تحت طبقة رقيقة من الحجر الجيري على عُمق قدمين ، ويظل مخزوناً طوال العام[٢] .

والحق ، أن خروج الماء من الصخرة أو من الحجر معجزة ربّانية للرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام ، واستجابة لاستسقائه لقومه ، كما أشار لذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وإذ استسقى موسى لقومهِ فقالنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد عَلِمَ كلُّ أُناسٍ مشربَهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى موسى إذا استسقاه قومُه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلُّ أناسٍ مشربهم** ﴾[٤] .

وقد كان الله تعالى قادراً على تفجير الماء ، وفلق الحجر من غير ضرب ؛ لكن أراد سبحانه وتعالى أن يربط المسبّبات بالأسباب ، حكمةً منه للعباد في وصولهم إلى المراد ، وليُرتّبَ على ذلك ثوابهم وعقابهم في المعاد[٥] .

---

(١) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ وكذ
وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩١ ص ٢٩٣ وكذ
محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ، ص ٣٦١

(٣) سورة البقرة ، الآية (٦٠) .

(٤) سورة الأعراف ، الاية (١٦٠) .

(٥) القرطبي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

والرأي الذي أميل إليه أن هذا الحجر ليس حجراً مخصوصاً بعينه ، إذ ((يُحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد ، أي اضرب الشيء الذي يُقال له الحجر ، وعن الحسن : لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه ، قال : وهذا أظهر في المعجزة ، وأَبْيَن في القدرة ، ...))[1].

وقد أنعم الله عز وجل عليهم بنعمة أخرى ، اقترنت بالنعم السابقة ، وهي تظليلهم بالغمام الذي يقيهم حر الشمس ولهيبها . قال تعالى : ﴿ **وظلَّلنا عليكم الغمامَ وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى** ﴾[2] .

فساقَ الله عز وجل فوقهم السحاب الأبيض الذي كان يواري السماء فوقهم ويسترها ، وظللهم به في التيه ليقيهم حر الشمس ، بل كان ذلك السحاب يختلف عما يشاهده الناس ، إذ كان أحسن منه ، وأطيب وأبهى منظراً ، وأبرد[3] .

وفي رفيديم حدث صِدام عسكري بين بني إسرائيل وبين العماليق[4] ، في معركة

---

(١) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
وقد بسط ابن كثير في المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ص ١٠١ أقوال المفسّرين في الحجر الذي أُمر موسى عليه الصلاة والسلام بضربه ، فلتراجَع هناك .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٥٧) . وانظر :
سورة الأعراف ، الآية (١٦٠)

(٣) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٤ - ص ٩٥ .

(٤) العماليق أو العمالقة نسبة إلى عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح . وقد أطلق عليهم البابليون اسم " ماليق " أو " مالوق " فأضاف إليها اليهود لفظ " عم " أي الشعب أو الأمة . فقالوا : " عم ماليق " أو " عم مالوق " . فقال العرب عماليق أو عمالقة ، ثم أطلقوه على طائفة كبيرة من قدماء العرب .
وقد نزل بعض قبيلة العماليق حرم مكة المكرمة ، وبعضهم الشام . ولما كانوا في الحرم كانوا مع بني بركر يداً واحدة ، فلما حاربت بنو قنطورا جُرهماً خرج العمالقة تحرّجاً من البغي في الحرم ، فلحقوا بالشام وتمكّنوا بها فكانوا أقدم شعب سكن سوريا الجنوبية حسب ما ورد في سفر العدد ٢٤ ٢٠ . ثم استقروا في منطقة شمالي الحجاز ، مما يلي شبه جزيرة سيناء وأجزاء الجنوبي من فلسطين ، خاصة في منطقة قادش وبرية فاران وصحراء النقب وما جاورها . وقد كان العمالقة مصدراً لمتاعب بني إسرائيل طول الفترة الزمنية التي كانوا يُعسكرون أثناءها في الاقليم المحيط بقادش . انظر :
عبد الله بن مسلم بن قُتيبة : المعارف ، حقّقه وقدّم له ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص ٢٧ وكذا
الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : كتاب الإكليل ، حققه وعلّق عليه محمد بن علي الأكوع بن الحسين الحوالي ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م ، ص ١٠٤ ص ١٠٥ وكذا
⇐

حربية لامتلاك الشريط الخصيب في شبه جزيرة سيناء وهو وادي فيران ، إذ كان العماليق يرون أن تلك الأرض مُلْكهم ، وأنها أحسن أقسام البلاد لكثرة ما فيها من الواحات والمراعي الخريفية والصيفية ، وظنّوا أن بني إسرائيل ينوون الإقامة فيها ، والاعتداء على ممتلكاتهم ، بل وحسبوهم غُزاةً ومغتصبين ، ففاجأهم العماليق في وادي فيران ، حيث كان بنو إسرائيل قد بلغوا جَهْدهم نتيجة سفرهم الطويل ، ووجّهوا إليهم ضربة وقائية مفاجئة ، حيث أسَروا وقتلوا كثيرين منهم[1] .

ورد في التوراة[2] : ((وأتى عماليقُ وحاربَ إسرائيل في رفيديم . فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالاً واخرج حارب عماليق . وغداً أقفُ أنا على رأس التلّة وعصا الله في يدي . ففعل يشوع كما قال له موسى ليُحارب عماليق . وأما موسى وهارون وحور[3]

⇐ جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٥٤ وكذا

محمد عزّة دروزه : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا وبيروت ، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ، ص ٤٢ – ص ٤٣ وكذا

محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، ص ٤٤٦ – ص ٤٤٧ وكذا

ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ٣٢ – ص ٣٣ وكذا

Nadvi, S M., Ageographical History of the Qur`an, Vol I, Ashraf Press, Lahor, Pakistan, 1974, P 55,

Noth, M , Op Cit., P 77

(١) يوسف الدبس : من تاريخ سورية الدنيوي والديني ، المجلد الثاني ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٣٧ وكذا

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٣٦ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٢ وكذا

محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٧) إسرائيل ، الكتاب الأول – التاريخ ، ص ٤٦١ وكذا

ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ٣٣ وكذا

Anderson, B W., Op Cit , P 51,

Sarna, N M , Op Cit , P 125

(٢) سفر الخروج ١٧ : ٨ – ١٣ .

(٣) حور : كان شخصية مشهورة في بني إسرائيل ، على الرغم من أنه لم يرد عنه كثير من المعلومات . وكان حور على ما في تقاليد اليهود زوج مريم أخت موسى . وبناءً على سفر الخروج ٣١ : ٢ – ٨ ربما كان هو نفسه جدّ بصلئيل من قبيلة يهوذا ، رئيس الصنّاع الذين بنوا خيمة الاجتماع التي كانت بمثابة هيكل متنقّل لبني إسرائيل أثناء وجودهم في التيه . والراجح أن اسم حور اسم مصري مأخوذ من اسم الإله " حورس " . وحسب سفر الخروج ٢٤ : ١٤ كان حور مشتركاً مع هارون في حكم بني إسرائيل أثناء غياب موسى عليه السلام في جبل سيناء . انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٣ وكذا

Sarna, N M., Op Cit , P 122 .

فصعدوا على رأس التلّة . وكان إذا رفعَ موسى يدَهُ أن إسرائيل يغلِبُ وإذا خفضَ يده أنَّ عماليق يغلب . فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجراً ووضعاه تحتهُ فجلسَ عليه . ودعمَ هارون وحورُ يديه الواحد من هُنا والآخر من هُناك . فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس . فهزمَ يشوعُ عماليق وقومَهُ بحدِّ السيف)) .

وفي نصٍ آخر من التوراة[1] : ((أُذكُرْ ما فعلهُ بك عماليقُ في الطريق عند خروجك من مصر . كيف لاقاك في الطريق وقطعَ مِن مُؤَخَّرِكَ كلَّ المستضعفينَ وراءَكَ وأنتَ كليلٌ وَمُتعبٌ ولم يَخَفِ الله)) .

لقد أتاح موقع رفيديم للعمالقة سهولة الحركة ، والانقضاض على بني إسرائيل ، بحيث تمكّنوا من مهاجمتهم ، وأسر كثير منهم ، والتنقّل من معسكرٍ إلى آخر[2] . إلا أنهم حسب رواية النصوص التوراتية السابقة ، خسروا المعركة مع بني إسرائيل ، وتمَّ إلحاق الهزيمة بهم .

ويرى أحد المؤرخين[3] أن ما حدث من العماليق كان عدوان وحشي غير مُبرَّر ضد بني إسرائيل الذين لم يتوقعوا حدوثه ؛ إذ كانوا في حال ضعف وإرهاق ، وهوجموا أيضاً من الخلف ، حيث تلقّى الضعفاء والمُتعَبون حدّة العدوان الغاشم ، وفي نفس الوقت لم يكن العماليق يخشون الله ، ولم يكونوا يعبئون لأيّة اعتبارات أخلاقية .

ومما يُلفت الانتباه في نص التوراة السابق[4] ، ما يُشير إليه من موقف موسى عليه الصلاة والسلام ، فعندما كان يرفع يده يظهرُ بنو إسرائيل على العماليق ، وعندما كان يخفضها تكون الغلبة للعماليق ، حتى اهتدوا إلى الخطة العسكرية التي توقع الهزيمة بأعدائهم ، وذلك بأن قام هارون عليه السلام ومعه حور بوضع حجر ليجلس عليه موسى عليه الصلاة والسلام ، ومن ثمَّ رفع يدا موسى عليه السلام وتثبيتهما مرفوعتين إلى أعلى ، حيث ظلاّ على تلك الهيئة حتى غروب الشمس ، حيث تحقّق النصر لبني إسرائيل .

---

(١) سفر التثنية ٢٥ : ١٧ - ١٨ . وينظر :
سفر صموئيل الأول ١٥ : ٢

(٢) لويس موسل : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣) Sarna, N M , Op Cit , P 121

(٤) سفر الخروج ١٧ : ١٠ - ١٣ .

والسؤال الذي يتبادر إلى للذهن هو : ماذا يمكن أن يكون معنى تأثير وضع يدي موسى عليه الصلاة والسلام على نتيجة المعركة ؟

إن هذا ليس من السهل الإجابة عليه ، إلا أنه من الوهلة الأولى ، قد يتبادر إلى الذهن أيضاً معنى الصلاة والدعاء والتضرّع ؛ إذ أن الفزع إلى الخالق – سبحانه وتعالى في وقت الكوارث العسكرية أمر فِطري يقوم به الإنسان . والحقيقة أن جملة ((إذا رفع موسى يده)) تدل على وضع الصلاة ، أو مرادف للفعل يُصلي . إلا أن الصعوبة هنا هي أن أصل الفعل في اللغة العبرية الذي هو r - w - m والذي معناه " يرفع ، يُعظِّم " والمستخدم في السياق ، لم يُستخدم بذلك المعنى . وفضلاً عن ذلك لا يمكن الافتراض بأن موسى كان يتوقّف عن الصلاة عندما تضعف أو تسترخي يداه ، وأنه نتيجة لذلك تصير الغلبة للعماليق[1] .

وهذا المعنى " الصلاة " هو الذي يُرجّحه أحد مفسري التوراة[2] ، عند تفسيره للنص السابق ، إذ يقول : ولم يكن هؤلاء – يعني موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ، وحور – أهلاً للحرب ، لكنهم كانوا أهلاً للصلاة ، فانفردوا عن جماعة بني إسرائيل ، وأخذوا في الصلاة . فأراد الله عز وجل أن يُبيّن لبني إسرائيل قوّة الصلاة ، فجعل أحوال الحرب تتغيّر بتغيّر وضع يد موسى عليه السلام .

وثمّة رأي مُقنعٍ آخر[3] ، وهو أن موسى عليه السلام كان يرفع رايه تُساعد على حشد قوات بني إسرائيل ، وتدعم روحهم المعنوية . والكلمة المرادفة لكلمة راية في اللغة العبرية هي " نِس nes " . ومن الصعب أن تكون مصادفة كون أن موسى بعد انتهاء المعركة قد سمى المذبح الذي بناه " يَهْوَهْ نِسِّي YHVH - nissi "[4] حسب إشارة التوراة[5] .

---

(١) Sarna, N. M., Op. Cit., P. 122

(٢) وليم مارش : مرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

(٣) Sarna, N. M., Op. Cit., P. P. 122 - 123

(٤) أي الربُّ عَلَمي ، أو بيرقي ، أو رايتي ، أو لوائي . وهذا يُذكّر كلّ من شاهده أن الرب نصر الذين يعبدونه وأُريد بالعَلَم أو اللواء يهوه نفسه الذي حارب بنو إسرائيل تحت وقايته ونصره ، أي حاربوا بعبادته فغلبوا . انظر وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ، ص ٣٩٤ .

(٥) سفر خروج ١٧ : ١٥ .

وقد تعني الراية التي كان يرفعها موسى للمحاربين حضور ودعم الرب لمعسكر بني إسرائيل ، وبالتالي فإن المحافظة عليها لابدّ أن له أثراً كبيراً على معنوياتهم .

والرأي ، أن هذه المعركة التي دار رحاها بين بني إسرائيل والعماليق في رفيديم ، إن صحّت رواية التوراة ، فإنها تشير إلى سرعة تحرّك العماليق ضد القادمين الجدد ، الذين خرجوا من مصر ، ومحاولة وقف تقدّمهم نحو المنطقة التي يسيطرون عليها . ومن ناحية أخرى ، تُبيّن بعض الفقرات من الرواية التوراتية ، الموقف الذي اتّخذه موسى عليه الصلاة والسلام في مواجهة المهاجمين ؛ وهو التضرّع والدعاء إلى الله عز وجل بأن يردّ بأس الذين كفروا ، ويكشف عن قومه ما أصابهم ، ففضلاً عن كون موسى عليه الصلاة والسلام رسول الله المؤيد بالوحي الرباني ، وهو على الحق المبين ، فهو في نفس الوقت قائد كريم لبني إسرائيل ، فلابد أن يظهر الحقُّ على الباطل ويدمغه ، لأن العمالقة كانوا قوماً مشركين بالله غير موحّدين ، وبالتالي فنصر الله عز وجل لا يكون إلا للمؤمنين ، خاصة إذا كان بين ظهرانيهم رسول كريم من أولي العزم كموسى عليه الصلاة والسلام .

أما ما ورد في رواية التوراة نفسها من رفع موسى يده وخفضها ، وما ترتّب على ذلك من الغلبة أو الهزيمة ، وما قام به هارون عليه السلام وحور ، فإن ذلك يبدو من الزيادة التي دخلت على التوراة ، والتحريف الذي زخرت به كثير من نصوصها ؛ إذ يبدو من خلال سياق الرواية أن الكاتب للسِّفر كأنه يقصُّ قصة مشوّقة ، لابد له أن يضع صورة تفاصيلها .

وحسب رواية التوراة[1] : ((فسمع يثرونُ كاهن مِدْيان حمو موسى كلَّ ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه . أنَّ الربَّ أخرجَ إسرائيل من مصر . فأخذَ يثرون حمو موسى صِفُّورة امرأة موسى بعد صَرْفِها وابنيها[2] اللذين اسم أحدهما جِرْشُوم لأنه قال

---

(١) سفر الخروج ١٨ ١ - ٥ .

(٢) هذه الرواية تتعارض مع ما ورد في سفر الخروج ٤ : ٢٠ ((فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر)) . وتتعارض أيضاً مع ما ورد في القرآن الكريم في سورة طه الآية ١٠ ، وسورة النمل الآية ٧ ، وسورة القصص الآية ٢٩ والتي كلها تشير إلى اصطحاب موسى عليه الصلاة والسلام أهله أثناء عودته إلى مصر . وهذا التناقض ، كما يقول محمد بيومي مهران في المرجع السابق ، ص ٤٦٢ لا يُرجَّحُ كثيراً ، فهو نوع من تناقض نصوص التوراة ، ونظائره كثيرة .

كنتُ نزيلاً في أرضٍ غريبة واسم الآخر أليعازر لأنه قال إلهُ أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون . وأتى يثرون حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى إلى البرّية حيث كان نازلاً عند جبل الله)) .

وتشير التوراة[١] إلى أن حمو موسى بعد لقائه بالرسول الكريم رأى الطريقة التي يقضي بها موسى عليه الصلاة والسلام بين بني إسرائيل ، فأشار عليه بأن يختار من بينهم ذوي قدرة خائفين الله ، أمناءَ مُبْغضين الرشوة ، ويقيمهم عليهم رؤساء فيقضون للشعب كل حين في الدعاوي الصغيرة ، ويجيئون بالدعاوي العَسِرَة إلى موسى عليه الصلاة والسلام ليقضي فيها .

وبين برية سين وبرية سيناء ، والمعسكر في رفيديم ، وما تلا ذلك من أحداث ، بين هذه المراحل جميعاً انقضت بضعة أسابيع ، وإذا ببني إسرائيل منذ خروجهم ، في متاهة تمتد إلى شهرين ، ابتدأت من الخامس عشر من الشهر الأول حتى الخامس عشر من الشهر الثالث[٢] .

جاء في التوراة[٣] : ((في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر في ذلك اليوم جاءوا إلى برّية سيناء . ارتحلوا من رفيديم وجاءُوا إلى برّية سيناء فنزلوا في البرّية . هناك نزل إسرائيلُ مقابل الجبل))[٤] .

---

(١) سفر الخروج ١٨ : ١٣ - ٢٧ .

(٢) نجيب ميخائيل إبراهيم المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٣) سفر الخروج ١٩ : ١ - ٢ . وينظر :
سفر العدد ٣٣ : ١٥ .

(٤) المقصود بالجبل هنا هو جبل الطُّور ، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في عشرة مواضع . فقد ورد لفظ الطور مفرداً في ثمان مواضع ، في سورة البقرة الآيتان ٦٣ ، ٩٣ ، وفي سورة النساء الآية ١٥٤ ، وفي سورة مريم الآية ٥٢ ، وفي سورة طه الآية ٨٠ ، وفي سورة القصص الآيتان ٢٩ ، ٤٦ ، وفي سورة الطور الآية ١ . وورد باسم " طور سيناء " مرة واحدة في سورة المؤمنون الآية ٢٠ . ومرة واحدة أيضاً باسم " طور سينين " في سورة التين الآية ٢ .
واختلف المفسّرون في تفسير الطُّور ، فقيل : هو اسم للجبل الذي كلّمَ اللهُ عليه موسى عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه فيه التوراة . وقيل إن الطور اسم جبل مخصوص . وقيل : اسمٌ لكل جبل . وقال : لا يُسمّى طوراً حتى يكون ذا شجر فإذا كان عليه شجرٌ وشجر فيه . طور سيناء . ولا يُقال للجبل الأجرد طورٌ أما التوراة فإنها تذكر اسم هذا الجبل بألفاظ كثيرة : فقد ذُكر باسم جبل سيناء ٣٥ مرة ، وباسم جبل حوريب ⇐

= ١٧ مرة ، وفي بعض النصوص باسم جبل الرب أو جبل الله . وهو يبعد عن قادش برنيع مسيرة أحد عشر يوماً عن طريق جبل سعير حسب رواية سفر التثنية ١ . ٢ ، وعلى مسيرة ثلاثة أيام من مصر حسب رواية سفر الخروج ٥ : ٣ . وحسب رواية التوراة في سفر الخروج ١٩ : ١٢ ؛ ٢٠ : ١ ؛ ٢٤ : ٨ فإن الرب أنزل على موسى عليه الصلاة و لسلام الوصايا العشر من على هذا الجبل ، ليُعلّمها لبني إسرائيل ، وفيه أُخذ عليهم العهد بأن يعبدوا الله ولا يُشركوا به . ومن خلال سفر الخروج ٣ : ١ يُستدل على أن جبل الرب يقع في الأرض التي كانت تسكنها قبيلة حمو موسى المدين ، ولكن على مسافة من مسكنه ؛ إذ أن أرض مدين كانت تقع إلى الجنوب الشرقي من النهاية الشمالية لخليج العقبة .

وهناك عدة آراء تُحدد موقع جبل الطور أو جبل سيناء ، أهمها :

أولاً : أنه جبل سربال في وادي فيران . ولكن لا توجد عند هذا الجبل برّية تكفي لأن يُعسكر فيها بنو إسرائيل كلهم مدة سنة .

ثانياً : أنه جبل موسى الذي يرتفع حوالي ٧٣٦٣ قدماً عن سطح البحر ، وعلى رأسه شُيدت كنيسة القدّيسة كاترين ، وجامع صغير .

ثالثاً : أنه جبل المناجاة ، ويقع شمال جبل موسى ، وارتفاعه نحو ٦٠٠٠ قدم .

رابعاً : أنه جبل الصفصافة ، الذي يرتفع حوالي ٦٧٦٠ قدماً . ويضم في سهل فسيح في غربي الجبل يُسمى سهل الراحة ، ومساحته ميل مربع ، وارتفاعه عن سطح البحر ٥٠٠٠ قدم ، وهو السهل الذي تجمّع فيه بنو إسرائيل عند تلقّيهم الوصايا العشر .

خامساً : يذهب الاستاذ اليهودي " هرزيل " بعد رحلة تحريرية في المنطقة بأن جبل سيناء هو جبل " سن بشر " ، مستدلاً برواية التوراة في سفر العدد ٣٣ : ١٨ من أن بني إسرائيل ذهبوا بعد جبل سيناء إلى رِثْمة ، وأنه بالفعل توجد واحة اسمها حالياً رثماح على مسافة ١٩ كيلاً تقريباً من جبل سن بشر

والرأي الذي عليه التحقيق أن جبل الطور ، أو طور سيناء هو اسم للجبل الذي كلّم الله عز وجل عليه رسوله موسى عليه الصلاة والسلام ، وتنزل عليه منه التوراة . ويقع هذا الجبل على مسافة ٦٠ كيلاً إلى الشمال الشرقي من مدينة الطور الواقعة على خليج السويس بمصر .

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٧ وكذا

ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٤ وكذا

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ وكذا

محمد فؤاد عبد الباقي : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ وكذا

ناصر عبد الله الصالح ، محمد محمود السرياني ، معجم أسماء ومواقع في القرآن الكريم ، بحث غير منشور ، كلية العلوم الإجتماعية قسم الجغرافيا ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ ، مادة رقم ٤٩ (الطور) وكذا

يعقوب لك شقير : المرجع السابق ، ص ٢٩ ص ٣٣ وكذا

Cook, S. A., " The Rise of Israel ", CAH, Vol II, 1940, P. 362 .

Lods, A., Israel From Its Beginnings to the Middle of the Eighth Century, Routledge and Kegan Paul, London, 1962, P P 178 - 179 .

Kapelrud, A. S., Israel from the Earliest Times to the Birth of Christ, Translated by J M Moe, Oxford, 1966, P P 24 - 25 ,

Bernstein, B , Op Cit., P P 10 - 12, 40, 45, 114 - 119, 122 - 124, 126 - 129

الله عز وجل أنه لم يستطع مواصلة رؤية اليسير من خلق الله وهو حال الجبل ، فكيف يستطيع أن يرى باريء الأرض والسماوات[١] .

والآية القرآنية السابقة ليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله عز وجل في الآخرة ، كما دلّ على ذلك القرآن الكريم ، والسنّة الصحيحة المتواترة ، وغاية ما تدل عليه امتناع الرؤية البصرية في الدنيا ؛ لأن العين الفانية لا تقدر أن ترى الذات الإلهية الباقية[٢] .

وفي الآية القرآنية آنفة الذكر دليلٌ قاطع على بُطلان رواية التوراة[٣] ، إذ جاء في النص : ((ثم صعد موسى وهارون وناداب وأَبيهو[٤] وسبعون من شيوخ إسرائيل . ورأوا إله إسرائيل وتحت رِجْلَيه شِبْهُ صَنْعَةٍ من العقيق الأزرق الشَّفَّاف وكذاتِ السماء في النَّقَاوة . ولكنَّهُ لم يَمُدَّ يَدَهُ إلى أشرافِ بني إسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا)) .

فإذا كان موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو رسول الله وكليمه ، لم يستطع رؤية الله عز وجل ، فكيف يمكن تصديق رواية التوراة في ذلك ؟ . لا شك أن ذلك من التحريف الواضح الذي دخل التوراة ، وهو مما لا يمكن قبوله أو التصديق به .

---

(١) السيد رزق الطويل : بنو إسرائيل في القرآن ، الطبعة الثانية ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م ، ص ٩٠ ص ٩١ .

(٢) محمد محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، الطبعة الرابعة ، مكتبة السُّنّة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٠٠ .

ولمزيد من الدراسة ، انظر :

ابن كثير : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ص ٢٤٦ وكذا

محمد محمد أبو شهبة : مرجع سابق ، ص ١٩٨ - ص ٢٠١ وكذا

أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ، الطبعة الأولى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م ، ص ١٥ - ص ٢٤٠ .

(٣) سفر الخروج ٢٤ : ٩ ١١ .

(٤) ناداب وأبيهو هما ابنا هارون عليه الصلاة والسلام ، وكانا من ضمن الذين كُرّموا كهنة سرب ، حسب رواية سفر خروج ٢٨ : ١ . ووفقاً لما ورد في سفر اللاويين ١٠ : ١ ٧ ، وسفر العدد ٢٦ : ٦١ فإنهما ماتا عندما قدّما ناراً غريبة أمام الرب انظر :

جورس هنري وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ص ٩٤٥ .

وفي الحديث الصحيح أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما يهوديٌّ يعرضُ سلعةً له أُعطيَ بها شيئاً كرهه أو لم يَرْضَهُ قال : لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر . قال : فسمِعَهُ رجلٌ من الأنصار فلطم وجهَهُ قال : تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا ، قال : فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا أبا القاسم إنَّ لي ذمّةً وعهداً ، وقال : فلانٌ لطمَ وجهي ، فقال رسول الله ﷺ : ((لِمَ لطمتَ وَجْهَهُ)) قال : قال يا رسول الله والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنتَ بين أظهُرنا ، قال : فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى عُرِفَ الغضبُ في وجههِ ثم قال : ((لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله ، فإنه يُنفخُ في الصُّور فَيَصْعَقُ مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض إلاَّ مَنْ شاءَ الله قال ثُم يُنفخُ فيه أخرى فأكونُ أوّلَ مَنْ بُعِثَ أو في أوّلِ مَنْ بُعث فإذا موسى عليه السلام آخذٌ بالعرش فلا أدري أحوسِبَ بصَعقتهِ يومَ الطُّور أو بُعث قبلي ولا أقولُ إن أحداً أفضلُ من يونس بن مَتَّى عليه السلام))[1] .

ومما ورد في شرح هذا الحديث النبوي الشريف ما ذكره أحد العلماء[2] بقوله : ((قال القاضي [عياض] : يُحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشقّ السموات والأرض ، فتنتظم حينئذٍ الآيات والأحاديث ، ويؤيده قوله ﷺ " فأفاق " لأنه إنما يُقال أفاق من الغشي وأما الموتُ فيقال بُعث منه ، وصعقة الطور لم تكن موتاً . وأما قوله ﷺ : ((فلا أدري أفاقَ قبلي)) فيُحتمل أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه أوّلُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرض إن كان هذا اللفظ على ظاهرهِ ، وأن نبينا ﷺ أول شخصٍ تنشقُّ عنه الأرض على الإطلاق . قال : ويجوز أن يكون معناه أنّهُ من الزمرة الذين هم أول مَنْ تنشقّ عنهم الأرض ، فيكون موسى من تلك الزمرة ، وهي والله أعلم زمرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم)) .

- الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري . صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم ، ص ٨٤٣ ص ١٨٤٤ حديث رقم ١٥٩ ، ص ١٨٤٥ حديث رقم ١٦٢ وكذا

ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ١٧٩ - ص ١٨٠ حديث رقم ٣٣٩٨ .

(١) النووي : المصدر السابق ، ج ١٥ ، كتاب الفضائل ، باب فضائل موسى صلى الله عليه وسلم ، ص ١٢٩ ص ١٣١ . وانظر :

ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ١٩٤ - ١٩٧ حديث رقم ٣٤٠٨ .

(٢) النووي : المصدر السابق ، ج ١٥ ، ص ١٣١ ص ١٣٢ .

وقد أخبرَ اللهُ سبحانه وتعالى أنه اصطفى رسوله موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه ، فقال تعالى : ﴿ **قال يا موسى إنّي اصطفيتُكَ على الناس برسالاتي وبكلامي فَخُذْ ما آتَيتُكَ وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شيءٍ موعظةً وتفصيلاً لكل شيءٍ فَخُذْها بقُوةٍ وأمُرْ قومَكَ يأخذوا بأحسَنِها سأوريكم دار الفاسقين** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسَنَ وتفصيلاً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً لعلّهم بلقاء ربّهم يؤمنون** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وآتينا موسى الكتاب وجعلناهُ هُدىً لبني إسرائيل ألاَّ تتخذوا من دوني وكيلاً** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الهُدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب . هُدىً وذكرى لأولي الألباب** ﴾[4] .

وقد أشارت التوراة[5] بصورة تفصيلية إلى الشريعة التي أمر الله عز وجل بها رسوله موسى عليه السلام ، ليعمل بها بنو إسرائيل ، فإذا عصوا ونكثوا فإن الله عز وجل سيصيبهم بعذابٍ من عنده . وهذه الشريعة كان قد وعَدَهُ اللهُ بها قبل صعوده إلى جبل الطور ، كما جاء في التوراة[6] : ((وقال الربُّ لموسى اصعد إليَّ إلى الجبل وكن هناك . فأُعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوَصيّة التي كتبْتُها لتعليمهم)) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات (١٤٤ ، ١٤٥) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٢) .

(٤) سورة غافر ، الآيتان (٥٣ ، ٥٤) .

(٥) سفر الخروج ١٩ إلى سفر الخروج ٣١ . وانظر :
سفر التثنية ٤ : ١٥ - ١٩ ؛ ٥ : ٧ - ٢١ ؛ ٦ : ١٤ .

(٦) سفر الخروج ٢٤ : ١٢ . وانظر : سفر الخروج ٣١ : ١٨ ؛ ٣٢ : ١٥ - ١٦ وكذا سفر التثنية ٤ : ١٣ ؛ ٥ : ٢٢ ؛ ٩ : ١٠ - ١١ .

وبنزول التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام تمَّ بناء الحياة الاجتماعية لبني إسرائيل ؛ فقد تلقّى الرسول الكريم الوصايا العشر[١] ، التي تكوّنت من قسمين رئيسين : قسم يتعلق بالعقيدة ينص على عبادة الإله الواحد ، وعدم تجسيده أو تشبيهه بشيءٍ من خلقه . والقسم الآخر يتعلق بالبناء الاجتماعي لبني إسرائيل ، وأُسس ذلك البناء التي تقوم على أسس أخلاقية هدفها تنظيم المجتمع ، والحفاظ عليه ، وضمان استمراره عن طريق تنظيم العلاقات بين أفراده ، وربطها بالدين والوحي ، وعدم تركها للظروف الطارئة أو مُتغيّرات الحياة . مما جعل هذه المرحلة من حياة بني إسرائيل تتميّز بامتزاج الأبعاد الدينية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، لتُعطي لهم شكلاً جديداً في هيئة جماعة منظمة تنظيماً دينياً واجتماعياً قوّى الشعور القومي لديهم ، ويتميّزون بأنفسهم كجماعة تختلف عن المصريين أو غيرهم[٢] .

---

(١) الوصايا العشر Decalogue : هي مُلخّص التعاليم الدينية التي أوحى الله بها إلى موسى عليه الصلاة والسلام على جبل طور سيناء ، وكُتبت على لوحي حجر وفقاً لما ورد في سفر الخروج ٣١ : ١٨ وتُدعى أيضاً " كلمات العهد " و" لوحي الشهادة " و" الشهادة " حسب ما ورد في سفر الخروج آنف الذكر ، وفي الاصحاح ٢٥ : ١٦ ، وسفر التثنية ٢٩ : ١ . وتعتبر الوصايا العشر أساس كثير من المبادىء الأخلاقية عند اليهود ، وتنطوي على حكمة اجتماعية روحية عُبّرت عن مميزات بني إسرائيل ، وعلى توجيهات وإرشادات للحياة الصالحة ، وهي موجز لكثير من تعاليم التوراة . وهذه الوصايا هي :

١ - لا تجعل لك إلهاً غيري . ٢ - لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً

٣ - اذكر يوم السبت لتقدّسه ٤ - أكرم أباك وأمّك .

٥ - لا تقتل . ٦ لا تزنِ . ٧ - لا تسرق ٨ لا تشهد زوراً .

٩ - لا تشتهِ بيت قريبك . ١٠ - لا تشتهِ امرأة قريبك .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض علماء نقد التوراة يشكّون في نسبة الوصايا العشر إلى موسى عليه الصلاة والسلام . ويعتقدون أن نسبتها إليه قد تمت في عصر متأخر . انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٠٢٩ وكذا

محمد شفيق غربال وآخرون : المرجع السابق ، المجلد الثاني ، ص ١٩٥٣ وكذا

Sarna, N M , Op Cit. P P. 139, 141, 144, 146, 208 - 209, 213

(٢) محمد خليفة حسن أحمد . " التاريخ العبري القديم : رؤية نقدية عامة " ، مجلة الفيصل ، العدد ٨٠ ، السنة السابعة ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٤٧

عبادة بني إسرائيل العجل :

لّما كان موسى عيه الصلاة والسلام في جبل الطور حيث واعده الله عز وجل أربعين ليلة ، وأنزل عليه التوراة فيها حُكم الله وشريعته لبني إسرائيل ، كما قال تعالى : **﴿ وكيف يُحكّمونك وعندهم التوراة فيها حُكم الله ثم يتولّون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . إنا أنزلنا التوراة فيها هُدىً ونور يحكمُ بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربّانيونَ والأحبارُ بما استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾**[1] .

ولما رأى بنو إسرائيل أن موسى عليه الصلاة والسلام قد طالت غيبته ، وقعوا في أخطر انحرافٍ عقدي ، وهو الردّة عن الإسلام وعبادة العجل . وحسب تعبير أحد الباحثين[2] ، كانت هذه الردّة أشنع ردّة عرفها البشر في تاريخهم الطويل ؛ لأنها وقعت وآيات الله تُتلى عليهم ، وبيّناته تتوالى فيهم ، ورسوله هارون عليه السلام ينهاهم ويذكّرهم بالله تعالى ، وموسى في مناجاة ربّه ليعود إليهم بما يُسعدهم في الدنيا والآخرة .

والتراث الديني الإسرائيلي ، يزخر بأدلة لا تقبل الشك ، على أن بني إسرائيل الذين رافقوا موسى عليه الصلاة والسلام إلى سيناء ، لم يكونوا قادرين على حمل عبء عقيدة التوحيد ، وفلسفته التجريدية الروحية الرفيعة ، ولم يجدوا فيما تُقدّمهُ الديانة الجديدة التي جاء بها الرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام ما يُشبع حاجتهم إلى الاعتبارات المادّية ، وأبلغ دليل على ذلك عبادتهم للعجل[3] .

قال تعالى : **﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً ثم اتّخذتم العجل من بعدهِ وأنتم ظالمون ﴾**[4] .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان (٤٣ ، ٤٤) .

(٢) عبد الشكور محمد أمان العروسي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٣) محمد العزب موسى : " موسى في سيناء " ، مجلة الهلال ، العدد السادس ، السنة التاسعة والسبعون ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ٧٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٥١) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبيّنات ثم اتخذتم العجل من بعدهِ وأنتم ظالمون ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ ثم اتّخذوا العجل من بعد ما جاءَتهم البيّنات ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ واتّخذ قومُ موسى من بعده من حُليّهم عجلاً جسداً له خُوَار ألم يروا أنّهُ لا يُكلّمهُم ولا يهديهم سبيلاً اتّخذُوه وكانوا ظالمين ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وما أعجَلَكَ عن قومكَ يا موسى . قال هم اولاءِ على أثري وعجلتُ إليكَ ربي لترضى . قال فإنّا قد فتنّا قومَكَ من بعدِكَ وأضلّهمُ السامريّ . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسِفاً قال يا قومِ ألم يعدكُم ربُّكم وعداً حسناً أفطالَ عليكم العهدُ أم أردتم أن يحلَّ عليكم غضبٌ من ربّكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعِدَك بملْكِنا[٥] ولكنّا حُمّلنا أوزاراً من زينةِ القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري . فأخرجَ لهم عجلاً جسداً له خُوار فقالوا هذا إلهُكم وإلهُ موسى فنَسِيَ . أفلا يرون ألاَّ يرجعُ إليهم قولاً ولا يملكُ لهم ضرّاً ولا نفعاً . ولقد قال لهم هارونُ من قبلُ يا قومِ إنما فُتنتم به وإنَّ ربّكم الرحمنُ فاتّبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾[٦] .

فأخبرَ الله جلّ ذِكْرُه عنهم أنهم ضلّوا بما لا يضلُّ بمثلهِ أهل العقل ، وذلك أن الرب جلّ جلاله الذي له مُلك السماوات والأرض ، ومدبّر ذلك ، لا يجوز أن يكون جسداً له خوار ، لا يُكلّم أحداً ، ولا يُرشد إلى خير ، فعكفوا عليه يعبدونه جهلاً منهم ، وذهاباً عن الله وضلالاً[٧] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٩٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٩٣) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٥٣) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٤٨) .

(٥) قال البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : بملْكِنا أي بأمْرِنا . انظر :
البخاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، كتاب التفسير ، باب رقم ٢٢٧ تفسير سورة طه ، ص ١٧٦٣

(٦) سورة طه ، الآيات (٨٣ - ٩١) .

(٧) الطبري : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ١١٧ .

فبني إسرائيل قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام عند رجوعه إليهم : بأننا لم نُخلِف بإرادتنا وقدرتنا ما وعدناك به ، وأعطيناك عليه عهودنا من الثبات على الدين أثناء غيابك ، ولكن هذا الذي حصل خارج عن قدرتنا واستطاعتنا . فأقرّوا بأنهم كانوا حقيقة مرتدّين عن دين الله بعد أن تفرّقوا عن الحقّ ، وتشعّبَ بهم الباطل ، فكان من السهل على الشيطان أن يغويهم ويستهويهم عن عباة الرحمن ، ليضلّوا ويزيغوا عن صراط الحق المستقيم ، الذي بيّنهُ لهم موسى عليه الصلاة والسلام ، وأخوه هارون عليه الصلاة والسلام .

قال أحد العلماء[1] : ((ومِنْ تَلاعُبِ الشيطان بهم عبادتهم العجل من دون الله تعالى ، وقد شاهدوا ما حلَّ بالمشركين من لعقوبة ، والأخذة الرّابية ، ونبيُّهم حيٌّ لم يمت . هذا ، وقد شاهدوا صانِعَهُ يَصْنَعهُ ويصوغُه ، ويَصليه النار ، ويَدُقُّهُ بالمطْرقة ، ويَسْطوُ عليه بالمِبرَد ، ويُقلّبه بيديه ظهراً لبطن . ومن عجيب أمرهم أنهم لم يكتفوا بكونهِ إلههم ، حتى جعلوه إله موسى . فنسبوا موسى عليه السلام إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى ، بل عبادة أبلد الحيوانات ، وأقلّها دفعاً عن نفسه ، بحيث يُضرَبُ به المثل في البلادة والذُّلّ ، فجعلوه إله كليم الرحمن)) .

وكذلك عند رجوع موسى عليه الصلاة والسلام إليهم ، بعد ما أخبره الله تعالى بذلك ، كان في غاية الغضب والحنق عليهم ، وهو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم وتسلّم التوراة التي فيها شريعتهم ، وفيها شرفٌ لهم ، وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كلُّ عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه ، وسخافة عقولهم وأذهانهم[2] .

أما ما ورد في التوراة ، فإن مُحرّفي الكلِمَ عن مواضعه ، جعلوا نبي الله هارون عليه الصلاة والسلام هو الذي يصنع هم العجل ليعبدوه . فقد جاء في النص[3] : ((ولّما رأى الشعبُ أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعبُ على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهةً تسيرُ أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرضِ مصر لا نعلمُ ما أصابَهُ . فقال لهم هارون انْزِعُوا أقراط الذهب التي في آذان نسائِكم وبنيكم وبناتِكم

---

(١) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦١ ص ١٦٢ .

(٣) سفر الخروج ٣٢ : ١ - ٨ . و نظر :

سفر التثنية ٩ : ١١ - ١٢ ، ١٥ ١٦

وأتوني بها . فنزعَ كلُّ الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذَ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصَنَعَهُ عجلاً مسبوكاً . فقالوا هذه آلِهتُكَ يا إسرائيل التي اصعَدَتْكَ من أرض مصر . فلما نظرَ هارونُ بنى مذبحاً أمامه . ونادى هارونُ وقال غداً عيدٌ للرب . فبكّروا في الغد وأصعَدوا مُحْرَقاتٍ وقدّموا ذبائح سلامة . وجلس الشعبُ للأكل والشُّرب ثم قاموا لِلّعبِ فقال الربُّ لموسى اذهب انزل . لأنه قد فَسَدَ شعبُك الذي أصعدتَهُ من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتُهُم به . صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتُكَ يا إسرائيلُ التي أصعدتك من أرض مصر)) .

وهذا بلا شك افتراء عظيم على نبي الله هارون عليه الصلاة والسلام ، وهو بريء مما أُتّهم به في التوراة المحرّفة ، حيث برّأهُ الله عز وجل في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قال تعالى : ﴿ **ولقد قال لهم هارونُ من قبلُ يا قوم إنما فُتنتم به وإنّ ربّكم الرحمن فاتّبعوني وأطيعوا أمري** ﴾[1] .

فهارون عليه الصلاة والسلام لما رآهم قد انحرفوا عن جادة الصواب ، وتركوا عبادة الله عز وجل ، لم يألُ جُهداً في نهيهم ونُصْحهم ، حيث نهاهم عن عبادة العجل أشدّ النهي ، وأمرهم بالرجوع إلى الله عز وجل وعبادته وحده بلا شريك ، إلا أنهم لم يستجيبوا له ، بل انهم كادوا يقتلونه ، كما أخبر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **ولما رجع موسى إلى قومِه غضبان أسِفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمرَ ربّكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يَجُرُّه إليه قال ابنَ أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمت بيَ الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين . قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين** ﴾[2] .

وكلَّ ما أخذه موسى عليه الصلاة والسلام على أخيه هارون عليه الصلاة والسلام أنه لم يتركهم ويلحق به ، كما قال تعالى : ﴿ **قال يا هارونُ ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا . ألاّ تتبعنِ أفعصيت أمري . قال يا ابن أُمَّ لا تأخُذ بلحيتي ولا برأسي إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقُبْ قولي** ﴾[3] .

---

(١) سورة طه ، الآية (٩٠) .
(٢) سورة الأعراف ، الآيتان (١٥٠ ، ١٥١) .
(٣) سورة طه ، الآيات (٩٢ - ٩٤) .

وكان موسى عليه لصلاة والسلام عند وصوله إليهم قد ألقى الألواح التي في يده من شدة الغضب ، وهول المفاجأة ، حيث رأى قومه عاكفين على العجل .

قال تعالى : ﴿ **وألقى الألواح وأخذَ برأس أخيه يَجُرُّهُ إليه** ﴾[1] .

وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : ((ليس الخبرُ كالمُعاينة ، إنّ الله تعالى أخبرَ موسى بما صَنَعَ قومُه في العجل فلم يُلقِ الألواح ، فلما عاينَ ما صنعوا ، ألقى الألواح فانكسرتْ))[2] .

فموسى عليه لصلاة والسلام لما رأى ما أصاب قومه من الفتنة اشتدّ غضبه وألقى الألواح ، وفيها كلام الله الذي كتبه له ، وأخذ برأس أخيه ولحيته ، ولم يَعْتبِ اللهُ عليه في ذلك ، لأنهُ حَمَلَهُ عليه الغضب لله . وكان الله عز وجل قد أعلَمَهُ بفتنةِ قومهِ ، ولكن لما رأى الحالَ مُشاهدةً حدثَ له غضبٌ آخر ، فإنه ليس الخبر كالمعاينة[3] .

لذلك ، فإن موسى عليه الصلاة والسلام ما ألقى الألواح إلاّ حميّةً للدّين ، وغيرةً من الشرك برب العالمين ، فعجّلَ بوضع الألواح لِتَفرَغَ يَدَهُ فيأخذ برأس أخيه ، فَعُبِّرَ عن ذلك الوضع بالإلقاء تفظيعاً لفعل قومهِ الذي كان سبباً له ، وليس في وضع الألواح إهانةً لكلام الله عز وجل[4] .

أما فيما يتعلق بالذي تبوّأ وزر صناعة العجل لبني إسرائيل فقد أخبر القرآن الكريم أنه " السامريّ "[5] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **قال فإنّا قد فتنّا قومَك من بعدِكَ وأضلّهُمُ**

---

(١) سورة لأعراف ، الآية (١٥٠) .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع لصغير وزيادته (الفتح لكبير) ، لمجلد الخامس ، لطبعة الثالثة ، لمكتب لإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٨٧ حديث رقم ٥٢٥٠ .

(٣) ابن قيّم الجوزية : المصدر لسابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٤) محمد أبو النور الحديدي : عصمة الأنبياء والردّ على لشُّبه الموجهة إليهم ، مطبعة الأمانة ، لقاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٤١ وكذا

محمد محمد أبو شهبة : المرجع لسابق ، ص ٢٠٥ .

(٥) السامريّ : هو موسى بن ظفر . وقد روى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان السامري رجلاً من أهل باجَرْما (وهي قرية من أعمال لبليخ ، قرب لرقة من أرض الجزيرة في بلاد لرافدين) من قوم يعبدون البقر ، وكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل . وقيل : إنه كان من كرمان ، وقيل : كان من قرية سامراء . وقيل : كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة .

⇐

السامريّ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **فقذفناها فكذلك ألقى السامريّ ﴾**[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **قال فما خَطبُك يا سامريّ ﴾**[٣] .

والفتنة التي أحدثها السامري تدل على أنه رجل سقيم الإيمان ، مزعزع العقيدة ، له مقدرة بالغة على الإغواء والتضليل ، بحيث استطاع أن يُقنع بني إسرائيل بأن العجل الذي صنعه لهم هو إلههم وإله موسى .

قال تعالى : ﴿ **قال فما خطبُك يا سامريّ . قال بَصُرت بما لم يَبْصُروا به فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول فنبذتُها وكذلك سوّلت لي نفسي . قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس وإنَّ لك موعداً لن تُخلَفه وانظر إلى إلـهِكَ الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً لَنُحرقنَّهُ ثم لننسفنَّهُ في اليم نسفاً . إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كلَّ شيءٍ علماً ﴾**[٤] .

وقال تعالى : ﴿ **فأخرجَ لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلـهُكم وإلـهُ موسى فَنَسِيَ . أفلا يرون ألاَّ يرجِعُ إليهم قولاً ولا يملك لهم ضَرّاً ولا نفعاً ﴾**[٥] .

قال أحد العلماء[٦] : ((وأما الخوار فقد صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لا يجوز سواه ، وأنه إنما كان دويّ الريح تدخل من قُبُلِهِ وتخرج من دُبُرِهِ ، وهذا هو الحق ،

← وكل هذه الأقوال مظنونة غير محققة ولا مؤكدة . انظر :

ابن قتيبة : المصدر السابق ، ص ٤٤ وهامش (٣) وكذا

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ح ١ ، ص ٣١٣ وكذا

ابن كثير . المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١٦٣ وكذ

محمد سيد طنطاوي : المرجع السابق ، ص ٤٨٧ هامش (٢) .

(١) سورة طه ، الآية (٨٥) .

(٢) سورة طه ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة طه ، الآية (٩٥) .

(٤) سورة طه ، الآيات (٩٥ - ٩٨) .

(٥) سورة طه ، الآيتان (٨٨ ، ٨٩) .

(٦) ابن حزم الظاهري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٨ . وانظر :

فخر الدين الرازي : المصدر السابق ، ح ٢٢ ، ص ١٠٣ وكذا

ابن كثير : المصدر السابق ، ح ٣ ، ص ١٦٢ .

لأنه تعالى أخبر أنه لا يُكلّمهم ، ولو خار من عند نفسه لكان ضرباً من الكلام ، ولكانت حياة فيه ، وهو مُحال ، إذ لا تكون معجزة ، ولا إحالة لغير نبيٍّ أصلاً)) .

وعلى ذلك ، فليس صحيحاً ما ذهب إليه البعض[١] ، من أن العجل الذي دعا السامري إلى عبادته إنما هو عجل حقيقي ذو جسدٍ وروح ، يحسّ ويتحرّك ، وله خوار حقيقي ، إذ أن السامري اشتراه دون أن يشعر به أحد ، ولو كان العجل مصنوعاً من ذهب فلا يمكن أن يحترق ويُنسَف في اليمّ ، وإنما يذوب ويُراق بعد إذابته ، لأن الذي يُنسف هو الرماد المتخلّف عن الجسد الحقيقي المحروق .

وفي قوله تعالى : ﴿ **فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فَنَسي** ﴾[٢] ، ما يدل على أن قوله " فَنَسِي " من كلام السامري وعُبّاد العجل معه ، وإن كانت هناك رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن هذا إخبارٌ من الله تعالى عن السامري أنه نسي ، أي ترك ما كان عليه من الإيمان والإسلام . والصحيح ، القول الأول ، والسياق يدلُّ عليه ، ولم يذكر البخاري في التفسير غيره ، إذ قال : فنسي موسى ، أي أن بني إسرائيل الذين عبدوا العجل يقولون مع السامري : فنسي موسى ، أخطأ الرب أن لا يرجع إليهم قولاً في العجل . فالسامري لّما جعله إله موسى استحضر سؤالاً من بني إسرائيل يوردونه عليه ، فيقولون له : إذا كان هذا إله موسى ، فلأيّ شيءٍ ذهبَ عنه لموعد إلهه ؟ فأجاب عن هذا السؤال قبل إيراده عليه بقوله : " فنسي " ، وهذا من أقبح تلاعب الشيطان بهم[٣] .

ويذهب أحد العلماء[٤] إلى ((أن السامري كان صانعاً ومتّالاً يصنع تلك الصور والتماثيل في مصر للعجول وغيرها ، وأنه كان كنوداً حسوداً ، يحسد موسى عليه الصلاة والسلام على ما وهبه الله من النبوّة والرياسة بالحق على بني إسرائيل ، فانتهز فرصة ذهابه

---

(١) محمد الطيّب النّجار : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسّنّة النبوية ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٢٠ .

(٢) سورة طه ، الآية (٨٨) .

(٣) ابن قيّم الجوزية : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠١ وكذا
ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٢ وكذا
ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ١٧٦ .

(٤) محمد حامد الفقي عند تعليقه على صناعة السامري للعجل في تحقيقه لكتاب . ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ هامش (١) .

لميقات ربّه ، وقال لبني إسرائيل : إن ما تحملون من حُليّ المصريين عليه من صور آلهتهم ومعبوداتهم ، وذلك مشاركةً لهم في وثنيتهم ، فأجمعوا ذلك وألقوه عنكم ، فجمعوه وأعطوه إياه ، فأخذه وصاغه بصنعته الهندسية على صورة العجل ، واحتال عليه حتى جعله يُخرج الريح من فمه كشبه خوار العجل ، وقال لهم : هذا إلهكم وإله موسى ، وقد نسي أن يأمركم بعبادته ، وأنا أُبلّغكم عنه ذلك ، يقول السامري ذلك ويفعله ابتغاء الرياسة على بني إسرائيل بالباطل والكفر . فعكفوا عليه يعبدونه طاعةً للسامري ، حتى جاء موسى عليه الصلاة والسلام غضبان أسفاً ، فقال للسامري : ما خطبك يا سامري ، قال بصرتُ بما لم يبصروا به من فن الهندسة والصياغة ، فصنعت لهم هذا العجل ، وقد كنتُ قبضتُ قبضة من أثر الرسول ، و لم يقل من أثر الملك ولا من أثر جبريل ، وليس ثَمَّ رسول إلا موسى عليه الصلاة والسلام ، فقال السامري : أخذت قليلاً من أثرك ، يعني من دينك الذي تأثُره عن ربك ، ولكن ذلك الدين لم يصل إلى قلبي ، و لم يجاوز يدي ، وقد كان ما أخذته قليلاً قدر ما يقبض الإنسان في يده شيئاً بسيطاً من الطعام ونحوه ، ثم طرحت ذلك ونبذته ، وكفرتُ بك وبما جئت به حسداً لك على ما أوتيت من هذه الرياسة . ويدل على ذلك قوله : " فنبذتها " فإنما النبذ يُقال لطرح الشيء المكروه ، أو الحقير الممتهن ... وينبغي أن يُفهم قَصَص القرآن الكريم بنصّ الآيات فقط ، بعيداً كل البُعد عما يُروى في ذلك من الإسرائيليات ، ... اللهم إلا إذا كان ذلك عن الرسول ﷺ فيُنظَرُ في الرواية ، فإن صَحّت [قُبلت] وإن لم تفهمها عقولنا القاصرة ، فإن قلوبنا المؤمنة تطمئن إليها ، ولا تجد لها أدنى حرج . أما إذا كانت ضعيفة السند أو واهية ، فإنها تُضاف إلى الإسرائيليات)) .

وقد عاقب الله عز وجل السامري على ما اقترفت يداه ، وسلبه ما اعتزّ به من العقل والفطنة ، وأن لا يُمسّ في حياته ، كما قال تعالى : ﴿ **قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإنّ لك موعداً لن تُخْلَفه** ﴾[1] .

قال القرطبي[2] : ((فنفاه موسى عن قومه ، وأمر بني إسرائيل ألاّ يخالطوه ، ولا يقربوه ، ولا يُكلّموه ، عقوبة له . قال الحسن : وجعل الله عقوبة السامري ألاّ يماسّ

---

(١) سورة طه ، الآية (٩٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السادس ، ج ١١ ، ص ١٦٠ .

الناس ولا يُماسّوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة ؛ وكأن الله عز وجل شدّد عليه المحنة ، بأن جعله لا يُماس أحداً ، ولا يُمكّن من أن يمسّه أحد ، وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا ... وهذه الآية أصلٌ في نفي أهل البدع والمعاصي ، وهجرانهم ، وألاّ يُخالَطوا ...)) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عبادة بني إسرائيل للعجل نابعة من تأثرهم بالفكر الديني المصري القديم ، إذ كانت عبادة العجل في مصر عبادة قديمة . والواقع أن عبادة الثور كانت ظاهرة مشتركة في كل تاريخ الجنس البشري ، والسبب في ذلك هو أن الثور – بنظرهم – يمثّل الخصب من ناحيتين : فهو رمز للقوة ، ومصدر ينابيع الخصب في الزراعة بوصفه سيّد الماشية . وبهذه الكيفية أصبح رمزاً للرياسة والملكية ، حتى صار الملك في مصر القديمة يوصف بالثور القوي ، حيث مُثّل الملك بمثابة ثور على لوحة الملك نعرمر (مينا) ، بل وجاء ذكر العجل " ابيس " على حجر بلرمو ، مما يدل على أنه عُبد في زمن الأسره الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق . م[١] .

ومن أشهر العجول التي عُبدت في مصر القديمة ، العجل أبيس ، والعجل منفيس ، أو منفيس . فعبد المصريون القدماء الإله بتاح في مدينة منف ، والإله أتوم في مدينة أون ، وكانا يظهران في العجلين أبيس ومنفيس[٢] ، فعبدوا العجل أبيس رمزاً للإله بتاح ، والعجل منفيس رمزاً لإله الشمس[٣] .

ففيما يتعلق بالعجل أبيس تشير وثائق عصر الدولة المصرية القديمة أن العجل أبيس كان يعيش وقتئذٍ في منف ، وأنه كان يُحتَفل تكريماً له ، منذ أقدم العهود ، بعيدٍ سنوي كان له علاقة من وقتٍ مبكر بالعيد الملكي . والواقع أن اسم أبيس " حِب " يدخل في

---

(١) سليم حسن : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٦٢٠ وكذ
محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٦٦ – ص ٤٦٧ وكذا
رشاد محمود بعدادي : المرجع السابق ، ص ١٣ هامش (٢) وكذا
أدولف إرمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ، ص ٥٠٤ .

(٢) أدولف إرمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ .

(٣) أحمد عبد الحميد يوسف - المرجع السابق ، ص ١٢٧ وكذا
محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

تركيب اسم أم الملك " أثوتيس " التي تُدعى " خِنت حب " ، وفي اسم أم الملك " زوسر " المسماة " ني ماعت حب " وإن كان لا يُعرف تفسير اسم أبيس على وجه التأكيد[١] .

وقد كان للعجل ابيس كهنته الذين كانوا يُسمّون في عهد الدولة القديمة " عصيّاً " أي مربّين للعجل أبيس . وفي عهد الأسرة الخامسة ذهب الملك " ني وسررع " في العيد الثلاثيني إلى محراب العجل أبيس ، مما يشير إلى عبادة هذا الحيوان في ذلك العهد[٢] .

ومنذ بداية الدولة الحديثة أصبحت الوثائق عن عبادة هذا الحيوان كثيرة ودقيقة بدرجة كبيرة . وأقدم مقابر معروفة للعجل أبيس تُعزى لعهد الفرعون امنحُتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق . م) في منف ، حيث كانت حجرة من الصخر يصل إليها الإنسان بممر منحدر بُنِيَ فوقها مقصورة ، يُشاهد على جدرانها الفرعون امنحُتب الثالث مع الأمير تحتمس واقفين أمام العجل ابيس[٣] .

ومنذ عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق . م) أُقيم مدفن عام للعجل المؤلّه في المكان المسمى باسم السرابيوم الواقع في جهة سقارة ، وهو يحتوي على سلسلة دهاليز طويلة تحت الأرض قد حُفرت في جوانبها كوّات لتكون مدافن ، وكانت هذه الكوّات يتم سدّها بجدران بعد الدفن[٤] .

وخلال عصر الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ - ١١٨٤ ق . م) كان الإله بتاح في منف يتمتع بالدرجة الرفيعة ، والمنزلة السامية ، فحرص أُمراء تلك الأسرة من أمثال الأمير " خعمواست " بن رعمسيس الثاني ، ولأمير مرنبتاح بن رعمسيس الثاني (الذي تولى الحكم في مصر بعد وفاة والده من سنة ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق . م) على تولّى منصب

---

(١) سليم حسن : المرجع لسابق ، ج ٧ ، ص ٦٢٠ ص ٦٢١ .

(٢) مرجع نفسه ، ص ٦٢١ .

(٣) سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الخامس ، لسيادة العالمية والتوحيد ، مطبعة دار الكتب لمصرية ، لقاهرة ، ١٩٤٨ م ، ص ٩٩ .

(٤) سليم حسن : مصر القديمة ، ح ٧ ، ص ٦٢١ - ص ٦٢٢ وكذا
عفيف عبد الفتاح طبّارة : المرجع لسابق ، ص ٢٢٠ وكذا
محمد ندا : حيوانات في إسرائيل عبر لدين والمجتمع ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٨ وكذا
استينسُرْف : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

الكهن الأعظم (سِم) للإله بتاح ، والذي كان يقوم بالمراسيم الدينية في جبانة السرابيوم بسقارة للعجل أبيس[١] .

أما عبادة العجل منفيس الذي كان يُدعى " مِر – ور " فقد كانت في مدينة أون مدينة عبادة الشمس . ورغم أن عبادته كانت منذ زمن مبكر إلا أن هذا الاسم ظهر للمرة الأولى في عهد امنحُتب الرابع (اخناتون) (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق . م) ، وكان يتصل كليّة بالإله " رع آتوم " رب أون . وعبادته على وجه التقريب كانت مشابهة لعبادة أبيس[٢] .

وهكذا يبدو واضحاً أن بني إسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى عليه الصلاة والسلام كانوا لما اعتادوا في مصر من الآلهة مرتدين ، وانهم إنما اتّخذوا من حُليّهم من الذهب فتنة بحاتحور[٣] الذهبية ، وما كان لها من منزلةٍ في النفوس ، وذلك فضلاً عما تأثروا

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٦ ، ص ٤٤١ وكذا
سليم حسن : مصر لقديمة ، ج ٧ ، ص ٨ وكذا
أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ، ص ١٢٧ وكذا
محمد بيومي مهران : لمرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

(٢) سليم حسن . المرجع لسابق ، ج ٧ ، ص ٦٢٥ ، ص ٦٢٦

(٣) حاتحور الذهبية : هي المعبودة البقرة حاتحور ، المقدسة عند المصريين ، والواردة في النصوص المصرية القديمة بلفظ " حوت حور " ومعناها بيت حوريس ، أي موطنه وملاذه ومأواه ، وذلك لاعتقاد المصريين القدماء بأن هذه البقرة كانت مرضعاً لربهم حوريس (حور) كما ورد في اسطورة إيزيس و وزاريس ، ومولد ابنهما حوريس ، فأصبحت عندهم رمزاً للأمومه يرتبط اسمها باسم حوريس (أي العالي ، أو الرفيع ، أو لبعيد) .
وقد حازت حاتحور شهرة واسعة منذ عصور ما قبل الأسرات وفي عصر التأسيس كإلهة للسماء ، كما كانت وقتذاك تمثل الصورة السماوية لحور . وقد صوّرت في الفن لمصري القديم بأشكال كثيرة ، ولكن غالباً ما كانت تُصوَّر كبقرة ، أو بشكل امرأة يزين رأسها قرص الشمس بين قرني البقرة . وفي كثير من الأحيان كانت تمثل كامرأة لها رأس بقرة تحمل قرص لشمس و لقرين
وعلاوة على كونها مرضعة حور ، حسب اعتقاد المصريين لقدماء ، فإنها كانت أيضاً ربّة الحب و لجمال والموسيقى ، ثم صارت ربة للجبانة ترعى الموتى وترثيهم ، وكانت لها ألقاب كثيرة منها : لذهبية أو ربة الذهب ، وصاحبة لقلادة لبرّاقة كالسماء بنجومها ، كما كانت لها تماثيل ممومة بالذهب خصص بعضها لمتحف المصري بالقاهرة . ويسود الاعتقاد أن الموطن الأصلي هذه المعبودة كان في الصعيد ، وأنها قد عُبدت في أماكن كثيرة مثل : دندرة (٥ كيال شمال غربي قنا) ، وكوم امبو ، وصيبة خاصة في منطقة الدير لبحري . وقد وجد اتصال في سيناء منذ أقدم العصور بين حاتحور وبين المعبودات لقمرية السامية التي كانت تُعبد في منطقة سرابيت الخادم في سيناء قبل مجيء المصريين ، والتي حلّت حاتحور مكانها . ولعل عبادة حاتحور في سيناء إنما ←

به من حب المصريين للذهب ، وصنع تماثيلهم الثمينة منه[١] . فكانت عبادتهم له في عقولهم ، وفي قلوبهم ، وفي ذاكرتهم ، وكانوا يرون في عبادته أيضاً أمراً طبيعياً وعملياً ينالون منه نفعاً مادياً ومعنوياً ، فصنعوه من الذهب الأصفر الأصيل ، وكان حجمه صغيراً ، لأنه من معدن نفيس من الذهب الخالص ، مما يدل دلالة كبيرة على ما في قلوبهم من إيمان شديد بالتقليد المصري ، والفكر المصري القديم الذي كانوا يتّبعونه في مصر[٢] . لذلك فإن بني إسرائيل كانت قد استقرت في نفوسهم محبة الشرك بسبب إقامتهم الطويلة في مصر ، فصاروا بعيدين عن التوحيد الخالص لله رب العالمين ، وَسَهُلَ على الشيطان أن يجتالهم ويغيوهم .

يقول أحد الكُتّاب[٣] : ((فالمجتمع الذي يقع فريسة للظلم والبغي والاستبداد ، ويستسلم ، هو مجتمع ليس له كيان ، وسرعان ما ينحدر في هاوية الفساد الخُلقي ، ولا يستطيع الدفاع عن نفسه ، والذود عن حياضه ، فينحطّ تفكيره)) .

وما أروع تعبير القرآن الكريم في إخباره عن عبادة بني إسرائيل للعجل ، في قوله تعالى : ﴿ **وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾[٤] .

كان سبباً في اختلاف الباحثين المُحدثين حول العجل الذي عبده بنو إسرائيل في سيناء . انظر :

أحمد بدوي : في موكب الشمس ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، ص ١٠٤ وكذا

أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ، ص ١٢٧ وكذا

محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٥) الحضارة المصرية القديمة ، جزء ثاني ، الطبعة الرابعة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م ، ص ٤٠٤ - ص ٤٠٨ وكذا

أدولف إرمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٩ ، ص ٥٣٩ وكذا

سيريل ألدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة وتحقيق مختار السويفي ، مراجعة وتقديم أحمد قدري ، الطبعة الثالثة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م ، ص ٨٥ هامش (١) وكذا

Gardiner, A. H., Ancient Egyptian Onomastica, Vol II, Oxford University Press, Amen House, Oxford 1947, P. P 30*, 47*, 62*, 64*, 72*, 89*, 137*, 146*, 186*

(١) أحمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) عبد المحسن الخشاب : تاريخ اليهود القديم بمصر ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، ص ١٠٠ ، ص ١٠٢ .

(٣) لتهامي نقرة : سكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٠٠

(٤) سورة البقرة ، الآية (٩٣) .

فكأنما شُدَّ في قلوبهم العجل لِشغفهم به ، والعرب إذا أرادوا العبارة عن مُحامرة حُبٍّ أو بُغْضٍ ، استعاروا له اسم الشراب ، إذ هو أبلغ إنجاعٍ في البدن ، ولو قيل حُبّ العجل لم تكن هذه المبالغة ، فإن في ذكر العجل تنبيهاً أن لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم لا تنمحي(١) .

(١) الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

عقاب الله لبني إسرائيل بعد عبادتهم العجل :

لقد كانت عبادة بني إسرائيل للعجل ردةً حقيقة عن عقيدة التوحيد ، لذلك أنزل الله عز وجل حُكمه فيهم . فحسب رواية التوراة[١] :

« وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعبٌ صُلْب الرّقبة[٢] . فالآن اتركني ليَحْمَى غضبي عليهم وأفنيهم . فأُصيرك شعباً عظيماً » .

وفي موضع آخر من التوراة[٣] :

« وكلمني الرب قائلاً رأيت هذا الشعب وإذا هو شعبٌ صُلب الرقبة . أُتركني فأُبيدهم وأمحو إسمهم من تحت السماء وأجعلك شعباً أعظم وأكثر منهم » .

فكان الحكم فيهم حسب نص التوراة[٤] :

« وقف موسى في باب المَحلّة . وقال مَنْ للربِّ فإليَّ . فاجتمع إليه جميع بني لاوي . فقال لهم . هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كلُّ واحدٍ سيفه على فخذه وَمُرُّوا وارجعوا من بابٍ إلى بابٍ في المحلة واقتلوا كلُّ واحدٍ أخاه وكل واحدٍ صاحبه وكل واحدٍ قريبه . ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى . ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل » .

وقد أشار القرآن الكريم إلى توبة الله عز وحل عليهم ، بعد حكمه عليهم بأن يقتل بعضهم بعضاً . قال تعالى : ﴿ **ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون • وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون • وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم** ﴾[٥] .

---

(١) سفر الخروج ٣٢ : ٩ - ١٠ .

(٢) صُلبُ الرقبة : كثرت هذه العبرة في التوراة ، وتداولتها الألسنة . ولكن هذا أول ما ذُكرت في نصوص التوراة . فقد جاءت في سفر الخروج ٣٣ : ٣ ، ٥ ؛ ٣٤ : ٥ ، وسفر التثنيه ٩ : ٦ ، ١٣ ؛ ١٠ : ١٦ ، وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٠ : ٨ ؛ ٣٦ : ١٣ ، وسفر المزامير ٧٥ : ٥ ، وسفر أرمياء ١٧ : ٢٣ . والمقصود بها عنيد ومقاوم . والمجاز مأخوذ من لفرس الصلب العنق الجموح الذي لا يستطيع راكبه أن يثنيه باللجام . نظر : وليم مارش : المرجع لسابق ، ح ١ ، ص ٤٨٨ .

(٣) سفر التثنية ٩ : ١٣ ١٤ .

(٤) سفر الخروج ٣٢ : ٢٦ - ٢٨ .

(٥) سورة البقرة ، الآيات (٥٢ - ٥٤) .

وقال تعالى :

﴿ ولما سُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾[١] .

فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتل من الفريقين شهيداً ، حتى كثُر القتل ، حتى كادوا أن يهلكو ، فدعا موسى وهارون عليهما السلام : ربنا هلكت بنو إسرائيل ! ربنا البقية البقية ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم ، فكان مَنْ قُتل كان شهيداً ، ومَنْ بقي كان مُكفَّراً عنه[٢] .

وقال أحد المؤرخين[٣] :

« لما ندموا سألوا قبول التوبة ، فقيل لهم: **﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾**، فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أُمروا بقتل أنفسهم قالوا : يا نبي الله كيف نقتل الأبناء والأخوة ، فأنزل الله تعالى عليهم ظُلمة لا يرى بعضهم بعضاً ، فقُتلوا ، وقالوا : ما آية توبتنا ؟ قال : أن يقوم السلاح والسيف فلا يَقْتل ، فقتلوا حتى خاضوا في الدماء ، وصاح الصبيان : يا موسى العفو العفو ، فبكى موسى فأنزل الله تعالى التوبة ، وقام السلاح وانكشفت الظُلمة عن سبعين ألفاً .

قيل : قال قتادة : فجعل الله القتل للمقتول شهادة ، وللحي توبة . هذا يدل على أن الكل أُبتلوا » .

وهذا يدل على أن فريقاً من أصحاب موسى لم يعبدوا العجل مع بني إسرائيل ، وقد عصمهم الله عز وجل من الوقوع في الفتنة . ومن أولئك الفريق بعض لسحرة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٤٩) .

(٢) محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، دار سويدان ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م ، ص ٤٢٤

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ، ج ١ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ، ص ٣٥٠

الذين أنجاهم الله عز وجل من تقتيل فرعون . فقد جاء في بعض المصادر الإسلامية[١] أن السحرة لم يَفْتِنِ منهم أحد مع من أُفتتن من بني إسرائيل في عبادة العجل .

وحسب رواية التوراة[٢] السابقة الذكر ، يُستفاد منها أن بني لاوي لم يعبدوا العجل كغيرهم من بني إسرائيل ، وأنهم أول من بدأ في تنفيذ الأمر الرباني .

وقد ذهب البعض[٣] إلى أنه ليس من المُصَدَّق أن إنساناً عظيماً مثل موسى كان من الممكن أن يقترب من بني إسرائيل بدون أن تكون له بطانة ، وأن موسى قد استجلب معه حاشيته من أتباعه المقربين وكتبته وخدمه ، والذين كانوا هم اللاويين الأصليين أنفسهم .

لذلك ، فإن المصريين الذين رافقوا موسى عليه الصلاة والسلام في الخروج هم وحدهم الذين لم يعبدوا العجل ، وهم وحدهم الذين عبدوا الله عز وجل وحده عن عقيدة وإيمان راسخ ، ولم تضعف عقيدتهم حتى أمام وعيد فرعون وتهديده بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وتصليبهم في جذوع النخل ، فكانوا ثابتين على الإيمان ، وافين للعهد[٤] .

قال القرطبي[٥] :

« فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم إلى بعض من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى ؛ فقتل بعضهم بعضاً ، لا يسأل والدٌ عن ولده ، ولا ولدٌ عن والده ، ولا أخ عن أخيه ، ولا أحد عن أحد ، كل من استقبله ضربه بالسيف ، وضربه الآخر بمثله ، حتى عَجَّ موسى إلى الله صارخاً : يا ربّاه ، قد فنيت بنو إسرائيل ، فرحمهم الله وجاد عليهم بفضله، فقبل توبة من بقي ، وجعل من قُتل في الشهداء » .

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق Charles C T ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٣٠ م ، أعادت طبعه مكتبة المثنى ، بغداد ، ص ٥ .

(٢) سفر الخروج ٣٢ : ٢٦ - ٢٨ .

(٣) سيجموند فرويد : النبي موسى ورسالة التوحيد ، ترجمة ودراسة عبد المنعم الحفني ، الطبعة الأولى ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٦١ .

(٤) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٧) إسرائيل ، الكتاب الأول - التاريخ ، ص ٤٧٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

وإنما عوقب الذين لم يعبدوا العجل بقتل أنفسهم ؛ لأنهم لم يُغيِّروا المنكر حين عبدوه ، وإنما اعتزلوا ، وكان الواجب عليهم أن يُقاتلوا مَنْ عبده . وهذه سُنّة الله في عباده إذ فشا المنكر ولم يُغَيَّر عُوقِبَ الجميع ، كما في الحديث عن الرسول ﷺ قال : « ما من قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي هم أعزّ منهم وأمنع لا يُغيّرون إلاّ عَمّهم الله بعقاب »[1] .

ولغلبة الشر على القوم ، لم يشف بعض هذا الشر من نفوسهم إلا شفار الأسِنّة ، يسلّونها ليضرب بعضهم رقاب بعض ، حتى رفع الله عنهم ذلك ، وعادوا بعده إلى الطاعة نادمين[2] .

ويذهب البعض[3] إلى أن قيام بني إسرائيل بتقتيل أنفسهم تكفيراً عن هذه الخطيئة الكبرى ، إشارة واضحة إلى وقوع فتنة مسلحة ، أو حرب أهلية بين بني إسرائيل في سيناء .

وهذا الرأي بعيد عن الحقيقة والصواب ؛ لأن الأمر بقتل أنفسهم هو أمرٌ من الله عز وجل ، وهو شرط التوبة الذي أُفترض عليهم . فلا مجال للقول بوقوع فتنة مسلحة أو حرب أهلية بينهم من تلقاء أنفسهم .

وهذه العقوبة الربانية لبني إسرائيل لا غرابة فيها ؛ وذلك لعنف وبشاعة الجريمة التي ارتكبوها بعبادتهم للعجل من دون الله ، حيث أنهم بمعتهم تلك كفروا بالله عز وجل ، وارتدوا عن دين التوحيد ؛ وعقوبة المرتد في الإسلام أن يُستتاب أولاً ، وإلا يُقتل بسبب ردته وكفره بالله تعالى . فكان بنو إسرائيل بذلك مستحقين للقتل ، وعقوبتهم تتناسب مع بشاعة الجريمة التي اجترحوها[4] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ .

(٢) كمال أحمد عون : اليهود من كتابهم المقدس ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٨ .

(٣) محمد لعرب موسى : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٤) جمال عبد الهادي محمد ، ووفاء محمد رفعت : أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ - ذرية إبراهيم عليه السلام وبيت المقدس ، الطبعة الأولى ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٤ وكذلك

صلاح عبد الفتاح الخالدي . الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٦٦ .

وبعد هذه التوبة لله عز وجل ، وقبوله سبحانه وتعالى توبتهم عن عبادة العجل ، اختار موسى عليه الصلاة والسلام سبعين رجلاً صالحاً ليذهبوا معه إلى جبل الطور ليُعلنوا بيعتهم لله عز وجل على السمع والطاعة لما أمرهم الله عز وجل به في التوراة ، وعلى أن لا يعودوا لما وقعوا فيه من لردة أبداً .

قال تعالى : ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفةُ قال رب لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإياي أتُهلكنا بما فعل السُّفهاء منا إن هي إلا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت وليُّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين • واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هُدنا إليك قال عذابي أُصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون** ﴾[1] .

روى الطبري[2] عند تفسيره هذه الاية أن الله عز وجل أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً، فاختار موسى عليه الصلاة والسلام من قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً** ﴾[3] ، فإنك قد كَلّمتَهُ فأرنا إياه ، فأخذتهم الصاعقة[4] فماتوا ، فقام موسى عليه الصلاة والسلام يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ! رب لو شئت أهكتهم من قبل وإياي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه الصلاة والسلام : إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى عليه السلام : ﴿ **إن هي إلا فتنتك تُضل بها من تشاء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إنا هُدنا إليك** ﴾[5] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان (١٥٥ ، ١٥٦) .

(٢) تاريخ الطبري ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٥٥) .

(٤) الصاعقة : الهدّة الكبيرة ، وهي الصوت الشديد من الجو ، ثم يكون منه عذاب أو موت . انظر : الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٥) سورة الأعراف ، الآيتان (١٥٥ ، ١٥٦) .

وهناك قول آخر في تفسير هذه الآية . فقد أورد ابن كثير[١] أن موسى عليه الصلاة والسلام لما رجع من ميقات ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة ، وبعد أن تاب الله عليهم من عبادتهم للعجل بقتل أنفسهم ، قال لهم موسى : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمرُكم الذي أمَرَكم به ، ونهيكم الذي نهاكم عنه ، فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرةً ، حتى يطلع الله علينا ويقول : هذا كتابي فخذوه ، فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى . فجاءت غضبةٌ من الله فجاءتهم صاعقة بعد التوبة ، فصعقتهم فماتوا أجمعين ، ثم أحياهم الله من بعد موتهم ، كما قال تعالى : ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** ﴾[٣] .

فكان طلبهم رؤية الله جهرة إنحرافاً عقدياً آخر وقعوا فيه ، رغم أنهم قريبي عهدٍ بالعقوبة التي حست بهم من عبادة العجل ، ولكنهم قوم لا يرعوون .

فسؤالهم رؤية الله جهرةً وعياناً ، كما يرى بعضهم بعضاً ، يدل على جهلهم وكفرهم بالله تعالى ؛ لأنهم ظنوا أنه جسم محدود تدركه الأبصار ، وتحيط به أشعة الأحداق ، فعاقبهم الله عز وجل على جهلهم، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، إذ شَبّهوا ربهم بأنفسهم ، ورفعوا أنفسهم إلى ما فوق مرتبتها وقدرها[٤] .

و لم تبلغ الآيات البينات التي أظهرها الله عز وجل لهم على يد رسوله موسى عليه السلام أن تلمس حسهم ، وتوقظ وجدانهم ، وتقود قلوبهم إلى الطمأنينة والاستسلام ، فإذا هم يطلبون هذا الطلب العجيب ، وهو مطلب طابعه التبجح الذي لا يصدر عن طبعٍ خالطته بشاشة الإيمان ، أو فيه استعداد للإيمان[٥] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ح ١ ، ص ٩٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٥٦) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٥٣)

(٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ح ٦ ، ص ١٢ وكذا
محمد سيد طنطاوي : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

(٥) سيد قطب . في ظلال القرآن ، ح ٢ ، الطبعة الثانية عشرة ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٨٠٠ .

ومن عجيب أمرهم أن الذين طلبوا هذا الأمر هم صفوة مختارة من قومهم ، بل وأعجب شيءٍ أنهم قالوها وهم في مقام التوبة والاستغفار[١] .

والظاهر أنهم لم يُؤذنوا موسى عليه السلام من قبل في عزمهم هذا الاقتراح أو الطلب ، ولو فعلوا لأرشدهم وأعلمهم علم اليقين ما لقي من التجربة القاسية ؛ وهي الصعقة التي نالته على إثر طلبه رؤية الله عندما تجلى الله عز وجل للجبل الذي صار دكاً من هيبته سبحانه وتعالى[٢] .

لذلك ، عاقبهم الله عز وجل بأن أخذتهم الصاعقة بظلمهم ، انتقاماً منهم على تكذيبهم لموسى عليه الصلاة والسلام ، وتحدّيهم له بمثل هذا الطلب ، وعدم سمعهم وطاعتهم لله ولرسوله . فأذهبت تلك الصاعقة عنهم الحياة فترة من الزمن ، ثم ردها الله عز وجل إليهم برهاناً ودليلاً على عظمته وقدرته سبحانه وتعالى ، وليعرفوا مدى فضل الله عليهم فيشكروه على ذلك ، كما قال سبحانه :

﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾[٣] .

وهناك من يرى[٤] أن المقصود بموتهم في الآية الكريمة هو ما أصابهم من الإغماء الشديد لفترة طويلة من الزمن ، بحيث فقدوا خلال ذلك الإدراك والحركة ، فَشُبِّهوا بالأموات ، ثم رد الله إليهم حالتهم الطبيعية ، فكأنهم بُعثوا بعد الموت ، فيكون في الكلام مجاز ، وهو ما يتفق مع ما هو معلوم من أن الموت لا يكون إلا مرةً واحدة في الحياة الدنيا ، وأن البعث والنشور لا يكون إلا يوم القيامة .

وبعد أن مَنّ الله عليهم بعثهم بعد موتهم ، وقعوا في معصيةٍ أخرى ، وهم لا يزالون في ذلك المكان . ((فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله ، فقالوا : لا . فقال : أي شيءٍ أصابكم ؟ فقالوا : أصابنا أن متنا ثم أُحيينا . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا . فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم))[٥] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٧٦ ص ١٣٧٧ .

(٢) رشاد محمود بعدادي : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٥٦) .

(٤) محمد الطيب النجار : لمرجع السابق ، ص ٢٢٥ – ص ٢٢٦ .

(٥) ابن كثير : المصدر لسابق ، ج ١ ، ص ٩٤ .

قال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ نتقنا**[٤] **الجبل فوقهم كأنه ظُلّةٌ وظنوا أنه واقعٌ بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾[٥] .

روى ابن الجوزي[٦] عن قتادة : أنهم تدلوا في أصل الجبل فوقع فوقهم ، فقال : لتأخُذنّ أمري أو لأرمينّكم به . وكان السبب أنهم رأوا تكاليف التوراة ثقيلة ، فأبوا قبولها ، فنتق الجبل .

وروى بعض المفسرين[٧] عن حادثة نتق الجبل : أنه لما جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام بالألواح فيها التوراة ، أمرهم بقبولها ، والأخذ بها بقوةٍ وعزم ، وبدون تذمر ،

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (٦٣ ، ٦٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٩٣) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٥٤) .

(٤) ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية ﴿ نتقنا ﴾ أي رفعنا . ونتق الزعزعة والهز والحدب والنفض . ونتق الشيء ينتقه وينتقُه ، بالضم ، نتقاً : جذبه ونزعه وقتلعه حتى يسترخي كنتق عُرى الجِمْل . انظر :

البخاري : المصدر السابق ، ج ٣ ، كتاب الأنبياء ، باب رقم ٢٧ ، ص ١٢٤٥ وكذا

المصدر نفسه ، ج ٤ ، كتاب التفسير ، باب رقم ١٣٣ تفسير سورة الأعراف ، ص ١٦٩٧ وكذا

الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٥٠٣ وكذا

جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، ج ١٠ ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م ، ص ٣٥١ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (١٧١) .

(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(٧) القرطبي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٧ وكذا

ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، ص ٥٧٣ ؛ ج ٢ ، ص ٢٦٠ ص ٢٦١ وكذا

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٩٣ وكذا

عفيف عبد الفتاح طباره : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

وأن يحافظوا عليها أشد المحافظة ، ولا يغفلوا عنها . فقالوا : انشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلةً قبلناها . فقال : بل اقبلوها بما فيها . فراجعوه مراراً ، فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار كأنه ظُلة - أي غمامة - وقيل لهم : إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم ، فدبّ في قلوبهم الرعب ، واعتقدوا أن الجبل لا محالة واقعٌ بهم ، فقبلوا ذلك ، وأُمروا بالسجود فسجدوا ، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بِشقّ وجوههم ، وسجدوا على الشقّ الآخر ، فرحمهم الله ، وكشف عنهم العذاب ، فقالوا : والله ما سجدةً أحب إلى الله من سجدةٍ رفعت عنا العذاب .

قال سيد قطب[1] :

« والمهم هنا هو استحضار المشهد ، والتناسق النفسي والتعبيري بين قوة رفع الصخرة فوق رؤوسهم وقوة أخذ العهد ، وأمرهم أن يأخذوا ما فيه بقوة ، وأن يعزموا فيه عزيمة ، فأمر العقيدة لا رخاوة فيه ولا تميّع ، ولا يقبل أنصاف الحلول ولا الهزل ولا الرخاوة .. إنه عهد الله مع المؤمنين .. وهو جَدٌّ وحقّ ، فلا سبيل فيه لغير الجد والحق ، وله تكاليف شاقة ، نعم ! ولكن هذه هي طبيعته ، إنه أمر عظيم .... ولابد مع أخذ العهد بقوة وجدّ واستجماع نفس وتصميم ، لابد مع هذا من تَذكُّر ما فيه واستشعار حقيقته ، والتكيف بهذه الحقيقة ، كي لا يكون الأمر كله مجرد حماسة وحميّة وقوة ، فعهد الله منهج حياة ، منهج يستقر في القلب تصوّراً وشعوراً ، ويستقر في الحياة وضعاً ونظاماً ، ويستقر في السلوك أدباً وخُلقاً ، وينتهي إلى التقوى والحساسية برقابة الله وخشية المصير » .

وكل ذلك يدل على أن بني إسرائيل كانوا قوماً لا تجدي فيهم الموعظ ، ولا تؤثر فيهم إلا القوارع ، والعقوبة الكونية بظاهرة طبيعية غير مألوفة هي الأسلوب الأحرى في حثّهم على الامتثال لأمر الله ، واحترام الميثاق الذي واثقهم به[2] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة . قال تعالى :

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم

---

(١) في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٢) لسيد قطب : المرجع السابق ، ص ٧٠ ، ص ٧١ .

إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ۞ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رُسلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (٨٣ ، ٨٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٧) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٧٠) .

أمر الله عزوجل لبني إسرائيل بالتوجه إلى أرض كنعان :

جاء في التوراة[١] :

« وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أُعطيها . وأنا أُرسل أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثّيين والفِرِزّيين والحِوّيين واليبوسيين . إلى أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً » .

وفي نص آخر[٢] :

« ثم ارتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المَخُوف الذي رأيتم في طريق جبل الأموريين كما أمرنا الرب إلهنا . وجئنا إلى قادش برنيع . فقلت لكم قد جئتم إلى جبل الأموريين الذي أعطانا الرب إلهنا . أُنظر قد جعل الرب إلهك الأرض أمامك . إصعدْ تَملّكْ كما كلمك الربُّ إلهُ آبائك . لا تخف ولا ترتعب » .

لقد ظل بنو إسرائيل في برية سيناء حول جبل الطور مدة سنة تقريباً ، حيث بدأوا الرحيل من هناك في بداية السنة الثانية . فقد جاء في التوراة[٣] :

« وفي السنة الثانية في الشهر الثاني في العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة . فارتحل بنو إسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء فَحلّتْ السحابة في برية فاران[٤] » .

---

(١) سفر الخروج ٣٣ : ١ - ٣ .

(٢) سفر التثنية ١ : ١٩ - ٢١ .

(٣) سفر العدد ١٠ : ١١ - ١٢ .

(٤) برية فاران : هي النصف الجنوبي من حدود العربة ، و لقاع الجلية المجاورة له . وهي تشمل لمنطقة الواقعة إلى جنوب يهوذا ، وشرق برية بئر سبع وشور بين جبل سيناء (أو بين حصيروت الواقعة على مسيرة أيام من سيناء) وكنعان . فتكون حدود هذه البرّية بناءً على ذلك : أرض كنعان شمالاً ، ووادي عربه شرقاً ، وبريه سيناء جنوباً ، وبريه شور أو نهر مصر (وادي العريش) غرباً . وهو يقسم البرية تقسيم يُعرف لقسم لعربي أحياناً ببرية شور . ونزل بنو إسرائيل في القسم لشرقي منه وقد سُميت هذه لبرية في سفر التثنية ١ . ١٩ بـ" القفر العظيم المخوف " .

ومن الجدير بالذكر أن برية صين كانت مندمجة فيها دون حد معين يفصل بينهما . كما كانت قادش برنيع وإيبة ضمن الأماكن الهامة الواقعة في برية فاران .

ويبدو أن هناك أكثر من مكان اسمه فاران ، فقد ذكر البعض أن فاران من أسماء مكة أو سم لجبال مكة في ←

وهناك إشارات في التوراة ، عن بعض التفاصيل ، لأحداث جرت أثناء مسيرهم من جبل الطور باتجاه برية فاران . فقد جاء في النص[١] :

« وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المديانى حمي موسى إننا راحلون إلى المكان الذي قال الرب أُعطيكم إياه . إذهب معنا فنُحسن إليك لأن الرب قد تكلم عن إسرائيل بالإحسان . فقال له لا أذهب بل إلى أرضي وإلى عشيرتي أمضي . فقال لا تتركنا لأنه بما أنك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيونٍ . وإن ذهبت معنا فبنفس الإحسان الذي يُحسن الرب إلينا نُحسن نحن إليك » .

ووفقاً لما ورد في التوراة[٢] أيضاً فإن بني إسرائيل ارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام ، وَمسّهم الضُّر وبدأوا يشتكون . فقد جاء في لنص[٣] :

← لتوراة بناءً على ما ورد في سفر التثنية ٣٣ : ٢ « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » .

وفي هذا لنص إشارة إلى مقام نبوة الأنبياء موسى وعيسى ومحمد ﷺ تسليماً كثيراً ، وأن التوراة بَشّرتْ برسالة خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ . وقد ذكر ياقوت الحموي ما قاله ابن ماكولا أبو بكر نصر بن القاسم بن قُصاعة لقصاعي العامري الاسكندراني في قوله : سمعت أن ذلك بسته إلى جبال فارن ، وهي جبال لحجاز .

وجبل فاران الذي تشير إليه التوراة قائم على حد برية سيناء لشمالي ، وهو يبعد عن مكة أكثر من ٩٠٠ كيلاً قرب ايله (العقبة حالياً) . انظر :

السموءل : المصدر السابق ، ص ٦٧ - ص ٧٠ وكذ

ياقوت الحموي : لمصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ وكذ

القرطبي : المصدر السابق ، المجلد لسابع ، ج ١٣ ، ص ١٠٧ وكذ

عبد لحميد محمود مطاوع : موسى كليم الله عليه لسلام ، دار الكتاب لعربي ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م، ص ١٧٤ وكذ

أنكار لسقف : لمرجع السابق ، ص ١١٧ وكذ

بطرس عبد لملك وجرود : المرجع السابق ، ص ٦٦٧ وكذ

وليم مارش : المرجع لسابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ وكذ

أحمد محمود صابون : مكة لمكرمة أسماؤها وتأريخها ، دار المعرفة الجامعية ، لاسكندرية ، ١٩٩٥ م ، ص ٤٥ ص ٤٦ وكذ

لويس موسل : المرجع السابق ، ص ٥١ وكذا

Noth , M , Op Cit , P . 132 .

Sama , N M , Op Cit , P 35

(١) سفر لعدد ١٠ : ٢٩ - ٣٢

(٢) سفر لعدد ١٠ : ٣٣ .

(٣) سفر لعدد ١١ : ١ - ٣ .

« وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً في أُذُني الرب وسمع الربُّ فحمي غضبه . فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة . فصرخ الشعب إلى موسى فصلى موسى إلى الرب فخمدت النار . فدُعي اسم ذلك الموضع تبعيرة[1] لأن نار الرب اشتعلت فيهم » .

وقد ضربهم الله بالوباء أيضاً ، بالقرب من تبعيرة في موضع أطلقوا عليه اسم قَبَروُتَ هَتَّأَوَة[2] ، بعد أن تذمروا على الخالق سبحانه وتعالى وصاروا يشتهون أصناف المآكل من اللحم والسمك ، فمات كثير منهم ودُفنوا هناك ، حسب ما تدل عليه رواية التوراة[3] .

ووفقاً لما ورد في نص التوراة[4] فإنهم ارتحلوا من قبروت هتأوة إلى حضيروت[5] .

---

(١) تبعيرة : لفظ عبري معناه إشتعال أو إحتراق أو إحراق . وقد أُطلق على الموضع الذي أُحرق فيه معسكر بني إسرائيل في برية فاران عندما تذمروا على الرب . وربما كان هذا الموضع بالقرب من رأس وادي الأبيض . انظر:

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢١٢ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٦١ وكذا

ألويس موسل : لمرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٢) قَبَرُوتَ هَتَّأَوَة : أي قبور الشهوة . وحسب ما ورد في سفر العدد ٣٣ : ١٦ فإنها كانت أول منزلة بعد مسير بني إسرائيل من جبل الطور ذُكر أنهم نزلوا فيها . فلعل تبعيرة وقبروت هتأوة اسم مكان واحد ، أو أن تبعيرة اسم جزء من قبروت هتأوة . وإرسال الله لهم السلوى ومجيئه من البحر إشارة إلى أن المكان قريب من خليج العقبة . انظر :

نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ح ٣ ، ص ٣٠٧ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٦٥ - ص ٢٦٦ .

(٣) سفر العدد ١١ : ٤ - ٣٤ .

(٤) سفر العدد ١١ : ٣٥ .

(٥) حضيروت اسم مكان في برية فاران معناه في العبرية حصائر أو ديار أو قرى .

ويذهب البعض إلى أن مكانها غير معروف . فيما يذهب آخرون إلى أنها ربما كانت " عين حضرة " أو عين حصرة الواقعة على مسافة حوالي ٥٧ كيلاً شمال شرقي جبل سيناء ، أو أنها تقع بالقرب من الساحل الغربي لخليج العقبة . غير أن ألويس موسل يقول : من المتوقع أن يكون هذا المكان قرب ظلال الخُميمة ، إذ يوجد هناك شعيب صغير يسمى الحررة انظر :

نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ح ٣ ، ص ٣٠٧ وكذا

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣١٠ - ص ٣١١ وكذا

أحمد سوسة : المرجع لسابق ، ص ٢٨٦ وكذا

غطاس عبد الملك الخشبة : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ هامش (٥١) وكذا

ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

وبعد ذلك ارتحلوا من حضيروت ، ونزلوا في برية فاران[١] ، حيث حطوا رحالهم في قادش برنيع . وحسب نص التوراة[٢] :

« أحد عشر يوماً من حوريب على طريق جبل سعير إلى قادش برنيع » .

فالمسافة من حوريب إلى قادش برنيع عن طريق جبل سعير استغرقت أحد عشر يوماً ، وهو ما يشير إلى طريق القوافل الذي يؤدي إلى جبل سعير ولكنه لا يمر فيه ، حيث أشارت التوراة في موضع آخر[٣] إلى أن بني إسرائيل بعد ارتحالهم من حوريب اجتازوا بطريق جبل الأموريين خلال " القفر العظيم المخوف " مما يعني أن طريق جبل سعير ، وطريق جبل الأموريين قد يكونان شيئاً واحداً ؛ لأن جبل الأموريين يقع إلى الشمال الشرقي من سعير ، فالطريق المؤدي إليه ليس إلا امتداداً للطريق المؤدي إلى سعير . ولكن جبل سعير كان إقليماً عامراً مأهولاً ذا زرع ؛ مما يقوي الافتراض بأن الطريق المقصود كان يمر أسفل سفح الجبل الغربي ، على الحدود بين سعير وفارن ، حيث يوجد فعلاً بتلك الجهة صريق قديم يأتي من مدين ويتجه شمالاً إلى البتراء ، ثم يمر بعد ذلك إلى الحدود العربة ، ثم يتجه إلى الشمال الغربي نحو حبرون (لخليل) ، أو إلى شمال الشمال الغربي نحو غزة . فإذا كان بنو إسرائيل قد سلكوا فيه ، فهو يوصلهم فعلاً إلى برية فاران حيث تقع قادش برنيع[٤] .

ووفقاً لما ورد في التوراة ، فإن الرب أمر موسى عليه الصلاة والسلام في برية فاران أن يُرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان . فقد جاء في النص[٥] :

« تم كلم الرب موسى قائلاً أرسِل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا مُعطيها لبني إسرائيل . رجلاً واحداً لكل سِبطٍ من آبائه تُرسلون . كل واحدٍ رئيسٌ فيهم . فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . كُلُّهم رجالٌ هم رؤساء بني إسرائيل » .

---

(١) سفر العدد ١٢ ١٦ . وهناك أماكن كثيرة أشار إليها سفر العدد ٣٣ : ١٨ - ٣٦ بين حضيروت وبرية فاران ، كثير منها غير معروف ، ويصعب على الباحث تحديدها .

(٢) سفر التثنية ١ : ٢ .

(٣) سفر التثنية ١ : ١٩ .

(٤) ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ٥٢ - ص ٥٣ .

(٥) سفر العدد ١٣ . ١ - ٣ . وانظر :
سفر التثنية ١ : ٢٢ - ٢٣ .

« فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل وانظروا الأرض ما هي . والشعب الساكن فيها أقويٌّ هو أم ضعيف . قليلٌ أم كثير . وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها أجيدة أم رديةٌ . وما هي المدن التي هو ساكنٌ فيها أمخيماتٌ أم حصون »[١] .

« فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين[٢] إلى رحوب[٣] في مدخل حماة . صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون »[٤] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى :

﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾[٥] .

---

(١) سفر العدد ١٣ : ١٧ - ١٩

(٢) برية صين : هي البرية التي تحف بصواحي قادش برنيع ، والظاهر أنها كانت الجزء الشمالي أو الشمالي الشرقي من برية فاران حسب ما تُشير إليه التوراة في سفر العدد ٢٠ : ١ ؛ ٢٧ : ١٤ ؛ ٣٣ : ٣٦ ، وسفر التثنية ٣٢ : ١٥ . وكانت حداً لادوم غرباً وليهوذا إلى الجنوب الشرقي كما يشير لذلك سفر يشوع ١٥ : ١ - ٣ فكانت جزءاً من برية فاران ، أو كانت قادش حداً بينهما . انظر :

نحيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ وكذا

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٦٧ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ وكذا

ألويس موسى : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) رحوب : ربما هي بيت رحوب التي تقع بالقرب من دان (تل القاضي) في أقصى الطرف الشمالي الشرقي لفلسطين عند الحدود السورية . وربما كان مكانها " تل البئر الغربي " بالقرب من عكا وإلى جهة الشرق منها . انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ، ص ٤٠١ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ وكذا

محمد محمد شراب : معجم بلدان فلسطين ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ٢٣٤ .

(٤) سفر العدد ١٣ : ٢١ - ٢٢ .

(٥) سورة المائدة ، الآية (١٢) .

فالله سبحانه وتعالى أخبرهم بمعيته لهم ماداموا مؤمنين موحدين ، إذ أن هذا هو الميزان والمقياس الذي من أجله يحفظهم ويرعاهم ، لا من أجل أصلهم ونسبهم ، فما داموا محافظين على ما أمرهم الله به فإن الله عز وجل يهديهم سواء السبيل ، وإذا زاغوا وانتكسوا إلى الكفر والباطل فيحق عليهم غضب الله ولعنته ، ويبوءوا بسخط الله وعقابه ، كما قال تعالى :

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يُحرفون الكلم عن مواضعه ﴾[1] .

قال ابن كثير[2] : ((وقد ذكر ابن عباس عن ابن إسحاق وغير واحد أن هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجبابرة فأمر بأن يُقيم نقباء من كل سبط نقيب)) .

((ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش وردوا إليهما خبراً وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض . وأخبروه وقالوا قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها . غير أن الشعب الساكن في الأرض معتزٌ والمدن حصينةٌ عظيمةٌ جداً . وأيضاً قد رأينا بني عَنَاق هناك . العمالقة ساكنون في أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن))[3] .

((وجميع الشعب الذي رأينا فيها أُناسٌ طِوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة . فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم))[4] .

وهذا يدل - إن صحّت رواية التوراة - على أن موسى عليه الصلاة والسلام ومعه بني إسرائيل كانوا يهتمون بجمع المعلومات عن الأرض التي ينوون الإغارة عليها من حيث جودتها ، وقوة سكانها أو ضعفهم ، وطبيعتها الجغرافية وما تحويه من جبال وأودية وسهول ، وأسوار للمدن أو حصون ، بل وحتى الأسلحة التي كان يستخدمها سكان تلك الأرض ليأخذ بنو إسرائيل بالحيطة والحذر .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (١٣)

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٣٢

(٣) سفر العدد ١٣ : ٢٥ ٢٩

(٤) سفر العدد ١٣ ، ٣٢ - ٣٣ .

وفي نص آخر أيضاً[١] :

« فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها . ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يُعطيها لهم ولنسلهم أرضٌ تفيض لبناً وعسلاً . لأن الأرض التي أنت داخلٌ إليها لكي تمتلكها ليست مثل أرض مصر التي خرجتم منها حيث كنت تزرع زرعك وتسقيه برِجلِك كبستان بُقُولٍ . بل الأرض التي أنتم عابرون إليها لكي تمتلكوها هي أرض جبالٍ وبقاعٍ . من مطر السماء تشرب ماءً . أرضٌ يعتني بها الرب إلهك . عينا الرب إلهك عليها دائماً من أول السنة إلى آخرها . فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتُحِبُّوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أعطي مطر أرضكم في حينه المبكر والمتأخر . فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك . وأعصي لبهائمك عُشباً في حقلك فتأكل أنت وتشبع . فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهةً أخرى وتسجدوا لها فيحمى غضب الرب عليكم » .

يقول أحد المؤرخين[٢] :

هذا لون من ألوان الاسترضاء الذي بُذل من أجل بني إسرائيل لعلهم يصبحون شعباً مغواراً . ولكن هذ الاسترضاء لم يكن كافياً . فدخول هذه الأرض معناه القتال من أجل الحصول عليها ؛ لأنها أرض آهلةٌ بالسكان ، والقتال يُيتّم الأبناء ، ويُرمّل لنساء ، وبنو إسرائيل ليسوا راغبين في ذلك . ولذلك فهم راغبون عن هذه الأرض ، وإذ كان لابد من النزول بها ، فليكن ذلك بدون قتال ، فليكفهم ربهم شر هذا القتال ، وإلا كان متآمراً عليهم – حسب اعتقادهم – هو ورسوله ، فاستقدماهم إلى الصحراء للقضاء عليهم ، لأن الرب يكرههم ، ويريد بهم السوء .

ونتيجة للتقرير الذي قدمه العسس بعد عودتهم من أرض كنعان عن حالة البلاد وصفة سكانها ، فزع بنو إسرائيل فزعاً شديداً ، وظهر بينهم انقسام حاد في الرأي على إمكانية دخول أرض كنعان من الجنوب ، رغم أن أحد العسس كان يُفضل المضي في الطريق ومهاجمة تلك الأرض رغم معارضة بني إسرائيل[٣] .

---

(١) سفر التثنية ١١ : ٨ – ١٧ .

(٢) عبد العزيز نوهم : " قصة بني إسرائيل كما يرويها الكتاب المقدس " ، مجلة كلية الآداب ، المجلد الحادي عشر ، جامعة لاسكندرية ، الاسكندرية ، ١٩٥٧ م ، ص ٩٨ .

(٣) Cook , S A . , Op . Cit , P . 353 ;
Anderson , B . W , Op Cit , P 66

وقد سرت بين بني إسرائيل حركة تذمر واسعة ، لدرجة أنهم اقترحوا تنصيب قائدٍ عليهم يقودهم للرجوع إلى مصر ، بعد عزل موسى عليه الصلاة والسلام[١] .

جاء في نص التوراة[٢] :

« فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا مُتْنا في أرض مصر . أو ليتنا متنا في هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر . فقال بعضهم لبعض نُقيم رئيساً ونرجع إلى مصر .

فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معتمر جماعة بني إسرائيل .

ويشوع بن نون وكالِبُ بن يَفُنّة من الذين تجسسوا الأرض مَزّقا ثيابهما . وكلما كل جماعة بني إسرائيل » .

« ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما بالحجارة »[٣] . أي رأى كل رؤساء بني إسرائيل أن يُرجَمَ يشوع وكالب[٤] .

« وقال لرب لموسى حتى متى يُهينني هذا الشعب . وحتى متى لا يُصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم . إني أضربهم بالوباء وأُبيدُهم وأُصيّرك شعباً أكبر وأعظم منهم »[٥] .

وجاء في التوراة[٦] أيضاً : « إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتُها في مصر وفي البرية وجرّبوني الآن عشر مرات[٧] ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم . وجميع الذين أهانوني لا يرونها » .

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ وكذا
Anderson , B W , Op Cit , P . 66

(٢) سفر العدد ١٤ : ١ - ٧ .

(٣) سفر العدد ١٤ : ١٠ .

(٤) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٥) سفر العدد ١٤ : ١١ - ١٢ .

(٦) سفر العدد ١٤ : ٢٢ - ٢٣ .

(٧) هذه التجارب ثمانية تذمرات ومعصيتان . فالتذمرات كانت عند البحر، حسب سفر الخروج ١٤: ١١ - ١٢، وفي مارة حسب سفر الخروج ١٥ : ٢٣ ، وفي برية سين حسب سفر الخروج ١٦ : ٢ ، وفي رفيديم حسب سفر الخروج ١٧ : ١ ، وفي حوريب حسب سفر الخروج ٣٢ ، وفي تبعيرة حسب سفر العدد ١١ : ١ ، وفي قبروت هتأوة حسب سفر العدد ١١ : ٤ ، وفي قادش .
والمعصيتان كانتا في إدخار المن إلى صباح اليوم التالي حسب سفر الخروج ١٦ : ٢٠ ، والذهاب في يوم لست جمع من وهو لم يقع في ذلك اليوم ، حسب سفر الخروج ١٦ : ٢٧ نظر :
وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ص ٢٧٧ .

التيـــه :

إن بني إسرائيل كانوا قوماً لا تنفع فيهم المواعظ ، ولا تستجيب نفوسهم لأوامر الله تعالى ، وجُبلوا على العناد والمكابرة ، حتى مع رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام . فأراد الله عز وجل أن يُنزل بهم عقابه الشديد ، وهو التيه في الأرض .

جاء في التوراة[1] :

« وكلم الرب موسى وهارون قائلاً حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشّريرة المتذمّرة عليَّ . قد سمعت تذمر بني إسرائيل الذي يتذمرونه عليَّ . قل لهم حيٌّ أنا يقول الرب لأفعلنَّ بكم كما تكلمتم في أُذنيَّ . في هذا القفر تسقط جُثَثُكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنةً فصاعداً الذين تذمّروا عليَّ . لن تدخلوا الأرض التي رفعتُ يدي لأُسكننّكم فيها ماعدا كالِبَ بن يَفُنّه ويشوع بن نون . وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة فإني سأُدخِلُهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها . فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . وبنوكم يكونون رُعاةً في القفر أربعين سنةً ويحملون فُجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر . كعدد الأيام التي تجسّستم فيها الأرض أربعين يوماً للسّنة يومٌ تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي . أنا الربُّ قد تكلمت لأفعلنَّ هذا بكل هذه الجماعة الشّريرة المتفقة عليَّ . في هذا القفر يفنون وفيه يموتون » .

وقد وصفت التوراة الحال الذي أصبحوا فيه ، فقد جاء في النص[2] :

« ولما تكلم موسى بهذا الكلام إلى جميع بني إسرائيل بكى الشعب جداً . ثم بكّروا صباحاً وصعدوا إلى رأس الجبل[3] قائلين هُوَذا نحن . نصعد إلى الموضع الذي قال الرب عنه فإننا قد أخطأنا . فقال موسى لماذا تتجاوزون قول الرب . فهذا لا ينجح . لا

---

(١) سفر العدد ١٤ : ٢٦ ٣٥ . وانظر :
سفر التثنية ١ : ٣٤ ٣٩ .

(٢) سفر العدد ١٤ : ٣٩ ٤٥ . وانظر :
سفر التثنية ١ : ٤١ - ٤٤ .

(٣) نحو رأس الجبل . والظاهر أن ذلك هو الطريق الذي سار فيه الجواسيس وهو المؤدي إلى الجزء الجنوبي من أرض كنعان . ويظهر من خلال الفقرتين ٤٤ - ٤٥ أن بني إسرائيل لم يصعدوا فعلاً إلى رأس الجبل المجاور . انظر :
وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩

تصعدوا . لأن الرب ليس في وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم . لأن العمالقة والكنعانيين هناك قُدّامكم تسقطون بالسيف إنكم قد ارتددتم عن الرب فالرب لا يكون معكم . لكنهم تجبّروا وصعدوا إلى رأس الجبل . وأما تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرحا من وسط المَحلّة . فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسّروهم إلى حُرْمَة[1])) .

((فرجعتم وبكيتم أمام الرب ولم يسمع الرب لصوتكم ولا أصغى إليكم . وقعدتم في قادش أياماً كثيرة كالأيام التي قعدتم فيها))[2] .

وهذا يشير إلى أن بني إسرائيل قرروا المحاولة في الهجوم المُجازف ، ورأوا أن ذلك أفضل لهم من التيه والتجوال في البرية . لكن كانت النتيجة أن صُدّوا بقوة ساحقة من قِبل العماليق في النقب ، ومن قبل الكنعانيين في المناطق الجبلية[3] .

ودخل بنو إسرائيل في مرحلة جديدة من حياتهم ، وهي فترة التيه أربعين عاماً ، يتجولون في الصحراء بقسوتها وخشونتها ، فكانت أصلح مكان لرياضة بني إسرئيل على الحياة الروحية ، وبخاصة حول مدينة قادش التي كانت مركزاً قديماً للعقيدة العربية الجنوبية المعروفة باسم المعينية ، والتي كانت سائدة في شمال الجزيرة العربية ، وبخاصة في هذا الصقع ، ووجود طرق القوافل التجارية بالقرب منها . لذلك فإنه خلال فترة التيه انضم إلى بني إسرائيل بعض القبائل الأخرى ، وصاروا على اتصال بالقبائل المتواشجة معهم ،

---

(١) حُرْمَة : كانت تُسمى في الأصل " صفة Zephath " ، وهي تل المُشاش حالياً نحو ٥ أكيال شرق بئر السبع ووفقاً لما ورد في سفر العدد ٢١ : ١ - ٣ فإن بني إسرائيل بعد انتهاء فترة التيه والتقصاء ٣٨ سنة سارو من قادش ، وبينما كانوا معسكرين في جبل هور عاد الكنعانيون بقيادة كنعاني ملك عراد ، وهاجموهم ، وأخذ بعض الأسرى . فسر بنو إسرائيل بإهلاكهم لو تعلو عنهم . فيما تحقق هم ذلك دمروا مدينتهم ، وأطلقوا على اسم المكان حُرمة وفي سفر القضاة ١ : ١٧ « وذهب يهودا مع شمعون أخيه وضربوا الكنعانيين سكان صفاة وحرّموه ودعوا اسم المدينة حُرمة » . وهذا يشير إلى أنه ربما كانت هناك أكثر من مدينة تُسمى حرمة .

انظر

نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ هامش (١) وكذا

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ وكذا

Eissfeldt , O , Op Cit , P 328 ,
Noth , M , Op Cit , P 58

(٢) سفر التثنية ١ : ٤٥ - ٤٦ .

(٣) Anderson , B . W , Op Cit , P 66 .

والتي سبقت إلى نصب خيامها هناك ، فتزايدوا وتناسلوا ، وشكّلوا بذلك خليطاً من الأقوام ، يتجولون في الاقليم الممتد بين قادش وإيلات طوال تلك الفترة . فكانت لديهم الفرصة ليعكسوا التجربة التي جمعتهم مع بعضهم البعض ، وتوصّلوا إلى فهم أعمق لطبيعة الجماعة والمجتمع الذين سُمّوا به[١] .

وهكذا كانت حياتهم في شبه جزيره سيناء ، خلال فترة التيه ، لا تختلف كثيراً عن حياتهم السابقة في مصر ، من حيث أنهم ظلوا يعيشون حياة البدو ، القائمة على البحث عن أماكن الماء والكلأ ، وبشكل خاص عند مفترق الوديان الصحراوية قرب قادش[٢] .

والراجح أنه ليس من الصواب تفسير بقاءهم في سيناء تلك المدة الطويلة تفسيراً مادياً ، بمعنى أن كونهم بدواً رُحّلاً هو الذي جعلهم يبقون في الصحراء تلك الفترة الزمنية، إذ أن بني إسرائيل عاشوا في ضنكٍ من العيش طوال تلك الرحلة ، حتى وصل بهم الأمر أن يهموا في العودة إلى مصر ، وكانوا يتمنون أنهم ما خرجوا منها . وما ذلك كله إلا لعدم وجود ما ألِفوه من أسباب الحياة في مصر ؛ من ماءٍ عذب وطعام متعدد الأصناف ، وكلأ لأنعامهم . فكان بقاءهم في الصحراء أمر خاضع لإرادة الله عز وجل ، وسبب خارج عن إرادتهم لا محالة[٣] .

وعلى ذلك ، فلا يمكن قبول ما ذهب إليه أحد المؤرخين[٤] بقوله :

« أما قصة الأربعين عاماً التي يزعمون أنهم ضلوا فيها طريقهم في الصحراء فإنها تبدو غير مقبولة ، وغير معقولة ، لأنها لا تخرج عن كونها تحرّكات قبلية طبيعية لجماعة من الرُّحل عاودهم الحنين إلى حياة أسلافهم » .

وهذا القول مردود على صاحبه ، لأنه يُنكر أمراً ثبت بالنص الصريح والصحيح في القرآن الكريم . وهو ينطلق في حكمه ذلك من منطلق عدم إيمانه بالقرآن الكريم ، خاصة وأنه ليس من ملة المسلمين .

---

(١) فؤاد حسنين علي . فلسطين العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ١١ وكذا محمد بدا : المرجع السابق ، ص ٢٢ وكذا

Anderson , B W , Op Cit . , P . 51 ;
Kapelrud , A S , Op Cit . , P 24 .
Eissfeldt , O , Op Cit , P P . 325 - 326

(٢) حسن أحمد محمود وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٣) عبد الشكور محمد أمان العروسي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) نجيب ميخائيل إبراهيم : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .

وفيما يتعلق بالمصادر الإسلامية ، فقد أشارت إلى التيه الذي حكم به الله عز وجل على بني إسرائيل .

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قومِ اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤتِ أحداً من العالمين • يا قومِ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين • قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون • قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين • قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون • قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين • قال فإنها مُحرَّمة عليهم أربعين سنةً يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾[1] .

هذه الايات البيّنات توضّح مرحلة التيه التي آل إليها بنو إسرائيل بعد عصيانهم أمر ربهم وأمر رسوله الكريم موسى عليه الصلاة والسلام . وهي تشير إلى جملةٍ من القضايا الهامة التي ينبغي توضيحها .

قال تعالى : **﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قومِ اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤتِ أحداً من العالمين ﴾**[2] .

لقد امتن الله عز وجل على بني إسرائيل بأن جعل فيهم أنبياء كرام على نحو لم يكن لاسلافهم من الأمم قبلهم ، وجعلهم أحراراً من ذل استعبادهم وتسخيرهم في مصر ، وآتاهم الله عز وجل من فضله مالم يؤت أحداً من الأقوام المعاصرة لهم .

وفي قوله تعالى : **﴿ وجعلكم ملوكاً ﴾** يقول أحد المفسرين[3] :

---

(١) سورة المائدة ، الآيات (٢٠ - ٢٦) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢٠) .

(٣) القرطبي - المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٨٢ .

« أي تملكون أمركم لا يغلبكم عليه غالب بعد أن كنتم مملوكين لفرعون مقهورين، فأنقذكم منه بالغرق ، فهم ملوك بهذا الوجه » .

فالمُلْك المقصود بالآية هو أن يكون المرء منهم حراً مالكاً لزمام أمره ، يملك نفسه ، وأهله ، وحرّيته ، بعد الحرية والخلاص من فرعون وملأه ، لأنهم حقيقةً تحرّروا من غير الاستعباد[١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾[٢] ، بشارة من موسى عليه الصلاة والسلام لقومه بأنهم سيدخلون الأرض المقدسة ، وهي أرض كنعان .

قال أحد علماء القرن الثامن الهجري[٣] :

« وَتأمّل تَلطّف نبي الله تعالى موسى عليه السلام بهم ، وحُسْن خطابه لهم ، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ، وبشارتهم بوعد الله لهم ؛ بأن القرية مكتوبة لهم ، ونهيهم عن معصيته بارتدادهم على أدبارهم ، وأنهم إن عصوا أمره ، ولم يمتثلوا انقلبوا خاسرين . فجمع لهم بين الأمر والنهي ، والبشارة والنّذارة ، والترغيب والترهيب ، والتذكير بالنعم السالفة ، فقابلوه أقبح المقابلة ، فعارضوا أمر الله تعالى بقولهم ﴿ **يا موسى إن فيها قوماً جبارين** ﴾ فلم يوقّروا رسول الله وكليمه ، حتى نادوه بإسمه ، ولم يقولوا : يا نبي الله . وقالوا ﴿ **إن فيها قوماً جبارين** ﴾ ونسوا قدرة جبار السموات والأرض الذى يُذلّ الجبابرة لأهل طاعته . وكان خوفهم من أولئك الجبارين – الذين نواصيهم بيد الله – أعظم من خوفهم من الجبار الأعلى سبحانه ، وكانوا أشد رهبة في صدورهم منه . ثم صَرّحوا بالمعصية والامتناع من الطاعة ، فقالوا : ﴿ **إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها** ﴾ فأكّدوا معصيتهم بأنواع من التأكيد ... » .

---

(١) محمد أحمد العدوي المرجع السابق ، ص ١٧٦ وكذ.

لنهامي نقرة : المرجع السابق ، ص ٢١٠ وكذ

محمد خير عدوي : " العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، فرع الكتب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٤٩٨ وكذا

عفيف عبد الفتاح طبارة ، المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢١) .

(٣) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٣١٢ .

وقد حرّض موسى عليه الصلاة والسلام قومه على دخول الأرض المقدسة المطهرة ، وحضّهم على الجهاد في سبيل الله والدخول إليها ، حيث كانت بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب عليه السلام لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى مصر أيام يوسف عليه الصلاة والسلام ، وبالتالي فإن القوم الجبارين قد استحوذوا عليها وتملّكوها ، فلابد من قتالهم . وبشّرهم موسى عليه لصلاة والسلام بالنُّصرة والظفر عليهم ، فنكلوا وعصوا ، وخالفوا أمره ، فعوقبوا بالذهاب في التيه ، والتمادي في سيرهم حائرين لا يدرون كيف يتوجهون إلى مقصد مدة أربعين سنة ، عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى ، والنكوص على الأعقاب[1] .

وكان ينبغي أن يفتح هذا التذكير أذهانهم على الواقع بمسئولياته الكبار ، فيكونوا عند حُسن الظن بهم ، جنوداً مخلصين لتحقيق ما وعدهم الله به ، فيبذلوا النفس والنفيس في الطريق إلى الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، خاصة وأن رسولهم موسى عليه الصلاة والسلام بيّنَ لهم أن خوضهم المعركة ضد القوم الجبارين مضمونة النتائج لصالحهم . ولكنهم لم يتورعوا عن الاستهزاء بالله وبرسوله قائلين : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا** ﴾ مع أن النصيحة أُسديت إليهم ممن يُقدِّرون العواقب[2] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **فإنها مُحرمةٌ عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** ﴾[3] ، قال فخر الدين الرازي[4] :

« في هذه الآية قولان : أحدهما ، أنها منصوبة بالتحريم ، أي الأرض المقدسة مُحرمة عليهم أربعين سنة ، ثم فتح الله تعالى لهم تلك الأرض . هكذا ذكره الربيع بن أنس .

والقول الثاني : أنها منصوبة بقوله : ﴿ **يتيهون في الأرض** ﴾ أي بقوا في تلك الحالة أربعين سنة . وأما الحُرمة فقد بقيت عليهم وماتوا ، ثم إن أولادهم دخلوا بعد ذلك

---

(١) ابن كثير المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧ وكذا
جمال عبد الهادي محمد : أحصاء يجب أن تُصحح في التاريخ – الطريق إلى بيت المقدس لقضية الفلسطينية ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، دار لوفاء لطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ، ص ١٤ ص ١٦ .

(٢) محمود محمد عمارة : اليهود في الكتب المقدسة ، المجلس لأعلى للشئون لإسلامية ، لقاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٥٤ .

(٣) سورة لمائدة ، الآية (٢٦) .

(٤) لتفسير الكبير ، ج ١١ ، ص ٢٠١ – ص ٢٠٢ .

الأرض المقدسة . وقوله ﴿ **محرمة عليهم** ﴾ الأكثرون على أنه تحريم منع لا تحريم تَعبُّد ، وقيل : يجوز أيضاً أن يكون تحريم تَعبُّد ، فأمرهم بأن يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبليّة عقاباً لهم على سوء صنيعهم » .

وقال القرطبي[١] :

« معنى ﴿ **مُحرمة** ﴾ أي أنهم ممنوعون من دخولها ؛ فهو تحريم منع لا تحريم شرع » .

فالتيه هو الذي حُدد بأربعين سنة وليس التحريم ، فالتحريم مطلق أبدي ، أي لن يكون لهم بها استقرار[٢] .

وقد روى الطبري[٣] بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لما دعا موسى - يعني بدعائه قوله تعالى : ﴿ **رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** ﴾[٤] ، دخلوا في التيه ، فكل من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه .

وروى الطبري[٥] أيضاً بسنده عن قتادة أنه حُرمت على بني إسرائيل القرى ، فكانوا لا يهبطون قرية ، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة ، ولم يدخل بيت القدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالا ما قالا .

ويظهر والله أعلم ، أن الله عز وجل حِكمة ربانية في الحكم عليهم بالتيه أربعين عاماً .

قال أحد المؤرخين[٦] :

« ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التيه مقصودة ، وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل ، والقهر ، والقوة ، وتخلّقوا به ، وأفسدوا من عصبيتهم حتى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٨٥ .

(٢) أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣) تاريخ الطبري ، ج ١ ، ص ٤٣٥ .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٢٥) .

(٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٦ .

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٤١ - ص ١٤٢ .

نشأ في ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف الأحكام والقهر ، ولا يُسام بالمذلة ، فنشأت بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلّب . ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتي فيها فناء جيلٍ ، ونشأة جيلٍ آخر ، سبحان الحكيم العليم » .

وقريب من هذا ما ذهب إليه أحد المفسرين[1] : من أن الله عز وجل ضرب عليهم التيه أربعين سنة لحكمة بالغة ؛ وهي إرادة انقراض أولئك القوم الذين تأشّبت في نفوسهم عقائد الوثنية ، وزايلتها صفات الرجولية ، حتى فسد مزاجها ، وتعذَّرَ علاجُها ، وخروج نشء جديد يتربى على العقائد الصحيحة ، وأخلاق الشهامة والرجولية ، فتاهوا حتى انقرض أولئك المُصابون باعتلال الفطرة ، وبقي النشء الجديد ، وبعض الذين كانوا عند الخروج من مصر صغاراً لا يقدرون على حمل السلاح ، وقضى الله أمراً كان مفعولاً .

وهكذا ، ظل بنو إسرائيل يعيشون في الصحراء حتى انقضى جيل الذل والخنوع خلال أربعين سنة ، ونشأ جيل جديد من أبنائهم تربوا على الإيمان ، وتحمَّل شظف العيش ، فكانوا مؤهَّلين بذلك لأن يفتح الله عليهم الأرض المقدسة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بني إسرائيل أثناء وجودهم في التيه لاشك أنهم كانوا يمارسون الشعائر التعبدية لله عز وجل ، ومن ذلك أداء موسى الحج إلى بيت الله الحرام في مكة .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[2] بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ... أما موسى : كأني انظر[3] إليه ، إذ انحدر في الوادي يُلبّي ».

---

(١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ؛ ج ٦ ، ص ٢٧٨ - ص ٢٧٩ .

وانظر :

محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، ص ٩٩ وكذا

عبود محمد عمارة : المرجع السابق ، ص ٥١ وكذا

محمد العزب موسى : المرجع السابق ، ص ٧٣ وكذا

عفيف عبد الفتاح طبارة : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ص ٢٢٩ وكذا

صلاح عبد الفتاح الخالدي : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ص ٨٩ وكذا

محمد سيد طنطاوي : المرجع السابق ، ص ٤٦٨ - ص ٤٦٩ .

(٢) صحيح البخاري ، ج ٢ ، كتاب الحج ، باب التلبية إذا انحدر في الوادي ، ص ٥٦٣ ، حديث رقم ١٤٨٠ .

(٣) هناك آراء لبعض العلماء في معنى قوله ﷺ : « كأني أنظر » على أوجه :

⇐

وروى الإمام أحمد[1] بسنده عن أبي العالية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق[2] ، فقال :

⇐ الأول : هو على الحقيقة ، والأنبياء أحياء عند ربهم يُرزقون ، فلا مانع أن يحجّوا في هذا الحال كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس : « أنه ﷺ رأى موسى قائماً في قبره يُصلي » ، ولا يبعد أن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا ، لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل ، حتى إذا فنيت مدتها ، وتعقّبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل .

الثاني : أن عمل الآخرة ذكر ودعاء ، لقوله تعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴾ سورة يونس ، الآية ١٠. لكن تمام هذا التوجيه أن يقال أن المنظور إليه هي أرواحهم ، فلعلها مُثّلت له ﷺ في الدنيا كما مُثّلت له ليلة الإسراء ، وأما أجسادهم فهي في القبور .

الثالث : كأنه مُثلت له أحوالهم التي كانت في الحياة الدنيا ، كيف تعبّدوا ، وكيف حجّوا ، وكيف لبّوا ، ولهذا قال كأني .

الرابع : قال القاضي عياض رحمه الله : أكثر الروايات في وصفهم تدل على أنه ﷺ رأى ذلك ليلة أُسري به .

الخامس : كأنه أُخبر بالوحي عن ذلك ، فلشدة قطعه به قال كأني أنظر إليه .

السادس : كأنها رؤية منام تقدمت له ﷺ فأخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ، ورؤيا الأنبياء وحي . وهذا هو المعتمد عند ابن حجر رحمة الله عليه بناءً على أحاديث الأنبياء التي صرحت بنحو ذلك في أحاديث أُخر . وفي الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال : « بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة ... » وذكر الحديث في قصة عيسى ﷺ . والله أعلم . انظر :

النووي : المصدر السابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات ، ص ٢٢٨ - ص ٢٢٩ وكذا

ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٩٤ - ص ١٩٥ .

(١) أحمد بن محمد بن حنبل : المُسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج ٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، ص ٢٥٨ ، حديث رقم ١٨٥٤ .

(٢) وادي الأزرق : وادٍ بالحجاز ، يقع خلف أمَج ، ويُعرف اليوم بـ " النّعر " ، جنوب الدَّفّ ، غير بعيد بينه وبين عُسفان ، فيه ماء وزراعة عثرية . وهذا الوادي إذا وازن عُسفان من الشمال سُمي " غُران " ، ويمر غُران شمال عسفان على ستة أكيال ، بينهما ثنية غزال المعروفة اليوم بثنية عُسفان . انظر :

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٨ وكذا

محمد بن عبد المنعم الحميري : كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٦٠٤ وكذا

ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٩٤ وكذا

عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج ١ ، الطبعة الأولى ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، الطائف ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٩٠ وكذا

⇐

« أيُّ وادٍ هذا ؟ » قالوا : هذا وادي الأزرق ، فقال : « كأني أنظرُ إلى موسى عليه السلام وهو هابطٌ من الثنية وله جُؤارٌ[1] إلى الله عز وجل بالتلبية » .

وفي رواية أخرى[2] عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ، فمررنا بوادٍ فقال :

« أي وادٍ هذا ؟ » فقالوا : وادي الأزرق . فقال : « كأني أنظرُ إلى موسى ﷺ (فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود)[3] واضعاً إصبعيه في أُذنيه له جؤارٌ إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي ... » .

ونتيجة للطبيعة النفسية التي جُبل عليها بنو إسرائيل في الشغب والتمرد على رسولهم موسى عليه الصلاة والسلام ، فإنهم دأبوا على مواصلة ما اعتادوا عليه من العصيان .

← عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج ٦ ، الطبعة الأولى ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٢٣٢ - ص ٢٣٦ .

(١) جؤار : من الفعل جأر ، إذا أفرط في الدعاء والتضرع . انظر :

الراغب الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٢) النووي : المصدر السابق ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات ، ص ٢٢٩ - ص ٢٣٠ .

(٣) هو الإمام الثبت أبو محمد البصري داود بن أبي هند رواي هذا الحديث عن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما . رأى أنس بن مالك ، وروى عن ابي العالية وسعيد بن المسيب وأبي عثمان ، وابن سيرين ، والشعبي ، وعكرمة . وكان من حفاظ أهل البصرة ومفتيهم . حديثه في الكتب الستة ، لكن في البخاري استشهاداً . مات في أول سنة أربعين ومائة راجعاً من الحج ، وكان رأساً في العلم والعمل . انظر :

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م ، صوّرته ونشرته في طبعته الثالثة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ص ١٤٦ ص ١٤٧ وكذا

ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ، قدم له دراسة وعلق عليه وقابله بأصل مؤلفه محمد عوّامة ، الطبعة الأولى ، دار الرشيد ، سوريا ، حمص ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٠ ، ترجمته رقم ١٨١٧ وكذا

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : طبقات الحفاظ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ، ص ٦٩ - ص ٧٠ .

جاء في نص التوراة[١] :

« وأخذ قُورَح بن يصهار بن قهات بن لاوي وداثان وأبيرام ابنا أليـاب وأون بن فالّت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناسٍ من بني إسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للإجتماع ذوي اسم . فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا هما كفاكما . إنّ كلّ الجماعة بأسرها مُقدّسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب . فلما سمع موسى سقط على وجهه . ثم كلم قُورَح وجميع قومه قائلاً غداً يُعلن الرب مَنْ هو له ومَنْ المُقدّس حتى يُقرّبهُ إليه » .

وكانت غاية قورح ومن معه من الثائرين على موسى وهارون عليهما السلام تحويل الرئاسة من موسى إلى سبط رأوبين[٢] .

وقد خاطبوا موسى عليه الصلاة والسلام بقولهم :

« أقليلٌ أنك أصعدتنا من أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً لتُميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤساً »[٣] .

وليس هناك دليل على تعيين مكان هذه الحادثة وزمانها ، وإن كان سياق الأحوال يحمل على الظن أنها حدثت في إحدى السنين الأولى من التيه أثناء إقامتهم في قادش[٤] .

ويظهر من نص التوراة[٥] ، أن أولئك الرؤساء الثائرين على موسى عليه الصلاة والسلام تَقدّموا مَنْ معهم من الناس ، وعددهم مائتين وخمسين ، أمام الرب ، مُظهرين أنهم يقومون بأداء مراسم العبادة ، وتقديم القرابين . ولكن حقيقة الأمر ، أن قيامهم بذلك ليس حُباً في عبادة ، ولا إخلاصاً في طاعة الله عز وجل ؛ وإنما مُشاقّةً لله ولموسى وهارون عليهما السلام ، متجاهلين كل ما حذرهم منه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام[٦] .

---

(١) سفر العدد ١٦ : ١ - ٥ .

(٢) بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٧٤٦ .

(٣) سفر العدد ١٦ : ١٣ .

(٤) وليم مارش : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٨٣ - ص ٢٨٤ .

(٥) سفر العدد ١٦ : ١٨ - ٣٠ .

(٦) كمال أحمد عون . المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ص ٤٠ .

فأنزل الله عز وجل عقوبته عليهم ، كما جاء في نص التوراة[1] :

« انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياءً إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادو من بين الجماعة . وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم . لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا .

وخرجت نارٌ من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلاً الذين قرّبوا البخور » .

ولعل هذه الحادثة التي حلّت بقورح ومن معه في النصوص السابقة من التوراة ، هي ما أشارت إليه الآيات القرآنية الكريمة بذكرها لـ" قارون " وبغيه على قومه ، فلعل قورح هو قارون نفسه ، والله أعلم .

قال تعالى :

﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين • وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغِ الفساد في الأرض إن الله لا يُحب المفسدين • قال إنما أُوتيته على علمٍ عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جمعاً ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون • فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أُوتيَ قارون إنه لذو حظٍ عظيم • وقال الذين أُوتوا العلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً ولا يُلقاها إلا الصابرون • فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين • وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يُفلح الكافرون • تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[2] .

---

(١) سفر لعدد ١٦ : ٣١ ٣٥ . وانظر :

سفر العدد ٢٦ : ٩ - ١٠ ؛ سفر لتثنية ١١ : ٦ ؛ سفر لمزامير ١٠٦ : ١٦ - ١٨ .

(٢) سورة لقصص ، الآيات (٧٦ - ٨٣) .

وقد ذكر بعض العلماء[١] ، أن من البغي الذي اتصف به قارون كان الحسد لموسى وهارون عليهما السلام ، حيث اعتقد أنهما ذهبا بالأمر فلم يبق له شيء ، فضلاً عن الكِبْر الذي لازمه ، وطغيانه بكثرة أمواله ، حتى أهلكه الله عز وجل .

وذكر ابن كثير[٢] : ((أن قارون مَرّ على مجلس موسى عليه الصلاة والسلام وهو يُذكّرُ قومه بأيام الله ، فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير منهم ينظرون إليه ، فدعاه موسى عليه الصلاة والسلام ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا موسى ، أما لئن كنت فُضِّلتَ عليَّ بالنبوة ، فلقد فُضِّلتُ عليك بالمال ، ولئن شئت لتخرُجنَّ فَلَتدعونَّ عليَّ ، ولأدعونَّ عليك . فخرج وخرج قارون في قومه ، فقال له موسى : تدعو أو أدعو ؟ قال : أدعوا أنا . فدعا قارونُ فلم يُجَبْ في موسى . فقال موسى : أدعو ؟ قال : نعم .

فقال موسى : اللهم مُر الأرض فلتطغى اليوم ، فأوحى الله إليه : إني قد فعلت . فقال موسى : يا أرضُ خُذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : خُذيهم . فأخذتهم إلى رُكَبهم ، ثم إلى مناكبهم ، ثم قال : أقبلي بكنوزهم وأموالهم ، فأقْبَلت بها حتى نظروا إليها ، ثم أشار موسى بيده ، فقال : اذهبوا بني لاوي . فاستوت بهم الأرض)) .

إلا أن بعض بني إسرائيل في اليوم التالي لهذه الحادثة لم يعتبروا بما حدث لأولئك الرجال الذين خُسف بهم ، فتذمروا مرةً أخرى على موسى وهارون عليهما السلام .

جاء في نص التوراة[٣] :

((فتذمَّرَ كلُّ جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب . وبما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون انصرفا إلى خيمة الإجتماع)) .

فأنزل الله عز وجل بهم الوباء ، ولم ينكشف عنهم إلا بعد أن أمر موسى عليه الصلاة والسلام أخاه هارون بالتكفير عنهم ، بعد أن مات منهم خَلْقٌ كثير . جاء في التوراة[٤] :

---

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري . ج ١٣ ، ص ٢٠١ ص ٢٠٢ وكذا محمد الطيب النجار : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٠١ وكذا البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٣) سفر العدد ١٦ : ٤١ ٤٢ .

(٤) سفر العدد ١٦ : ٤٦ - ٤٩ .

« ثم قال موسى لهارون خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مُسرعاً إلى الجماعة وَكَفِّر عنهم لأن السَّخَط قد خرج من قِبَل الرب . قد ابتدأ الوباء . فأخذ هارون كما قال موسى وركض إلى وسط الجماعة وإذا بالوباء قد ابتدأ في الشعب فوضع البخور وَكفَّر عن الشعب . ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء . فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً وسبعمائة عدا الذين ماتو بسبب قورح » .

والحق ، أن استقصاء الإنحرافات الكثيرة لبني إسرائيل أمر يطول ، فهم قومٌ قد جُبلوا على التمرد والعصيان لله ورسوله في شتى مراحل حياتهم ، أثناء حياة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ، وبعد مماتهما . لذلك فإني أضرب صفحاً عن تتبّع الحوادث والوقائع الكثيرة المرتبطة بهم ، أثناء فترة التيه ، التي استمرت أربعين سنة ، وذلك خشية الإطالة في هذا المقام ، وصدق الله العظيم إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه يا قومِ لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[2] .

فصبر موسى عليه الصلاة والسلام على تمرّدهم وأذاهم في سبيل الله ، فكان أحد أولي العزم من الرسل الكرام الذين اقتدى بهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾[3] .

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم حُنين آثرَ النبي ﷺ أُناساً في القِسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل ، وأعطى عُيينة مثل ذلك ، وأعطى أُناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذٍ في القسمة . فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها ، وما أُريد بها وجه الله ، فقلت : والله لأُخبرنّ النبي

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٦٩)

(٢) سورة الصف ، الآية (٥)

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥) .

ﷺ ، فأتيته فأخبرته فقال : « فمن يَعْدِل إذا لم يَعْدِل الله ورسوله ، رحم الله موسى قد أُوذيَ بأكثر من هذا فصبر »[١] .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قسم رسول الله ﷺ قَسْماً ، فقال رجل : إنها لقسمةٌ ما أُريد بها وجه الله . قال : فأتيت النبي ﷺ فسارَرْتُه ، فغضب من ذلك غضباً شديداً واحمَرَّ وجهُهُ حتى تمنّيت أني لم أذكُرْهُ له ، قال : ثم قال : « قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر »[٢] .

وعلى أي حال ، فقد كانت الأربعين سنة من التيه لبني إسرائيل مرحلة حاسمة في حياة الجيل الجديد منهم . فبعد فناء جيل الذل والجُبْن ، نشأ من أبنائه ، حسب تعبير أحد الباحثين[٣] ، جيل عاش على الشدة والقوة ، وشظف العيش ، وقسوة الحياة في الصحراء ، أيقظت فيه الرجولة واهمّة العالية ، والتّحمّل والصّبر ، والشجاعة والإقدام ، والتجأ إلى الله ، وأخلص له ، واستفاد مما نما فيه من سمات الرجال المجاهدين .

وبدأ موسى عليه الصلاة والسلام يستعد بهذا الجيل للتوجه إلى الأرض المقدسة ، أرض كنعان[٤] ، وتحقيق ما كتب الله لهم فيها ، وفقاً لأوامر الله سبحانه وتعالى . وبذلك تبدأ المراحل الأولى من العلاقات ذات الطابع العدائي ، بين بني إسرائيل وبين المجتمعات الساميّة المقيمة في المناطق المتاخمة لأرض كنعان .

---

(١) البخاري : المصدر السابق ، كتاب فرض الخُمُس ، باب ما كان النبي ﷺ يُعطي المؤلّفة قلوبهم وغيرهم من الخُمُس ونحوه ، حديث رقم ٣١٥٠ . وانظر :

الأحاديث ذات الأرقام ٣٤٠٥ ، ٤٣٣٥ ، ٤٣٣٦ ، ٦٠٥٩ ، ٦١٠٠ ، ٦٢٩١ ، ٦٣٣٦ وكذ

النووي : المصدر السابق ، ج ٧ ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلّفة ومن يُخاف على إيمانه . ص ١٥٧ - ص ١٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .

(٣) صلاح عبد الفتاح الخالدي : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٤) انظر :

رشاد محمود بغدادي : المرجع السابق ، ص ١٧ - ص ٤٦ .

الباب الثالث

المجتمعات الساميّة المعاصرة للخروج في غربي الشرق الأدنى القديم وموقفها من بني إسرائيل

الفصل الأول

دراسة تاريخية للمجتمعات السامية المعاصرة للخروج في غربي الشرق الأدنى القديم

أ - مجتمع مدين .

ب - مجتمع إدوم .

جـ - مجتمع مؤاب .

إن الدراسة التاريخية لمجتمعات مدين ، وإدوم ، ومؤاب ، وغيرها من المجتمعات الساميّة التي كانت قائمة في فترة خروج بني إسرائيل من مصر ، أمر في غاية الأهمية . إلا أن ذلك يبدو صعباً في ضوء غياب المصادر الأصيلة ، المعاصرة لتلك الفترة الزمنية ، والتي يمكن الاعتماد عليها .

لذلك ، فإنه من الصعب إعطاء صورة حية ذات تفاصيل وافية ، عن تلك المجتمعات المختلفة ، خلال الحقبة الزمنية الواقعة ما بين ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م وتعقُّب تشابك الحوادث الدولية والحقائق آنذاك ، لتُشكّل منها وحدة تامة ، خاصة في ضوء التوازي الزمني للروايات التاريخية الذي يتحول إلى ترادف فيها[١] .

ففي بداية نشأة هذه المجتمعات أو الشعوب لم تكن تُمثّل دول بالمعنى الحقيقي ، ولكنها كانت عبارة عن مجموعات بشرية ، أخذت تجتاز مرحلة الحياة البدائية إلى نوع من التعايش المُنظّم ، ولكل مجموعة مدنها المتميزة وطقوس عباداتها ، وأساليبها السياسية[٢] .

ومن ناحية أخرى ، فإن منطقة جنوبي سوريا وفلسطين والأردن - وهي التي أُصطلح على تسميتها ببلاد الشام - كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمصر خلال العصر البرونزي الأخير (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م) ، فهذه الفترة التاريخية تُعد بحق فترة الهيمنة المصرية ، إذ قامت مصر بدور كبير في رسم السياسة في هذه المنطقة ، لِما كان لها من أهمية حيوية بالنسبة لمصر[٣] .

وقد امتد النفوذ المصري بشكل واضح خلال فترة حكم الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر إلى منطقة جنوبي سوريا وفلسطين والأردن ، كما ورد ذلك في رسائل العمارنة ، والوثائق الكتابية المصرية ، خاصة تلك الوثائق التي تعود إلى عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق . م) ، والتي ذكرت حملته على هذه المنطقة[٤] .

---

(١) انظر مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان ، وعلي أبو عساف ، وقاسم طوير ، القسم الثاني ، مكان الطبع مجهول ، ١٩٥٠ م ، ص ١٧٨ .

(٢) سورج كوتنو : المدنيات القديمة في الشرق الأدنى ، ترجمة مزي شماس ، المنشورات العربية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٢٥ .

(٣) خير كمر ياسين : جنوبي بلاد الشام وآثاره في العصور البرونزية ، منشورات لجنة تاريخ الأردن ، عمان ، ١٩٩١ م ، ص ١٧٣ .

(٤) انظر :

Albright , W . F , "The Amarna Letters From Palestine", CAH , Vol II , Part 2 , 1975 , P. P 98 - 116

ومن الأسباب الرئيسة لاهتمام مصر بهذه المنطقة ، كونها تُشكِّل البوابة الرئيسة التي من الممكن أن ينفذ منها الأعداء ، وكونها تُشكِّل أيضاً منطقة حيوية بالنسبة لتجارة مصر، وأنها في الوقت نفسه ، حلقة الاتصال الحضاري مع العالم آنذاك . لذا كانت بعض المدن في هذه المنطقة تتحكم بطرق التجارة الدولية ، وتمارس المجتمعات أو الشعوب المقيمة في هذه المنطقة التجارة الدولية ، وتحاول المحافظة على الطرق التجارية المهمة التي تمر بأراضيها[١] .

ومن هذه المجتمعات مجتمع مدين ، ومجتمع إدوم ، ومجتمع مؤاب .

يقول مارتن نوث[٢] :

((لقد كانت شعوب هذه المنطقة أمم منفصلة بمرور الزمن ، خصوصاً في الجزء الجنوبي لأرض شرق الأردن ، بحيث نظّموا أنفسهم في هذا المكان إلى دول في تاريخ مبكر . ولا يُعرف شيء عن التطور البطيء لاحتلالهم الأرض ، وتمسكهم فيها ، ولا يوجد سجلات عن ذلك . وكل ما يمكن إثباته ، بناء على علم الآثار ، أن الجزء الجنوبي من أرض شرق الأردن ، باتجاه الشمال لغاية سيل زيوق ، اضطروا بصعوبة للإستقرار فيه بشكل دائم في العصر البرونزي المتوسط (٢٠٠٠ - ١٥٥٠ ق.م) ، والعصر البرونزي الأخير (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م) ، حيث بدأ الاستيطان فيه ، وبشكل ثابت في غضون القرن الثالث عشر قبل الميلاد)) .

---

(١) خير نمر ياسين : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) Noth , M , The History of Israel , SCM Press , London , 1983 , P 154

أ - مجتمع مدين :

لقد أشار القرآن الكريم إلى مدين عشر مرات[١] ، وارتبط ذكرهم برسول الله شعيب عليه الصلاة والسلام في أحد عشر موضعاً[٢] من القرآن الكريم .

ولا يهم الباحث هنا الدور المبكر لمدين ، وما ارتبط بها من أحداث سابقة لعصر موسى عليه الصلاة والسلام ، إذ المقصود محاولة بيان ما كان عليه أهل مدين في فترة خروج بني إسرائيل من مصر ، بقيادة الرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام .

فموسى عليه الصلاة والسلام كان قد فر من مصر إلى مدين بعد أن قتل فيها نفساً ، ثم مكث فيها عشر سنين يرعى الغنم لحميه الشيخ الكبير الصالح ، لقاء زواجه بإحدى ابنتيه .

قال تعالى : ﴿ **فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدرٍ يا موسى** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل • ولما ورد ماء مدين وجد عليه أُمّةً من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخٌ كبير • فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقير • فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءَهُ وقصَّ عليه القَصص قال لا تخف نجوتَ من القوم الظالمين • قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين • قال إني أُريد أن أُنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حِجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أُريد أن أشقَّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين • قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما نقول وكيل** ﴾[٤] .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، المكتبة الإسلامية ، سمسمول ، ١٩٨٤ م . ص ٦٦٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٨٣ .

(٣) سورة طه ، الآية (٤٠) .

(٤) سورة القصص ، الآيات (٢٢ ٢٨) .

وقد أشارت التوراة[١] أيضاً إلى علاقة موسى عليه الصلاة والسلام بأهل مدين ، وزواجه بابنة الشيخ الكبير ، رغم تضارب الروايات فيها .

إن معاصرة المجتمع المديني للعصر الذي عاش عليه موسى عليه الصلاة والسلام ، يدل على قِدم وجودهم في لفترة السابقة لقرن الثالث عشر قبل الميلاد على أقل تقدير ، وقد كان المجتمع المديني عبارة عن قبائل عدة ، وبعض تلك القبائل كانت شبه مستوطنة ، ونشطة في المجال الاقتصادي التجاري مع مصر وبلاد كنعان ، لذلك امتد نشاطها الاقتصادي والحضاري في محيط منطقة شمال غرب الجزيرة العربية الممتدة شمالاً حتى موقع مدينة العقبة ، وجنوباً حتى موقع المويلح ، وفي ناحية الغرب الساحل الشرقي لخليج العقبة . أما قبائل المدينيين البدوية فكانت منتشرة في وادي عربة شمالاً ، وفي شرقي سيناء ، وجنوباً في شمال وشمال شرقي الحجاز ، وذلك في فترات الاردهار التي مرت بها[٢] .

ومن القبائل المدينية قبيلة القينيين الذين كانوا يسكنون منطقة مدين ، وكان منهم – حسب بعض نصوص التوراة – حمو موسى عليه الصلاة والسلام ، وكانوا يشتغلون في عمليات تعدين النحاس في وادي عربة بمنطقة مدين ، حتى أن التوراة[٣] تشير إلى أن " توبال قاين " كان أول من صقل المصنوعات النحاسية والحديدية[٤] .

---

(١) سفر الخروج ٢ : ١١ - ٢١ .

(٢) سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء السابع ، عصر مونتوحتب ورعمسيس الثالث ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ م ، ص ١٣٢ وكذ

رشيد سالم الناصوري : " حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٧٢ وكذ

عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ م ، ص ١٤٩ وكذا

Albright , W F , From the Stone Age to Christianity , Second Edition , Doubleday Anchor Books , New York , 1957 , P P 165 , 256 - 257

(٣) سفر التكوين ٤ : ٢٢ .

(٤) سليم حسن : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١٣٢ وكذ

عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني – الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٥٤ – ص ٣٥٥ ، ص ٣٦١ .

وكان لموقع أرض مدين أهمية خاصة في النشاط الاقتصادي ، فهي تتميز بموقعها الجغرافي في شمال غربي الجزيرة العربية في مكان ذو أهمية فريدة ، يقع على مشارف التقاء الهلال الخصيب بشبه جزيرة سيناء ووادي النيل الأدنى من ناحية ، وشبه الجزيرة العربية في جزئها الشمالي الغربي من ناحية أخرى ، أي أنها تقع على طريق القوافل التجارية البرية الوافدة من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة اليمن ، والمتجهة نحو الشمال إلى سوريا وفلسطين ، كما أنها تقع على طريق الهجرات السامية الشمالية الغربية الكنعانية والأمورية والعربية الشمالية ، والمتجهة إلى فلسطين ، وإلى شبه جزيرة سيناء ، وإلى وادي النيل الأدنى ، كما تُطلُّ أيضاً على الطريق البحري الموصل بين مواقع البحر الأحمر ابتداءً من عصيون جابر حتى الجنوب[1] .

لذلك كله ، كانت مدين تُمثّل محطة تجارية برية وبحرية مهمة في هذا الطريق التجاري الرئيس ، فتوفّرت فيها وسائل تزويد التجار بالجمال والماشية ، وكافة لوازمهم في رحلاتهم التجارية الطويلة . فضلاً عن توفّر بعض المعادن فيها مثل : الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والرصاص ، والقصدير ، والزنك ، والفيروز ، وغيره من المواد ، مما أدى إلى نشوء نشاط اقتصادي معدني يتضمن تصنيع هذه المواد ، وبخاصة النحاس ، وتشكيله في صور سبائك تصلح لصناعة السلاسل والأساور وغيرها من الأدوات المعدنية[2] .

ومن خلال الأحداث التي أشار إليها القرآن الكريم ، والمرتبطة بموسى عليه الصلاة والسلام في أرض مدين ، يتبين أن المجتمع المديني كان يعتمد في أسلوب معيشته على الرعي والتجارة ، وربما أيضاً لزراعة في الواحات المنتشرة في المنطقة . فقد أشار أحد المؤرخين[3] إلى أن اتساع المنطقة التي كان يقيم فيها المدينيون ، ساعدت على استغلالهم للواحات الخصبة في شؤونهم الزراعية ، وربما أيضاً استغل أهل مدين وجودهم بقرب ساحل البحر الأحمر في نشاط بحري .

---

(١) رشيد سالم الناصوري : المرجع السابق ، ص ٧١ ، ص ٧٢ وكذا
محمد كمال صدقي : معجم المصطلحات الأثرية ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٥١ .

(٢) رشيد سالم الناصوري : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

ونتيجة للنشاط الاقتصادي القوي الذي كان يزاوله المدينيون ، فقد كان مجتمع مدين مجتمعاً حُرّاً ارتبط بمصر بعلاقات تجارية وثيقة ، حتى أنهم تأثروا أيضاً بالفكر الديني المصري القديم ، حيث كشفت حفائر ايلات عن وجود معبد للمعبودة حاتحور إلى جانب معبوداتهم المحلية[١] .

ومما يجدر ذكره أن أهل مدين كانوا يُنقصون الميزان ، ويتلاعبون في الكيل في معاملاتهم ، إذ وجههم الرسول الكريم شعيب عليه الصلاة والسلام للصواب والحق ، وأنذرهم عاقبة ذلك العمل ، كما في قوله تعالى :

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قومِ اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بيّنةٌ من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين • ولا تقعدوا بكل صراطٍ تُوعِدونَ وتصدّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾[٢] .

وقال تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام :

﴿ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المُخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾[٣] .

وقال تعالى :

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخيرٍ وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ محيط • ويا قومِ أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين • بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴾[٤] .

---

(١) بيقولا حريتال : تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويحاتي ، مراجعة زكية صبوره ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٣٧ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان (٨٥ ، ٨٦) .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات (١٨١ - ١٨٣) .

(٤) سورة هود ، الآيات (٨٤ - ٨٦)

وكل ذلك يشير إلى أنهم كانوا متمادين في غيّهم ، وبعيدين عن الأمانة والعدل في معاملاتهم التجارية ، ومُصرّين على السلوك غير السويّ الذي يؤدي إلى الإفساد في الأرض ، والانحراف عن منهج الحق والعدل ، بدليل أن الآيات القرآنية الكريمة ، آنفة الذكر ، خُتمت بالإشارة إلى الإفساد وعدم الإصلاح .

محاولة تحديد أرض مدين :

إن من الصعب التحديد الدقيق والنهائي لموقع أرض مدين ، وكذلك عاصمة المديين ، إذ أن هناك عدة آراء مختلفة حول هذا الموضوع ، منها :

الرأي التاريخي ، المعتمد على نصوص التوراة ، من أن أرض مدين تمتد شمالاً حتى حدود غزة ، أو حتى حدود مؤاب ، أو حتى حدود إدوم . أما غرباً فإنها تمتد دخل شبه جزيرة سيناء ، بل حتى أرض فاران شمال التيه[١] .

بل إن هناك رأي يذهب إلى أن أرض مدين تُشكّل القسم الجنوبي من شبه جزيرة سيناء[٢] .

ويذهب البعض[٣] إلى أن أرض مدين ، حسب ما تشير التوراة ، تمتد من العقبة باتجاه الغرب إلى سيناء ، حسب ما يُفهم من سفر العدد ١٠ : ٢٩ ، وشمالاً إلى مؤاب حسب سفر التكوين ٣٦ : ٣٥ ؛ وسفر أخبار الأيام الأول ١ : ٤٦ ، وأنها تمتد إلى الصحراء السورية شرق مؤاب وعمون ، حسب ما يُفهم من سفر القضاة ٧ : ٢٥ ؛ ٨ : ١٨ ١٩ ، وإلى السرق من وادي الأردن بناءً على سفر العدد ٢٥ : ٦ - ٧ ؛ ٣١ : ٢ - ٣ ، وسفر يشوع ١٣ : ٢١ ، وإلى كنعان بناءً على ما ورد في سفر القضاة ٦ : ١ - ٦ ، ٣٣ ؛ ٧ : ١ .

كذلك تشير التوراة[٤] إلى وجود أهل مدين في مكانين منفصلين تماماً ، يقع كل واحدٍ منهما على مسافة بعيدة من الآخر ، وربما كان الأول أقرب نوعاً ما ، فهو يقع

---

(١) رشيد سالم الناصوري : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، مراجعة جبرائيل جبور ، الجزء الأول ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ١٩٣ .

(٣) Landes , G M , " Midian ", In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol 3 , Edited by Buttrick , G A , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , P 375

(٤) سفر التكوين ٣٧ : ٢٥ ، ٢٨ .

إلى الشرق والشمال الشرقي من البحر الميت ، وعلى الرغم من أن موقع المكان الآخر لا يمكن التعرف عليه بصفة جازمة من نصوص التوراة ، إلا أنه يجب أن يوضع دون شك إلى الجنوب والجنوب الشرقي من ادوم . ففي سفر التكوين ٣٧ : ٢٥ فإن التجار الإسماعيليين أقبلوا من جلعاد فوق الجمال ومعهم مختلف أنواع العطارة والطيب لينزلوا بها إلى مصر ، فوصلوا إلى الجُبّ الذي أُلقي فيه يوسف عليه الصلاة والسلام . وبناءً على ما ورد في نفس الاصحاح فقرة ٢٨ فإن التجار من أهل مدين قد أخرجوه واشتروه ، ثم أخذوه معهم إلى مصر . مما يدل على أن اسم المدينيين والإسماعيليين قد ناب كل منهما عن الآخر . ويبدو أن القافلة التي كانت تحمل البخور والعطور إلى مصر ، قد عَدَلت عن الطريق الرئيس الذي يصل بين الجنوب وبين فينيقية ودمشق ، فمالت إلى طريق مصر فمرت خلال جلعاد ، إذ من غير الممكن أن تكون قد أتت من جلعاد ، ومن غير الممكن أيضاً أن أهل مدين كانوا يقيمون هناك[١] .

وهذا يدل على شدة القرابة بين الإسماعيليين والمدينيين ، بل أن اليهود كانوا يُطلقون على كل من القبيلتين اسم الآخر ؛ لأنه لم يكن هناك ، حسب ما ورد في سفر التكوين وسفر القضاة آنفي الذكر – ما يميز إحداهما عن الأخرى ، بحيث أن بطون بني إسماعيل نزلت مع نشأتها بين اخوتها المدينيين ، واستوطنت في منطقة شمال الحجاز الممتدة على طريق القوافل المار بطور سيناء إلى مصر[٢] .

---

(١) لويس موسل : شمال بلاد العرب ، الجزء الأول ، شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيني ، مطابع رمسيس ، الاسكندرية ، ١٩٥٢ م ، ص ٧٦ – ص ٧٧ وكذا

Knauf , E A , " Midianites and Ishmaelites " , In Midian , Moab and Edom the History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia , Edited by Sawyer , J . F A and Clines , D J A , JSOT Press , Sheffield , 1983 , P 147

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ، ١٩٢٧ م ، ص ٧٦ وكذا

إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ١١١ – ص ١١٢ وكذا

لويس موسل : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

والحق ، أنه يستحيل الجزم بصفة مؤكدة من أين جاء أولئك التجار من أهل مدين ؛ هل جاءوا من الإقليم الواقع إلى الشمال الشرقي من البحر الميت ؟ أم من ذلك الواقع إلى جنوب إدوم ؟ طالما كانوا في استطاعتهم أن يؤجّروا رواحلهم لأصحاب القوافل التجارية التي قد تتجه إلى أي اقليم مهما يكن موقعه من اقليمهم الذي يقيمون فيه[١] .

وعلى أي حال ، فالظاهر أن المدينيين توغّلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين ، واتخذوا لهم هناك مواطن حديدة ، عاشوا فيها أمداً طويلاً ، وورد ذكرهم في الأخبار المتأخرة ، فذكر بطلميوس (١٢٧ - ١٥١ ب.م) موضعاً يُقال له " مودينا " Modiana على ساحل البحر الأحمر ، يرى العلماء أنه موضع مدين ، وهو ينطبق على موضع أرض مدين المعروفة في الكتب العربية[٢] .

وهناك رأي ذو شهرة تاريخية (الرأي الكلاسيكي) يتجه إلى اطلاق اسم الاقليم النبطي على أرض مدين[٣] . وذكر يوسفوس فلافيوس المؤرخ اليهودي مدينة سماها Madiana وقال إن موسى زارها[٤] .

وذكر بطلميوس مدينة أخرى سماها Madiama[٥] . وقد أشار المؤرخ أويسبيوس Eusebius (٢٦٤ - ٣٤٠ م) إلى مدينة سماها مديم Madiam قال إنها سُميت بهذا الاسم نسبة إلى ولد من أولاد قطورة زوج إبراهيم ، وهي تقع في بادية العرب الرُّحَل Saracens إلى الشرق من البحر الأحمر ، مما يشير إلى أن مدينة مدين كانت تقع فيما وراء حدود لمقاطعة العربية ؛ التي كانت حدودها الثابتة من قبل الجنوب - تطابق الحدود الشمالية لبلاد العرب السعيدة عند السفح الجنوبي لجبل الشراة[٦] .

---

(١) ألويس موسل : المرجع لسابق ، ص ٧٧ .

(٢) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص ٤٥٥ .

(٣) رشيد سام الناصوري : لمرجع السابق ، ص ٧١ .

(٤) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٤٥٥ .

(٥) لمرجع نفسه ، نفس لصفحة

(٦) ألويس موسل : المرجع لسابق ، ص ٦٩ وكذا

Landes , G M , Op Cit . , P 375

فقبيلة مدين كانت تسكن في المنطقة المجاورة لواحة البدع ومغاير شعيب وهي إحدى المنازل من الطريق الساحلي ، بحيث كانت أماكنهم ومضاربهم تمتد إلى الجنوب والجنوب الغربي من معون (معان) ، وإلى الشرق والجنوب الشرقي من خليج العقبة ، وأقصى حدودهم من الجنوب هي واحة ديدان[١] (العلا الحالية) . وإن كان هناك من يرى أن امتداد أرض مدين كان ما بين ناحية العقبة إلى ينبع[٢] .

وقد ذكرت بعض المصادر الإسلامية تحديداً آخر لأرض مدين .

قال ياقوت بن عبد الله الحموي[٣] :

« مَدْيَنُ : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح الياء المثناة من تحت ، وآخره نون ، قال أبو زيد : مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل ، وهي أكبر من تبوك ، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام ، لسائمة شعيب ، قال : ورأيت هذه البئر مُغطاةً قد بُني عليها بيت ، وماء أهلها من عينٍ تجري ، ومدين اسم القبيلة ، ... وهي مدينة قوم شعيب ، سُميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام . قال القاضي أبو عبد الله القُضاعي : مدين وحيّزها من كورة مصر القِبْلية ، وقال الحازمي : بين وادي القرى والشام ، وقيل : مدين تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل ... » .

وقال الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير[٤] :

« مدين تُطلق على القبيلة ، وعلى المدينة ، وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز » .

وقال عبد الرحمن بن محمد بن خلدون[٥] :

« مدين أمة عظيمة من نسل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكانت أرضهم عند عقبة ايلة ، حيث سكنوا هناك » .

---

(١) لويس موسل : المرجع السابق ، ص ٧٤ ص ٧٥ ، ص ٨٣ - ص ٨٤ وكذا

Payne , E J . , " The Midianite Arc in Joshua and Judges " , in Midian , Moab and Edom the History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia , Edited by Sawyer , J F A . , and Clines , D J A , JSOT Press , Sheffield , 1983 , P 163

(٢) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) معجم البلدان ، ج ٥ ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٧٧ - ص ٧٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٢٣١ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثاني ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ٨١ .

وقال آخر[١] :

« مدين بالشام على ساحل بحر القلزم ، وهي أكبر من تبوك ، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب عليه السلام ... ومن مدين إلى ايلة خمس مراحل ... وهي بين جبال شامخة متكائدة ، ... وفي الجبال التي هناك بيوت منقورة في صخر صم قد حُفر في البيوت قبور ، وفي تلك القبور عظام بالية كأمثال عظام الإبل ، يكون مقدار كل بيت عشرين ذراعاً أو نحوها ، ولتلك البيوت روائح خبيثة لا يدخل الداخل فيها حتى يضع يده على أنفه من شدة النتن ... » .

ومن الجدير بالذكر أن بعض المراجع الحديثة ، سواء كانت عربية أو أجنبية ، تكاد لا تتفق في تحديد أرض مدين ، ومساكن المدينيين .

يقول أحد المؤرخين[٢] :

« مدين قبيلة عربية سكنت في منطقة ساحل البحر الأحمر قرب خليج العقبة ، ... وحينما تذهب من قرية ظبا قاصداً خليج العقبة ... تصل إلى وادٍ عظيم ينحدر من سلسلة جبال الحجاز ويصب في البحر الأحمر ، وفي جذيم [أي بقية] ذلك الوادي ... مُنبَسطٌ من الأرض سهل واسع ، يحيط به من أكثر جهاته جبال غير شامخة ، ويفيض في ذلك السهل ماءُ عينٍ عذب ، يسمى ذلك الوادي البِدَع . وفي ضفافه المحفوفة بالجبال مغارات عظيمة ... يُسمّيها القاطنون حولها مغاير شعيب ، وثَمّ بئر يسمونها بئر موسى . ذلك الوادي العظيم هو مقر المدينيين ، وفي القرآن الكريم[٣] ما يشير إلى ذلك حيث سمى مدين بأصحاب الأيكة ، والأيكة في اللغة هي الشجر العظيم الملتف ، ولا يبعد أن يكون ذلك الوادي العظيم في زمنٍ من الأزمان غاصّاً بالأشجار العضيمة الملتفة الكثيرة ، لكثرة مياهه وعذوبتها ، وصيب تربته وصلاحها لإنبات كثير من الأشجار النافعة » .

---

(١) محمد بن عبد المنعم الحميري : كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٥٢٥ – ص ٥٢٦ .

(٢) حمد الجاسر : " على أطلال الأحمد " ، مجلة المنهل ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، السنة الثالثة ، جدة ، ذو الحجة ١٣٥٧ هـ / يناير ١٩٣٩ م ، ص ١١ – ص ١٤

(٣) انظر : سورة الحجر ، الآية (٧٨) ؛ سورة الشعراء ، الآية (١٧٦) ؛ سورة ص ، الآية (١٣) ؛ سورة ق ، الآية (١٤) .

وهناك اتجاه على فكرة الربط بين أرض مدين وبين الأيكة ، على اعتبار تفسير اسم الأيكة بطريقة أخرى ، وهي أن النطق العربي لكلمة ليوكي Leuke ، التي أطلقها بعض الاغريق على الميناء البحرية الواقعة في أرض مدين حين سموها ليوكي كومي Leuke Kome بمعنى القرية البيضاء ، وهو المعنى الذي يشبه اسم ميناء الخوراء (أملج الحالية) الواقعة إلى الجنوب الغربي من واحة البدع[١] .

ويرى البعض[٢] أن أرض مدين هي أرض الأيكة ومكان مغائر شعيب والثابتة بالدلائل التاريخية ، وهي اليوم البِدع ، بكسر الموحدة وسكون أو فتح الدال المهملة ، بلدة ذات مزارع وسكان في وادي عفال ، وهي تبعد عن ساحل البحر ٧٣ كيلاً إلى الداخل ، وتقع جنوب غربي تبوك ، حيث تحيط بها المرتفعات ، ويمر بها الطريق الرئيس المؤدي إلى قرى ومناطق الساحل كالشيخ حميد (الساحل الشرقي لمضايق تيران وصنافير) ، ومقنا ، وضبا ، والخريبة ، وشرمة ، وعينونه ، والوجه ، وأملج ، وينبع ، وحقل ، والعقبة ، وتبوك .

وبين هذه الآراء المتضاربة حول موقع مدين ، فإن الراجح – والله أعلم – ما رآه ألويس موسل وإرنست إكسل كناوف[٣] ، من أن أرض مدين تمتد إلى الجنوب والجنوب

---

(١) عبد العزيز صالح : " شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة " ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول ، وزارة الاعلام ، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٠٣ وكذ

عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، ص ١٥٠ وكذ

ألويس موسل : لمرجع لسابق ، ص ٦٩ وكذ

Kirwan , L P , " Where to Search for the Ancient Port of Leuke Kome ", In Studies in the History of Arabia - Vol II , Pre - Islamic Arabia , King Saud University Press , Riyadh , 1404 A H / 1984 , PP 55 - 61

(٢) عبد القدوس الأنصاري : " جلاء صفحة غامضة من تاريخنا القديم ، تحقيق علمي عن شعيب عليه السلام " ، مجلة المنهل ، المجلد السابع و لعشرون ، الجزء لثاني عشر ، السنة الثانية والثلاثون ، جدة ، ذو الحجة ١٣٨٦ هـ / مارس – ابريل ١٩٦٧ م ، ص ١٣٩٢ وكذا

عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، الجزء الثامن ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ، ص ٦٩ وكذا

حمود بن صاوي القشامي : شمال الحجاز – الجزء الأول – الآثار ، دار لسان العربي ، جدة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧٧ ، ص ٣٢٣ ، ص ٣٦٢ وكذا

Landes , G M , Op Cit ., P 375 .

Noth , M , Op Cit , P P 131 , 161 note 3

(٣) شمال بلاد لعرب ، الجزء الأول ، شمال لحجاز ، ص ٧٤ – ص ٧٥ ، ص ٨٣ – ص ٨٤ وكذا

Knauf , E A ., Op Cit , P . 148

الغربي من معون (معان) وإلى الشرق والجنوب الشرقي من خليج العقبة ، وأقصى حدودهم من الجنوب هي واحة ديدان (العلا الحالية) ، وأن موقع واحة البدع الحالية كان عاصمة لهم .

والواقع اني أتفق أيضاً في الرأي مع رشيد سالم الناضوري[1] - رحمة الله عليه - في أن هناك ضرورة أثرية مُلِحّة ، وهي حتمية القيام بالبحث الأثري في مواقع مختلفة مثل : مغاير شعيب عليه السلام ، وواحة البدع ، وواحة ماليحة ، وعينونة ، ومغاير الكفار ، وواحة شرمة ، حتى يمكن حسم هذا الموضوع ، وإلقاء الضوء على تاريخ هذه المنطقة الهامة في الشرق الأدنى القديم .

ومن الملامح الرئيسة لمجتمع مدين التكوين القبلي ، بمعنى أن قبيلة مدين كانت تُمثل التكوين السياسي للمدينيين في أماكن إقامتهم .

وعلى الرغم من أن هذا النظام القبلي قد ظهر أساساً في مناطق بادية شبه الجزيرة العربية ، إلا أنني أميل إلى أن مثل هذا النظام هو الذي يمكن تَصوّره في مجتمع مدين في الفترة المعاصرة لموسى عليه الصلاة والسلام .

لقد كانت القبيلة تُشكّل الصيغة أو الرابطة التي تُعطي سكان كل منطقة كيانهم السياسي التنظيمي القائم بذاته ، وإلى جانب عوامل محتملة أخرى ، كان الوضع الاقتصادي هو الدافع إلى استمرار هذا التكوين ، سواء كانت تلك الموارد رعوية غير دائمة تضطر أصحابها إلى التنقل الدائم وراء المرعى ، أو موارد زراعية متناثرة بين الواحات وتخوم الدول المجاورة ذات الامتدادات الخصبة المترامية ، أو موارد تجارية تقوم في خير أحوالها على تقديم الحماية أو الخدمات للقوافل العابرة التي تمر بها هذه القوافل ، أكثر مما تقوم على التحكم في السلع ذاتها ، أو في بدايات الخطوط التجارية ومصباتها[2] .

وليس المقصود هنا التكوين القبلي بمفهومه الإجتماعي ، فقد وُجدت القبائل كوحدات اجتماعية في كل أرجاء شبه الجزيرة العربية ، ولكن المقصود هو التكوين

---

(١) حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر ، ص ٧٤ .

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى : " الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ص ٩١ .

أو الشكل القبلي الذي تُصبح فيه القبيلة إلى جانب وظيفتها الإجتماعية ، وحدة سياسية كذلك ، تتصرف بوصفها كياناً سياسياً قائماً بذاته سواء في أمورها الداخلية ، أو في علاقاتها الخارجية ، بما يدخل في ذلك من حربٍ وسلام ، واتفاقات وتحالفات ، وغير ذلك من أشكال هذه العلاقات[١] .

وقد أطلقت التوراة على من كان يحكم في مدين في عهد موسى عليه الصلاة والسلام تسمية " ملوك مدين " ، وفي موضع آخر " رؤساء مدين " .

فالتسمية الأولى جاءت في النص التالي :

« وملوك مِدْيان قتلوهم فوق قتلاهم . أوي ورَاقَم وصور وحُور ورَابَع خمسة ملوك مديان ... »[٢] . والتسمية ذاتها أُطلقت أيضاً في النسخة الانجليزية للتوراة[٣] .

أما التسمية الثانية فقد جاءت في النص التالي :

« ... رؤساء مِدْيان أوي وراقم وصور وحور ورابع ... »[٤] .

إلا أن النسخة الانجليزية المعتمدة للتوراة ذكرت في هذا النص تسمية " أمراء مدين The Princes of Midian "[٥] ، وليس " رؤساء " التي تعني Chiefes .

وهناك رأي يذهب إلى أن المقصود بهؤلاء الملوك على ما يظهر رؤساء قبائل المدينيين ، وأن التسميتين تعني الرؤساء بمدلولها المعروف[٦] .

وقد قام جورج مندنهول بدراسة مقارنة لأسماء أولئك الرؤساء الذين كانوا في مدين وذكر أن " إوى Ewi " ورد في النصوص الحثية بلفظ " أويـ(تي) " بمعنى أسد ، وفي النصوص العربية الصفوية " عوي 'WY " ، و" عويت 'WYT "[٧] .

---

(١) صفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م، ص ٣٤٢ .

(٢) سفر العدد ٣١ : ٨ .

(٣) The Holy Bible , King James Version , The Old Testament , American Bible Society , New York , 1988 , Numbers 31 8 , P. 147 .

(٤) سفر يشوع ١٣ ٢١ .

(٥) Joshua 13 21 , P 199

(٦) وليم مارش : كتاب السر القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، ج ٢ ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٣٣٤ .

(٧) Mendenhall , G E , " Qurayya and the Midianites " , In Studies in the History of Arabia , Vol II, Pre - Islamic Arabia, King Saud University Press, Riyadh, 1404 A. H 1984 , P. 140

أما " راقم " فهو يرى أنه " رِقم Reqem " وأن هذا الاسم ليس كاسم شخصي في الساميّة المبكرة ، إذ ورد أيضاً كاسم مكان فلسطيني يقع في الشمال الغربي من القدس . وكاسم للمدينة التي سماها الاغريق پترا Petra في الأردن . أما في النصوص العربية الثمودية فجاء بلفظ رقم RQM[1] .

وأما الاسم " حور Ḥur " فهو اسم سامي شائع ، ورد في المقاطع الهجائية الأمورية، والاوغاريتية ، والكنعانية ، وغيرها . ومن المحتمل أيضاً أن هذا الاسم هو أحد الأصول المشتركة التي دلت عليها النقوش الصفوية ، حيث ورد في اللغة العربية بلفظ " حر ḤR " و " حور ḤWR " ، و " خر ḪR "[2] .

وكذلك الاسم " صور Ṣur " فهو اسم شائع وسامي قديم جداً . فيما ورد الاسم " رابع " أو " رِبَع Rebaʿ " في النصوص الحورية بلفظ " أر بي خي ar - pi - ḫe " وكلاهما في نوزي واوغاريت . ومن المحتمل ارتباط هذا الاسم بالمكان القديم لموقع حبرون (الخليل) الذي كان يسمى كريات أربع[3] .

ومن ملامح مجتمع مدين أيضاً ، وجود نوع من التنظيم القضائي لحل النزاع والخلاف بين المتخاصمين ، بدليل ما أشار به حمو موسى (كاهن مدين) - حسب تسمية التوراة - من ضرورة ضبط الأمور وتنظيمها في بني إسرائيل ، حيث جاء في النص :

« وحدث في الغد أن موسى جلس ليقضي للشعب . فوقف الشعب عند موسى من الصباح إلى المساء . فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانعٌ للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانعٌ للشعب . ما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفٌ عندك من الصباح إلى المساء . فقال موسى لحميه إن الشعب يأتي إلي ليسأل الله . إذا كان لهم دعوى يأتون إلي فأقضي بين الرجل وصاحبه وأُعرِّفهم فرائض الله وشرائعه »[4] . « فقال حمو موسى له ليس جيداً الأمر الذي أنت صانع ... كن أنت للشعب أمام الله ... وأنت تنظر من جميع الشعب ذوي قدرة خائفين الله أُمناء مُبغضين الرشوة وتُقيمهم عليهم رؤساء

---

(١) Ibid , P 140

(٢) Ibid . P 140 .

(٣) Ibid , P 140 .

(٤) سفر الخروج ١٨ : ١٣ ١٦ .

أُلوفٍ ورؤساء مئاتٍ ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات فيقضون للشعب كل حين . ويكونُ أن كلَّ الدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك . وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها . وخفِّف عن نفسك فهم يحملون معك . إن فعلت هذا الأمر وأوصاك الله تستطيع القيام . وكل هذا الشعب أيضاً يأتي إلى مكانه بالسلام . فسمع موسى لصوت حميه وفعل كلَّ ما قال »[1] .

وهذه النصوص التوراتية تُبين أن صِهر موسى عليه الصلاة والسلام كان له الناصح الأمين ، إذ أن أُمور بني إسرائيل – كما أشارت التوراة آنفاً – كانت إلى فوضى واختلال، لو ترك موسى وشأنه ، فيما كان قد اتبع من وسائل تدبير ، ولم تكن بالاسلوب القويم ، إنما الفضل لحميه يثرون ، يُلقّنه كيف يكون تنظيم بني إسرائيل في هيكلٍ من تسلسلٍ قيادي ، فيختار من ذوي القدرة رؤساء على الشعب ، لينظروا في القضايا الثانوية ، ويبقى موسى المرجع الأعلى لبني إسرائيل في أمورهم الخطيرة ، وبهذا تستقر الأمور ، وينجح موسى في قيادتهم ، ويصل بهم إلى الأرض المباركة بسلام[2] .

وهذا التوجيه والإرشاد ، من قِبل صهر موسى عليه الصلاة والسلام ، بإتّباع وسائل التنظيم في فض المنازعات يشير إلى ملمح هام من سمات المجتمع المدين في ذلك العصر .

وقبل الحديث عن مجتمعات إدوم ومؤاب والتي كانت تُقيم في منطقة شرق الأردن ، تجدر الإشارة إلى ما ذهب إليه نلسون جلوك (أحد علماء الآثار في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي) وغيره ، من أن منطقة شرق الأردن كانت خالية من السكان خلال عصري البرونز المتوسط (٢٠٠٠ – ١٥٥٠ ق.م) ، والبرونز الأخير (١٥٥٠ – ١٢٠٠ ق.م) ، باستثناء ثغرة أو فجوة تاريخية تم فيها استيطان مؤقت . أما الاستيطان المستقر والثابت فلم يتم إلا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ومما قاله في هذا الصدد : أن جميع المنطقة شرق البحر الميت ، وجنوباً حتى العقبة ، كانت خالية من أي استيطان ثابت (مستقر) خلال عصري البرونز المتوسط والأخير ،

---

(١) سفر الخروج ١٨ : ١٧ – ٢٤ .

(٢) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم . الجزء الأول . في بلاد العرب . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر . الرياض ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٠٣ – ص ٣٠٤ .

وأن هذه الفجوة الاستيطانية قد انتهت بنشأة حياة القرية خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وبالتالي نشوء مملكتي إدوم ومؤاب[١] .

ويذهب أحد الباحثين[٢] إلى أن منطقة شرق الأردن ، إبان زمن الخروج ، كانت خالية من السكان تقريباً ، خلال أواخر عصر البرونز الأخير ومطلع العصر الحديدي ، وذلك بسبب ما حلَّ بالمنطقة من جفاف شديد ، بحيث لم يعد الاستيطان البشري في مناطق شرق الأردن ، يساعد على قيام بُنىً سياسية مستقرّة ، حتى حلول العصر الحديدي الثاني ابتداءً من عام ١٠٠٠ ق . م ، حيث شهد هذا العصر انتعاشاً قوياً ، خاصة وأن الآثار في كل أرجاء شرق الأردن ، تؤكد إلى حد كبير ، نمط الضائقة الإقتصادية ثم الانتعاش ، في كل هذا الجانب من الأردن .

إلا أن اكتشافات ج. ماكسويل ميلر وغيره من المنقبين الأثريين لا تؤيد استنتاج نلسون جلوك آنف الذكر ، ويذهبون إلى أن الاكتشافات الأثرية تشير إلى حدٍ ما ، إلى وجود مستوطنات مبعثرة حتى خلال العصر البرونزي المتوسط ، والتي زاد عددها خلال العصر البرونزي الأخير ، وبداية العصر الحديدي[٣] .

إن دوافع نلسون جلوك لطرح مثل هذه النظرية واضحة ؛ ذلك أنه ورد في سفر العدد من التوراة روايات تفصيلية لمرور موسى عليه السلام وقبائل بني إسرائيل عبر شرقي الأردن ، حيث ورد في السفر المذكور أسماء مواقع متعددة مر بها بنو إسرائيل ، لذلك يفترض نلسون جلوك أن الذين أنهوا العصر البرونزي الأخير في شرقي الأردن هم بني إسرائيل ، وأن الاستقرار والازدهار في هذه المنطقة – كما يزعم – بدأ مع بداية الدور

---

(١) Miller , J . M , " Recent Archaeological Developments Relevant to Ancient Moab " , In Studies in the History and Archaeology of Jordan , Edited by Adnan Hadidi , Vol . I , Department of Antiquities of Jordan , Amman , 1982 , PP . 171 - 172 (to quote from : Glueck , N . , The Other Side of Jordan , New Haven , 1940 , P . 146)

(٢) توماس ل . طومسون : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، ترجمة صالح علي سوداح ، الطبعة الأولى ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٩ ، ص ٢٠٥ .

(٣) Bimson , J. J , Redating the Exodus and Conquest , The Almond Press , Sheffield , 1981 , P . 61 , Miller , J . M . , Op . Cit , P . 172 ;
Bartlett , J . R . , Edom and the Edomites , Sheffield , England , 1989 , P. P 67 , 68 .

الأول من العصر الحديدي ، وهو الوقت الذي يرى فيه نلسون جلوك أن مرور موسى وقومه في هذه المنطقة قد حدث خلاله[١] .

وعلى الرغم من أن العصر البرونزي المتأخر لايزال يكتنفه الغموض ، فيما يتعلق بالتسلسل التاريخي للأحقاب التاريخية لهذا العصر ، فإنه لا ضرورة للقول بأن ثمة فجوة تاريخية تلت أيام مطاردة قوات الهكسوس في منطقة شرق الأردن ، ومن غير المؤكد وجود تلك الفجوة أصلاً ؛ بدليل أن تسلسل السويّات الأثرية المتتابع في مدينة مجدّو قد توالى دون أن تظهر تلك الفجوة ، فالسويّة التاسعة تلت مباشرة السوية العاشرة دون وجود فجوة بينهما . ولم يُستدل من الحفريات الأثرية على حدوث كوارث ، بل إن بوابة مدينة مجدّو قد أظهرت أن السكان كانوا يَؤمّون المدينة باستمرار من أواخر العصر البرونزي المتوسط إلى أوائل العصر البرونزي المتأخر[٢] .

ومن ثم فلا ضرورة لإصرار بعض علماء الآثار على وجود هذه الفجوة ، إذ من الخطأ التسليم بأن ما تمر به مدينة من المدن في حياتها ، ومـ تتعرض له من تغيرات أو أحداث يجب أن تتعرض له المدن الأخرى ؛ إلا إذا كان الحدث عاماً شاملاً تعرضت له البلاد كلها . وكثيراً ما أثّرت هذه التعميمات في تفكير بعض علماء لآثار ، فأتت تحليلاتهم ضيقة ، وأدّت إلى عدم تفهّم كثير من الأمور ، وبالتالي إلى الوقوع في كثير من الأخطاء . إن الدليل الذي يُعتمد عليه لوجود هذه الفجوة هو غياب الفخار المسمى بالفخار متعدد الألوان (السايكروم) من موجودات السويات التي تُكوّن أطلال تلك المدن ، وهذا الفخار هو المؤشر على أن المدينة قد عاصرت الحقبة المحصورة بين عامي ١٥٨٠ ق.م و ١٤٠٠ ق.م ، وهذه السنوات هي سنوات المرحلة الأولى . أما المرحلة الثانية فهي المحصورة بين السنوات ١٤٠٠ ق.م و ١٢٠٠ ق.م . وهي المعروفة بحقبة رسائل تل العمارنة[٣] .

---

(١) صالح الحمارنة : " مراجعة كتاب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة تأليف لدكتور محمود أبو طالب "، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الحادي عشر ، لأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٧٩ م ، ص ٣١٢ ، ص ٣١٣ .

(٢) حير بمر ياسين : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

لذلك يمكن القول ، أن نلسون جلوك كان ينطلق بتنقيباته الأثرية من منطلق عقـدي أو ديني ، مما يثير الشك حول نتائج اكتشافاته المبنية على أفكار عقدية غير محايدة . وهـذا القول ليس تجنياً أو تحاملاً ، وإنما دليله ما صرح به نلسون جلوك نفسه عندما قال :

« كلما كنت أذهب مستكشفاً في وادي الأردن ، أو وادي عربة ، أو أي جزء مـن شـرقي الأردن ، أو النقـب ، كنـت أسـتعمل التـوراة كدليـل للآثـار ، وأثـق ثقـة مطلقـة بمعلوماتها وشواهدها وحتى تلميحاتها »[1] .

ولقـد إنصـبَّ اهتمـام بعـض المنقبـين الأثريـين الغربيـين علـى المواقـع الـتي وردت في التوراة ، بحيث صار الواحد منهم يحفر في موقع أو تل افترض تطابقه مـع موقـع ورد ذكـره في التوراة ، وبذلك يتوقع أو يأمل أن يجد شيئاً له علاقة بما قرأه في التوراة[2] .

---

(١) محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصـور القديمـة أضـواء جديـدة (١٩٥٢ - ١٩٧٧ م) ، الطبعـة الأولى ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٨ م ، ص ٢١ نقلاً عن :
(Glueck , N . , The River Jordan , New York , 1968 , P . 4)

(٢) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

ب - مجتمع إدوم :

إن من غير الممكن ، في الوقت الحاضر ، إعطاء تفاصيل دقيقة عن الفترة التاريخية المبكرة لادوم ، وذلك لندرة الأبحاث والمعلومات المتعلقة بهذا الشأن .

وإذا كان التوزيع الجغرافي والآثاري للخزف ، الذي عُثر عليه عند المسح السطحي للمنطقة ، كافٍ حقاً ليعكس ، تقريباً على الأقل ، التطورات الاجتماعية والتاريخية ؛ فإن صورة مملكة إدوم القوية والمنظمة جيداً ، والتي أخذت مكانها في نهاية العصر البرونزي الأخير (المرحلة الأولى ١٥٥٠ - ١٤٠٠ ق.م ، والمرحلة الثانية ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م) بحاجة إلى مراجعة ، وإن كان الإنطباع الثابت هو أن التفسير المقبول ، بشكل عام ، لتاريخ هذه المنطقة ممكن أن يكون قد صِيغَ بهذا الشكل ، لأن نتائج المسح الأثري تمَّ تفسيرها على ضوء السياق التاريخي الوارد في التوراة[١] .

أما كلمة إدوم فهي بمعنى الأحمر ، أو الإقليم الأحمر ، أو الأرض التي يمكن حرثها ، وكانت تُطلق على الأرض والشعب ، ويُقصد بالأرض المنطقة الممتدة شرقي وادي عربة والمتصلة بالعقبة على البحر الأحمر[٢] .

ولعل التسمية بـ" الإقليم الأحمر " جاءت من طبيعة المنطقة ؛ حيث الصخور الحمراء ، والتربة الحمراء أيضاً ، التي تتميز بها المنطقة[٣] . ومن الممكن أن يكون هناك تشابهاً بين الإصطلاحين " الأحمر " و " العواصف " ، إذ يتغير لون الماء في هذه المنطقة إلى الكُدْرَة والحُمْرة بسبب كثرة العواصف[٤] .

وهناك من يرى أن إدوم من المحتمل أن يكون اسم معبود أصلاً ، وأنَّ هذا الاسم مستوحى إلى حدٍ ما من اسم " الجَتّي "[٥] الوارد في التوراة :

---

(١) Weippert , M , " Remarks on the History of Settlement in Southern Jordan during the Early Iron Age " , In Studies in the History and Archaeology of Jordan , Vol . I , Edited by Adnan Hadidi , Department of Antiquities , Amman , 1982 , P 154

(٢) معاوية إبراهيم : " الممالك الآرمية في الأردن " ، مجلة اليرموك ، العدد الثامن عشر ، دائرة العلاقات الثقافية والعامة ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٠ .

(٣) Cohen , S , " Edom " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol 2 , Edited by Buttrick , G . A , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , P 24

(٤) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٥) الجَتّي : هو عوبيد أدوم الجَتّي ، نسبة إلى سكان " جت " إحدى المدن الفلسطينية ، شمال طولكرم التي اشتهرت بكونها مسكناً لفئة من العناقيين ، وهم أُناس طوال القامة ، حسب ما ورد في سفر يشوع ١١ : ٢٢ ، وسفر ⇐

« و لم يشأ داود أن ينقل تابوت الرب إليه إلى مدينة داود فمال به داود إلى بيت عُوبيد أدوم الجتي . وبقي تابوت الرب في بيت عوبيد أدوم الجتي ثلاثة أشهر . وبارك الرب عوبيد أدوم وكل بيته »[١] . فإسم المعبود هذا كان منتشراً ، وبذلك أصبح معبوداً لمجموعة من الناس ، والتي سمّت نفسها بإسمه[٢] .

وهناك اتجاه آخر في تفسير اللقب " إدوم " يعتمد أساساً على التوراة .

جاء في النص : « ... فخرج الأول أحمر . كُلُّه كَفَرْوة شعر . فدعوا اسمه عيسو »[٣] .

وفي موضع آخر : « وطبخ يعقوب طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا . فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت . لذلك دُعي إسمه أدوم »[٤].

ومن خلال هذين النصين يعتقد البعض أن معنى إدوم " الأحمر " ، وأن الكنية أُلصقت بعيسو بِكْر إسحاق ؛ إما لأنه وُلد أحمر اللون ، أو لأنه تنازل عن حق البَكُورية لأخيه يعقوب مقابل طعامٍ أحمر اللون ، فصار عيسو يُعرف باسمٍ آخر هو إدوم ، حيث سكن ورثته فيما بعد إقليم سعير[٥] أو أرض سعير ، وعُرفوا بالإدوميين حيث كانوا من

... لعدد ١٣ : ٣٣ ، وسفر لتثنية ٢ : ١٠ ١١ . ومعنى عوبيد أدوم : أُدوم يعبد . انظر : بطرس عبد الملك ، جون لكساندر صمسن ، إبراهيم مطر ، وآخرون : قاموس الكتاب المقدس ، الطبعة الثانية ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ ، ص ٦٤٥ .

(١) سفر صموئيل الثاني ٦ : ١٠ - ١١ .

(٢) Cook , S A , " Edomites " , In Encyclopaedia of Religion and Ethics , Vol V , Edited by James Hastings , Edinburgh , T & T Clark . New York , Charles Scribner's Sons , 1974 , P 163

(٣) سفر لتكوين ٢٥ : ٢٥ .

(٤) سفر لتكوين ٢٥ : ٢٩ - ٣٠ .

(٥) سعير : كان هذا الاسم يُطلق على المناطق الجبلية الواقعة على الجانب الشرقي لوادي عربة بين البحر الميت وخليج العقبة . وهناك من يعتقد بأن منطقة سعير تقع إلى الجنوب من مؤاب ؛ أي إلى جنوب الجنوب الشرقي من البحر الميت . وتمتد إقليم سعير مسافة ١٥٨ كيلاً تقريباً بين البحر الميت وخليج العقبة ، وتسمى المنطقة الجنوبية منه باسم الشراة .

والجزء الشمالي من سلسلة الجبال ، مُكوَّن من صخور حمراء رملية ، ممتزجة ببعض حجر الجرانيت الأحمر ، مع بعض الأحجار البركانية الحمراء ، وبناءً على ما ورد في مواضع كثيرة من التوراة مثل : سفر تكوين ٣٢ : ٣ ؛ وسفر لعدد ٢٤ : ١٨ ؛ وسفر التثنية ١ : ٢ ، ١٩ ؛ وسفر القضاة ٥ : ٤ ؛ وسفر صموئيل الأول ٢١ : ١١ ؛ وسفر أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ١٠ ، ٢٢ - ٢٤ ، وسفر أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ٥ - ٢٠ ؛ فإن أرض سعير ⇐

أقرب العناصر دماً ولغةً إلى بني إسرائيل ، قبل اعتناق بني إسرائيل لرسالة التوحيد في عهد موسى عليه الصلاة والسلام[١] .

وقد اختلط الادوميون مع سكان البلاد الأصليين وهم الحُوريّين[٢] . وكذلك مع

← أو جبل سعير ترتبط عادة بإدوم ، وقد اعتاد العلماء المساواة بين المكانين ، أو يزعمون بأن الإسمين " سعير وإدوم " يصفان واجهتين مختلفتين لنفس الأرض ؛ إذ أن سعير (والتي تعني خشن أو كثيف الشعر) تُطلق على المنحدرات الشرقية لوادي عربة . أما إدوم (والتي تعني أحمر) فتطلق على الساحل الصخري لوعر من الصحور الرملية . وقد نسب بعض العلماء مثل روبنسون وسميث سنة ١٨٤١ م الإسم سعير مباشرة بالإقليم المعاصر المعروف بـ" الشرة " على الرغم من اختلاف الاسم .

وَفرّقَ بعضهم سعير عن إدوم بقولهم : بأن سعير تقع إلى جنوبي إقليم النقب غرب وادي عربة ، على الرغم من أن دراسات مانفريد ويرت ، جعلت سعير بأنها السهل الخالي من الشجر والأرض الصخرية على جانبي وادي عربة ، وإدوم بأنها الإقليم الصخري شرق وادي عربة . انظر :

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ص ٤٦٦ - ص ٤٦٧ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢١ وكذا

ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ١٩ ، ص ٢٠ وكذا

ستيبو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، مراجعة محمد القصاص ، دار الرقي ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٣٦ هامش (٤٤) وكذا

Noth , M , Op Cit , P . 132 ,
Bartlett , J . R , Op Cit . , P P . 41 - 42 .

(١) محمد عزه دروزه : تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار ، ج ٤ ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، صيدا ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ١٤٦ وكذا

نسيب وهيبة الخازن ، من السوميين إلى العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٢ م ، ص ٦٦ وكذا

بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٩ وكذا

إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٠٤ وكذا

فيليب حتي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢ وكذا

Cook , S A , Op Cit , P 162

(٢) الحُوريّون : سكان جبل سعير الأصليون ، ولذلك يُدعون ببني سعير حسب ما ورد في سفر التكوين ٣٦ : ٢٠ - ٢١ . وحسب نص التوراة السابق فقد كان يحكمهم أمراء ، ثم أبادهم فيما بعد نسل عيسو وسكنو مكانهم وفق ما أشار إليه سفر التثنية ٢ : ١٢ ، ٢٢ .

ويرى محمد عزه دروزه أن ما ورد في سفر التكوين عن الحوريين قد يفيد أن هذه القبائل من أصول عربية الجنس ، خلّت في جبل سعير قبل القرن العشرين قبل الميلاد بمدة ، ولاسيما أن هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ، ومن المعقول أن تكون من أول المناطق التي سكنت فيها الجماعات التي كانت تخرج من الجزيرة العربية من حين لآخر .

والراجح أن يكون مهد الحوريين الأصلي ، في المنطقة الجبلية التي تُكوّن نصف دائرة تمتد من جبال طوروس بالقرب من كركميش إلى بحيرة وان تقريباً . ويُحتمل أنهم امتدوا جنوباً حتى الزاب الأعلى . وقد ظهروا في ⇐

العرب ؛ وتزاوجوا فيما بعد مع الكنعانيين ، والحثيين . فقد جاء في نص التوراة : « أخذ عيسو نساءَه من بنات كنعان . عدا بنت إيلون الحثي ... »[١] .

وفي موضع آخر : « هؤلاء بنو سعير الحُوريّ سكان الأرض . لوطان وشوبال وصِبعون وَعَنَى وديشُون وإيصَرُ وديشَان . هؤلاء أمراء الحوريين بنو سعير في أرض أدوم »[٢] .

وقد وُصفت أرض ادوم بأنها المنطقة الواقعة بين البحر الميت ، الممتدة شرقي وادي عربة ، والمتصلة بالعقبة على البحر الأحمر ، أي تخوم كنعان الجنوبية ، وتضم صحراء النقب غربي وادي عربة ، وتحدّها بلاد مؤاب ويهوذا ، وجنوب فلسطين ، وشبه جزيرة سيناء ، وشمال جزيرة العرب ، والصحراء السورية[٣] .

⇐ التاريخ منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، واتصل بهم ملوك الدولة الأكدية ، حيث كانت لهم دويلة في أعالي وادي دجلة والفرات ، ولكن لم يبرز لهم شأن سياسي مهم إلا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وفي حوالي سنة ١٨٠٠ ق.م كان الحوريون في سوريا الشمالية أكثرية السكان ، وخاصة في منطقة مدينة القديمة ألالاخ (تل العطشانة ما بين حلب وانطاكية) . وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد ظهرت في شمالي ما بين لنهرين مملكة كان أغلب سكانها من الحوريين ، وكان مركزها في وادي الخابور والبليخ ، وسمّاها الآشوريون " حانيكَلبات Khanigalbat " ، وعرفت في النصوص المعاصرة باسم مملكة ميتاني . انظر :

فردريك ج. بيك : تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، تعريب بهاء لدين طوقان ، الجزء لأول ، لقدس ، بدون تاريخ ، ص ١٣ وكذا

محمد عزه دروزه : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، لمكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، صيدا ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٤١ وكذا

توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسية لقديمة ، لجزء الأول ، من أقدم لعصور إلى عام ١١٩٠ ق.م ، الطبعة الأولى ، دار دمشق ، دمشق ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٩٣ وكذ

طه باقر : مقدمة في تأريخ حضارات القديمة ، الجزء الأول ، الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين ، لطبعة الثانية ، دار الشؤون لثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ م ، ص ٨٠ ، ص ٨١ وكذا

Cohen , S , Op . Cit , P 25 .

(١) سفر التكوين ٣٦ : ٢ .

(٢) سفر التكوين ٣٦ : ٢٠ - ٢١ . وانظر :

سفر التكوين ١٤ : ٦ ؛ سفر التثنية ٢ . ١٢ .

(٣) فردريك ج. بيك : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣ وكذا

نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص ٦٦ وكذا

أحمد سوسة : العرب و ليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، العربي للإعلان والنشر والطباعة ، دمشق ، ١٩٧٢ م، ص ٤٦٤ وكذا

⇐

فيما يتجه رأي أحد المؤرخين[١] إلى أن الأدوميين كانوا يقطنون في جبال شبه جزيرة سيناء ، في منطقة شاسعة الأطراف تمتد شمالاً إلى تخوم فلسطين ، وجنوباً إلى البحر الأحمر الذي يسمى في العبرية باسم بحر العواصف .

أما المنطقة لنائية ، والواقعة إلى الغرب من وادي عربة ، فإنها لم تكن هدفاً للإستيطان البشري آنذاك ، أو حتى سيطرة أدومية فعلية ، بل كانت هناك قبائل بدوية متجولة تستقر في بعض الأماكن ، وتُكِنُّ بالولاء - ولو إسمياً - لإدوم[٢] .

ويمكن القول أن حدود الإدوميين الدقيقة كانت تختلف من وقتٍ لآخر ، وذلك تبعاً للتغيرات السياسية الأوسع التي كانت تؤثر على الممالك أو الإمارات المحيطة بهم ، أو الولايات المتاخمة . لذلك ولأسباب جغرافية بحتة فقد كانت بلادهم مُعرَّضة بإستمرار للتغيرات السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، في غرب آسيا ؛ الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة فهم الأحوال المتقلّبة لتلك المنطقة بمعزل عن تاريخ وفكر بلاد الشرق القديم[٣] .

ومهما يكن من أمر ، فإن الإدوميين في أواخر العصر البرونزي الأخير ، سيطروا على منطقة هامة من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية ؛ فمن جهة سيطروا على ميناء العقبة الهام الواقع على البحر الأحمر ، حيث كانت العقبة تُعدُّ بالنسبة لهم مرفأً رئيساً ، وقاعدة انطلاق تجارية مهمة ، وكذلك سيطروا على الطرق البرية الموصلة إلى العقبة من الشمال . ومن جهة أخرى سيطروا على مصادر النحاس ومناجمه في منطقة جنوب الأردن ، وخاصة في موقع تل الخليفة[٤] ، حيث عُثر هناك على أفران خاصة بصهر المعادن ،

⇐ حود علي : المرجع السابق ، ح ١ ، ص ٦٠٤ وكذا

معاوية إبراهيم - المرجع لسابق ، ص ٢٠ وكذ

Anderson , B W , The Living World of the Old Testament , First Edition , Longmans , Green and Co , London , 1958 , P 66 ,

Cook , S A , Op Cit , P 163

Weippert , M , Op Cit , P 153 ,

Noth , M , Op Cit , P 154

(١) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) Cohen , S , Op Cit , P 25

(٣) Cook , S A , Op . Cit , P . 163

(٤) تل الخليفة : قام لعديد من العلماء بإجراء الحفريات الأثرية في هذا الموقع ، مثل نلسون جلوك ، وف. فرنك ، وغيرهما . ويقع هذا التل على بعد حوالي نصف كيل من ساحل البحر لأحمر ، على رأس خليج العقبة على الطرف الشرقي من هذا الخليج .

ويعتقد كثير من لعلماء أن هذا لموقع الأثري هو موقع عِصْيون جابر . وقد نشر نلسون جلوك خلال لفترة ⇐

وعلى وجه الخصوص معدن النحاس[١] .

وفي معرض حديث التوراة عن الأرض المقدسة ، جاء في وصفها :

« ... أرضٌ حجارتُها حديدٌ ومن جبالها تحفِرُ نحاساً »[٢] .

ومن المؤكد أن الفراعنة المصريين ، حكام الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ - ١١٨٤ ق.م) ، والأسرة العشرين (١١٨٤ - ١٠٨٧ ق.م) ، هم الذين أرسلوا بعثات التعدين إلى وادي عربة لاستخراج وصهر النحاس . فالمصريين هم القوة المسئولة عن تنظيم التعدين القديم في المنطقة ، وليس هناك حاجة لافتراض وجود مجتمع إدومي متقدم سياسياً واقتصادياً إلى هذا الحد خلال الفترة المذكورة ، وأن أي مشاركة إدومية في هذه المشاريع من المؤكد أنها كانت محدودة بتقديم العمالة المحلية . وليس هناك حاجة أيضاً لافتراض احتلال إدومي لأي أرضٍ غرب وادي عربة ؛ إذ أن الادوميين في ذلك الوقت كانوا عبارة عن مجموعات مختلفة من العشائر لها زعماؤها ، ولا تختلف عن أولئك الذين سكنوا النقب إلى الغرب من مناطقهم ، رغم أنه من المدهش أن يكون هناك رجال من كلا جانبي وادي عربة يعملون تحت إمرة المصريين في مناجمهم[٣] .

⇐ ١٩٣٨ م - ١٩٤٠ م نتائج الحفائر الهامة التي قام بها في تل الخليفة . والتي كشفت عن بقايا مصانع لتكرير النحاس والحديد يعود في تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد ، وخاصة في عهد سليمان عليه الصلاة والسلام . ومن المستبعد ، من خلال الحفائر الأثرية ، أن يكون هناك مدينة عرفت باسم تل الخليفة في الوقت المعاصر للخروج ، ولكن هذا يعني أن بني إسرائيل توقفوا في هذا المكان الذي أُسست فيه المدينة فيما بعد . انظر :

محمود أبو طالب : المرجع السابق ، ص ٨٧ وكذ.

رشيد سام الناصوري : المرجع السابق ، ص ٧٣ وكذ.

سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ هامش (١٢) وكذ.

Anderson , B W , Op Cit , P 149 .

Finegan , J , Light From the Ancient Past , The Archeological Background of Judaism and Christianity , Princeton University Press , Princeton , New Jersey , 1969 , P 151 .

Eissfeldt , O , " The Hebrew Kingdom " , CAH , Vol II , Part 2 , 1975 , P . 587 .

(١) معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، ص ٢١ وكذا

عبد الله الطوزي وآخرون : " حروب وثقافة وبناء .. عمون وموآب وادوم " ، الموسوعة الأردنية ، جزء الأول الأرض والإنسان ، الطبعة الأولى ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٠٢ .

(٢) سفر التثنية ٨ : ٩ .

(٣) Bartlett , J R . , " The Rise and Fall of the Kingdom of Edom " , PEQ , January - June 1972 , P 28 .

أما فيما يتعلق بذكر الادوميين في سجلاّت ونصوص الشرق الأدنى القديم فهو أمر واضح ، إذ أن أغلب الشواهد الأثرية ، والسجلاّت الإدومية المكتوبة قد أصابها التلف ؛ فجاءت أكثر المعلومات المرتبطة بهم من خلال ما أشارت إليه نصوص جيرانهم المصريين ، والآشوريين ، والبابليين ، وغيرهم[١] .

فقد ذُكر الادوميين في سجلات مصر في عصر الأسرة الثانية عشرة[٢] ، والتي حكمت ، حسب تحديد ألن جاردنر ، من ١٩٩١ ق.م - ١٧٨٦ ق.م[٣] .

وقد كان المصريون باستمرار يشيرون إلى ادوم تحت اسم سعير ، حيث وردت في النصوص المصرية القديمة على النحو التالي :

Sēîr ، والدلالة الصوتيه لها Sꜥr[٤] .

وفي أحد نصوص تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) وردت كلمة تدل على إدوم وهي " إ - د - ما i - d - ma " حيث وُضع لادوم مُخصّص " البلاد الأجنبية الجبلية " وتمت تهجئة لاسم بعناية ، مع كتابة كاملة للمقاطع ، مما يدل على أن ادوم قد عُرفت لدى المصريين كاسم أجنبي غير مصري ، وإن كان من الراجح أن اسم المكان هذا كان مستخدماً ، بشكل واضح ، في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد[٥] .

وليس في هذين الاسمين (إدوم أو سعير) في النصوص المصرية القديمة ، منذ فترة الدولة الحديثة (الأسرة الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين) ، ما يشير إلى أن سعير أو إدوم كان لهما دلالة سياسية أو قومية حقيقية . حيث أنه منذ الفترة الممتدة من الربع الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وحتى عهد رعمسيس الثالث

---

(١) Cohen , S , Op Cit , P 24

(٢) بطرس عبد الملك وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٩

(٣) Gardiner , A H , Egypt of the Pharaohs , Oxford University Press , New York , 1972 , P 439

(٤) Gardiner , A . H . , Ancient Egyptian Onomastica , Oxford University Press , Amen House , Oxford , 1947 , Vol I , P 148* , Vol II , P 300

(٥) Bartlett , J R , Edom and the Edomites , P 77

(١١٨٢ - ١١٥١ ق.م) يرد اسم شعب " شاسو "[١]، بدو تلك الأماكن ، ولم تُسمي مدن أو حكام لإدوم أو سعير[٢] .

وقد وردت أيضاً الإشارة إلى إدوم في المصادر المصرية القديمة المعاصرة لعهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) ، وأنه قام بمهاجمة بلاد إدوم ونهبها ،

---

(١) شاسو : تحدثت المصادر المصرية الكتابية عن قبائل " شاسو " التي كانت تُناصب العداء للدولة المصرية . وقد كانت قبائل شاسو عبارة عن قبائل متنقلة على حدود الممالك التي قامت في شرق الأردن وجنوبه ، مثل مملكة مؤاب ، ومملكة إدوم ، ويتنقلون أيضاً في بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر ، وبين جزيرة سيناء ، وما وراءها . ويرى جرجي زيدان أن قدماء المصريين كانوا يُسمون أهل البادية من الساميين " شاسو " أي البدو ، وهم العرب عند البابليين .

وفي النصوص المصرية القديمة أُشير إليهم على النحو التالي :

والدلالة الصوتية Ššsw Shasu .

وفي اللغة المصرية المكتوبة بالقبطية وردت بلفظ Shōs بمعنى " راعي " .

وتشير وثائق تحتمس الثاني (١٥١٠ ١٤٩٠ ق.م) إلى أنه أخذ عدداً لا يُحصى من الشاسو ، وهزمهم تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) في حملته لرابعة عشرة ضد سوريا . وفي عهد امنحتب الثاني (١٤٣٦ ١٤١٣ ق.م) أُستخدم الشاسو المأسورين في مصر ، وفي حوالي عام ١٤٣٠ ق.م ورد في قائمة تعود لعهده تشير إلى أنه أُسر ١٥٢٠٠ من الشاسو ، إلى جانب ٣٦٣٠٠ من حارو ، و ٣٦٠٠ عابيرو . وقد حارب ستي الأول (١٣٠٩ ١٢٩١ ق.م) الشاسو بالقرب من غزة .

وفضلاً عن ذلك ، فقد وردت إشارات كثيرة إلى الشاسو في الوثائق المصرية القديمة . ويقول توماس ل . طومسون : تعبير " شاسو " ربما كان مرتبطاً بالاسم المساري سوتو Sutu . وهذه التسمية شاسو ، تشير إلى مجموعات ساميّة عربية عاشت في منطقة جغرافية واسعة ، تشمل شرق الأردن ، وأطراف الصحراء العربية وسيناء ، وبعض المناطق الهامشية في فلسطين . وانتشار لـ" شاسو " على هذا النطاق الواسع ، وارتباطهم من حين لآخر بالبدوة الرعوية ، يوحي بأن من المعقول وصفهم بأنهم سكان سهوب ، يقيمون في المراعي ، وأطراف الشرق ، من أطراف وادي الفرات حتى صحراء مصر الشرقية . انظر :

جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٧٥ وكذا

معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ وكذا

توماس ل . طومسون : المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ص ١٤٧ وكذا

Aldred , C , " Egypt The Amarna Period and the End of the Eighteenth Dynasty " CAH , Vol II , Part 2 , P P . 83 , 85 .

Gardiner , A H , Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs , Third Edition , Griffith Institute , Ashmolean Museum , Oxford , 1976 , P . 594 .

Bartlett , J R , Op Cit , P P 77 - 81 .

(٢) Bartlett , J R . , " The Rise and fall of the Kingdom of Edom " , P 26

بالإضافة إلى خمس مناطق أخرى عاث فيها رعمسيس الثاني تدميراً وتخريباً[١] .

أما في عهد مرنبتاح (١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م) فقد وردت أقدم إشارة مؤكدة لإدوم في النصوص المصرية القديمة ، يعود تاريخها على وجه التحديد للسنة الثامنة من عهد مرنبتاح أي حوالي عام ١٢١٦ ق.م ، حيث تُشير إلى قبائل بدوية من إدوم تعبر حدود مصر الشرقية ، ومعهم قطعان من المواشي التي يسوقونها ، بحثاً عن مُستقرٍ لهم عند حدود مصر الشرقية[٢] .

ومما هو معلوم عن القبائل البدوية ، التنقّل في الأراضي المجاورة لمناطقهم ، دون أن يمنعهم مانع ، فلم يكن هناك ، طوال العصور القديمة - وحتى العصور الحديثة أيضاً - حاجز طبيعي يفصل بدو شرق مصر عن بدو سيناء أو بدو فلسطين ، أو شرق الأردن ، أو شمالي بلاد العرب . لذا فمن الطبيعي أن تكون أرض مصر مفتوحة لسكان المناطق المجاورة ، يأتون إليها لأسباب مختلفة ؛ إما رغبةً في العيش فيها ، أو فراراً من شظف العيش في مناطقهم ، أو ربما مُغيرين ، في بعض الأحيان ، ينهبون ويسلبون لفقر بلادهم[٣] .

وعلى أي حال ، فإن النص أو التقرير الذي ذكر قبائل إدوم ، وهم يعبرون إلى مصر في عهد مرنبتاح ، قد كتبه موظف الحدود الشرقية لمصر في عهد هذا الفرعون ، ومما ورد فيه :

« ... أمرٌ آخر يَسرُّ سيدي لقد انتهينا من ملاحظة مرور قبائل إدوم البدوية من حصن مرنبتاح حُتب حِر ماعت له الحياة ، والفلاح ، والصحة ، في تجكو Tjeku ، نحو بِرَك بر أتوم Per - Atum ... لأجل أن يظلوا هم وقطعانهم أحياء في ضِياع فرعون ،

---

(١) معاوية إبراهيم : لمرجع السابق ، ص ٢١ وكذ

Faulkner , R O , " Egypt From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III " , CAH , Vol . II , Part 2 , P 229 ,

Weippert , M , Op Cit , P 155 and notes 19 , 20 ,

Abu - Qorah , O , " Astructural Comparison of the Hebrew Conquest and the Arab Coquest of Southern Syria Trans - Jordan and Palestine " , Dissertation , Published , University of California , Los Angeles , 1989 , P 27 .

(٢) Weippert , M , Op Cit , P P 155 - 156

(٣) محمد بيومي مهران : " دراسة حول لعرب وعلاقاتهم البدوية في لعصور القديمة " ، مجلة كلية للغة العربية والعوم الاجتماعية ، لعدد السادس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لرياض ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ٣٣٣ وكذا

Noth , M , Op Cit . , P 112 .

له الحياة ، والفلاح ، والصحة ، وهو الشمس الطيبة لكل أرض ، في السنة الثامنة ، الأيام الخمسة [مولد] سيث . ولقد جعلتهم يحضرون في نسخة التقرير إلى [مكان ما] يا سيدي ... »[1] .

وقد لاحظ جون ريموند بارتليت أن الدليل المصري لا يربط أو يُوحِّد إدوم مع أرض سعير ، ولا جبل سعير مع شعب سعير ، ما عدا تأكيده أن كلا الإقليمين يعيش فيهما قبائل " شاسو " ، وأنه يبدو طبيعياً الإفتراض أن الإسمين يشيران إلى مكانين مختلفين ، على الرغم من أنهما قد يكونان متجاورين ، وإن كانت الإشارة إلى سعير ، تبدو بالمقارنة ، كثيرة الورود في النصوص المصرية القديمة ، وذلك ربما لأن سعير وسكانها هم الأقرب إلى مصر من إدوم ، بحيث تكثر مهاجمتها من قِبَلهم[2] .

ومهما يكن من أمر ، فإن بداية تاريخ الإدوميين كشعب مستقر كان قد بدأ خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وفقاً للدلائل الواردة في المصادر المدوَّنة ، وبخاصة التوراة ، ونتائج المسح الأثري للمنطقة الواقعة بين وادي الحسا[3] في الشمال ، والأرض المعروفة برأس النقب ، أو النهاية الشمالية لخليج العقبة في الجنوب ، مما يعني أن الدليل الوارد في

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء السادس ، عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م ، ص ٥٨٧ - ص ٥٨٨ وكذا

Wilson , J . A . , " Egyptian Historical Texts - The Report of afrontier Official " , ANET , P . 259

ويذكر جون أ. ولسون في نفس الصفحة السابقة أن تقرير موضوع لحدود الشرقية لمصر في عهد مرنبتاح ورد ذكره في بردية أنستاسي السادسة الموجودة في المتحف البريطاني برقم ١٠٢٤٥ ، الأسطر ٥١ - ٦١ ، من نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، وعُثر عليه في سف

ولمزيد من المعلومات عن هذا النص ، انظر :

Gardiner , A H , Egypt of the Pharaohs , P 274 ,
Faulkner , R O , Op Cit , P 235 ,
Noth , M , Op Cit , P P 112 - 113

(٢) Bartlett , J R . , Edom and the Edomites , P 42

(٣) وادي الحسا : هو الوادي الذي ورد في التوراة باسم " وادي زَرَد " حسب ما ورد في سفر التثنية ٢ : ١٣ ، وسفر العدد ٢١ : ١٢ . وهو حصول ماء يخرج من جبل عباريم ويصب في بحر لوط (البحر الميت) في الجزء الجنوبي الشرقي منه ، وهو الحد الطبيعي بين إدوم وموآب ، وكان من آخر المحطات في طريق بني إسرائيل عند خروجهم من مصر إلى كنعان . انظر

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٢١ - ص ٤٢٢ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ وكذا

Bartlett , J R , Op Cit , P 53

النصوص التوراتية ، والدليل الوارد في الآثار ، مُتّفقان على أن الإدوميين في خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد قد طوّروا دولتهم ، وهو افتراض مقبول بشكل كبير[١] . والدليل على ذلك ما عُثر عليه في خربة أبو بَنّا[٢] وغيرها ، من آثار أفادت عن وجود تطور استيطاني في تلك المنطقة[٣] . بل إن من يعتمد على التراث التوراتي يؤكد أن الإدوميين رَسَّخوا أقدامهم في المنطقة ، خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، تحت حكم ملك منهم في فترة زمنية قريبة من زمن الخروج[٤] .

إلا أن Moon , C . H . كان أكثر احترازاً عندما قال :

« كان الاستقرار خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أما نشوء مملكة للإدوميين فلم تتأسس إلا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد »[٥] .

وهناك رأي يتأخر كثيراً في تأكيد وجود مملكة للإدوميين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أو القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ويتجه إلى أنه مهما كانت قوة المستوطنين الإدوميين الأوائل ، فمن المستبعد أن تكون هناك أي وحدة وطنية منظمة في إدوم قبل منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن مملكة إدوم قد ازدهرت لفترة أقل مما كان يُعتَقد عادةً ، حيث بدأ انهيارها في أوائل القرن السابع قبل الميلاد[٦] .

---

(١) Weippert , M , Op . Cit , P 153

(٢) خربة أبو بَنّا : هي الآن إحدى قرى محافظة الطفيلة الواقعة في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية ، وهذه القرية تبعد عن مدينة الطفيلة إلى الشمال منها مسافة ١٧ كيلاً ، وبينهما طريق رئيسي ، وهي تُطل على سهل الحسا واللعمان وحول أبو بنا مجموعة من الخرب منها خربة ثم ثير . انظر .
يعقوب كامل الدجاني ، ومصطفى درويش عادي ، وفاروق عبد الحليم بدران ، ومحمد عبد العي المصري : موسوعة الوطن العربي للناشئين - بلاد الشام جنوب بلاد الشام (فلسطين والأردن) ، القسم الأول البلدانيات ، المجلد الأول . الطبعة الأولى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٠ م ، ص ٣٦ .

(٣) Weippert , M , Op . Cit , P 156

(٤) Cohen , S , Op Cit , P . 25 .

(٥) Weippert , M , Op Cit , P . 153 , to quote from .
(Moon , C . H , Apolitical History of Edom in the Light of Recent Literary and Archaeological Research , Unpublished PhD dissertation , Emory University , Atlanta , Georgia , 1971)

(٦) Bartlett , J R , " The Rise and fall of the Kingdom of Edom " , P 26

ونفس الإفتقار للإشارات الدقيقة ، لأي مدينة أو ملك إدومي ، هو سمة مُلاحَظَة في الوصف التوراتي لإتصال بني إسرائيل بالإدوميين في زمن الخروج ، فرواية سفر العدد ٢٠ : ١٤ وما بعدها بإشاراتها لإخاء إدوم ، والطريق الملكي ، وقرب قادش من حدود إدوم ، وفي كل ما يشبه ذلك ، تعكس أحوال عصر متأخر كثيراً عن القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهي لا تُقدِّم دليلاً مؤكداً لإفتراض أن إدوم كانت موحدة تحت مملكة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . والسِّجلّ الوارد في سفر التثنية ٢ : ١ وما بعدها عن اتصال بني إسرائيل بإدوم يعكس ، بصورة مشابهة ، حالة أو وضع متأخر ؛ ذلك لأنه لا يوجد دليل قاطع على وجود عصيون جابر ، أو إيلات في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ولا يوجد شيء أيضاً في هذا الوصف يؤكد أن بني إسرائيل قد وجدوا أبناء عيسو أو سعير تحت مملكة موحَّدة ، الأمر الذي يستحق الملاحظة هنا ، وهو أن تراث الإتصال الإسرائيلي بإدوم يبدو غامضاً غاية الغموض عندما يُقارَن بتراث اتصالهم بالمؤابيين[١] .

وقد انفردت التوراة دون غيرها ، في الفترة المعاصرة لموسى عليه الصلاة والسلام ، في الإشارة إلى نوع السلطة التي كانت قائمة في إدوم وهي الحكم الملكي ، فقد جاء في النص[٢] :

« وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَكَ ملكٌ لبني إسرائيل . مَلَكَ في أدوم بَالَع بن بَعُور . وكان سم مدينته دِنْهابة[٣] . ومات بالَعُ فمَلَك مكانه يوباب بن زارَح من بُصْرة . ومات يوباب فملك مكانه حُوشَام من أرض التَّيْمَاني . ومات حوشام فملك مكانه هَدَاد بن بَدَاد الذي كَسَّر مديان في بلاد موآب . وكان اسم مدينته عَوِيتَ . ومات هداد فملك مكانه سَمْلة من مَسْرِيقة . ومات سملة فملك مكانه شاُول من رَحُوبوت النهر . ومات شاُول فملك مكانه بَعْل حانان بن عَكْبور . ومات بعل حانان بن عكبور فملك مكانه هَدَار . وكان اسم مدينته فاعو » .

---

(١) Ibid , PP 26 - 27

(٢) سفر التكوين ٣٦ : ٣١ - ٣٩ . وانظر :
سفر أخبار الأيام الأول ١ : ٤٣ - ٥٠ .

(٣) هناك محاولة لتحديد موقع هذه المدينة ، والمدن الأخرى الواردة في هذا النص ، قام بها حديثاً ر. بارتليت ، انظر :
Bartlett , J R , Edom and the Edomites , PP 44 - 54

وفي ترنيمة النصر التي رَنّمَ بها موسى وبنو إسرائيل - حسب رواية التوراة - بعد غرق فرعون وجنوده ، حيث سبّحوا للرب ، ورد خلالها :

« ... يسمعُ الشعوبُ فيرتعدون . تأخذُ الرَّعدةَ سكان فلسطين . حينئذٍ يندهش أُمراءُ أدوم . أقوياء موآب تأخذهم الرجفة . يذوب جميع سكان كنعان . تقع عليهم الهيبةُ والرُّعب . بعظمة ذراعِك يَصْمُتون كالحجر حتى يَعبُرَ شعبُك يا رب »[1] .

إن نص سفر التكوين آنف الذكر يشير إلى أسماء ثمانية ملوك حكموا في ادوم " قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل " ، والنص الوارد في سفر الخروج أيضاً يشير إلى " أمراء أدوم " . وهذا بلاشك من التناقض الواضح في نصوص التوراة ، واضطراب المعلومات فيها .

ومما تجدر ملاحظته أنه ما من أحدٍ من هؤلاء الملوك كان إبناً لسلفه ، كما أن كُلاً منهم كان ينتسب إلى مدينة مختلفة عن الآخر ، ومن المحتمل كذلك مكان إقامته ، كما أن عاصمة كل منهم كانت تختلف عن الأخرى ، وليس بالإمكان تحديد المواقع بشكل دقيق وأكيد لهذه العواصم الإدومية ، فيما عدا بُصرة[2] ، فضلاً عن أن أولئك الحكام كانوا يُعرفون للناس ، كملوك حكموا في أرض أدوم قبل أن يحكم بني إسرائيل أي ملك ، خاصةً وأنه لم يرد في النصوص أي إشارة إلى التسلسل الزمني لفترة حكمهم ، ومن المحتمل أن يكون أولئك الحكام متعاصرين جزئياً أو كلياً ، وإن كان هناك احتمال بأن قائمة أسماء الملوك في نص التوراة ربما أُستخدمت لفترة قصيرة لتاريخ بداية مملكة إدوم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، أو أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وكذلك من المحتمل أيضاً أنها كانت تدل على وجود مدن ، أو على الأقل ، تنص على وجود مستوطنات دائمة معينة في

---

(١) سفر الخروج ١٥ : ١٤ - ١٦ .

(٢) بُصرة : تعرف الآن باسم بُصيرا ، وهي إحدى القرى التابعة إلى محافظة لطفيلة جنوب المملكة الأردنية الهاشمية ، وتقع على ربوة عالية حصينة على مسافة ٢٢ كيلاً جنوب مدينة الطفيلة ، و ٤ كيال غرب الطريق الملكي القديم ، وحوالي ٣٥ كيلاً جنوب شرقي البحر الميت . انظر :

نلسن غلوك ، وآخرون : لمرجع السابق ، ص ١٧٤ وكذا

يعقوب كامل الدحاني ، وآخرون : لمرجع السابق ، ص ١٣٤ وكذا

Bartlett , J . R . Op Cit . . P . 45 .

إدوم خلال الفترة المذكورة ، وإن كان هذا يُعتبر صحيحاً بقدر ما يتفق مع الدليل ، رغم أن القيمة التاريخية لرواية سفر التكوين يحوم حولها الكثير من الشك[١] .

وعلى الرغم من أن سفر التكوين آنف الذكر لا يصف أرومات أولئك الملوك ، فإن رأي أحد المؤرخين[٢] يتجه إلى أنه تظهر بجلاء اللمحة العربية على أسماءهم ، وأسماء مدنهم ، بحيث يمكن القول أنهم من أصول عربية ، ولعل كلاً منهم كان ملكاً في مدينته ثم يفرض حكمه على جميع منطقة إدوم ، وإن كان لا يمكن الجزم بما إذا كان هؤلاء الملوك هم جميع من تولوا حكم إدوم قبل قيام ملكٌ لبني إسرائيل أو قسماً منهم ، إذ أن ثمانية ملوك ، مهما طال حكمهم ، لا تزيد الفترة الزمنية خلالها عن مائتين أو ثلاثمائة سنة ، في حين أن وجود الأرومات العربية الجنس في هذه المنطقة يمتد إلى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد .

وعلى أي حال ، فقد ظل دليل سفر التكوين ٣٦ : ٣١ – ٣٩ يُفسَّر على أنه يدل على أن مملكة إدومية قد وُجدت قبل أن تكون هناك أي مملكة إسرائيلية ، وهو ما يُرجَّح أنه في الفترة الواقعة قبل زمن شاؤل (الذي تم تتويجه ملكاً على بني إسرائيل حوالي سنة ١٠٩٠ ق.م)[٣] أو داوود (الذي تولى العرش بعد شاؤل حوالي سنة ١٠٤٠ ق.م)[٤] ، كان " ملوك " إدوم حُكاماً ليس على إدوم متحدة ، والتي في كل الأحوال كانت منطقة واسعة وصعبة بالنسبة للتحكم فيها ، ولكنها تتكون من أماكن محلية صغيرة ، كل واحدة منها ربما كانت أرض مرعى لعشيرة معينة ، الأمر الذي يدعو المرء أن يُبدي تعجبه لعدد المدن أو البلدات من أي حجمٍ كانت توجد في إدوم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد والثاني عشر قبل الميلاد ، على الرغم من أن نلسون جلوك قد اكتشف أدلة سطحية للعديد من المستوطنات الإدومية ، فإن هذه المستوطنات كانت معظمها صغيرة جداً ، ووجودها أيضاً في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أو القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، لا يؤيده دليل أثري قوي[٥] .

---

(١) نسيب وهبة الحازن : المرجع السابق ، ص ٦٩ وكذا
محمود أبو طالب : المرجع السابق ، ص ٨٤ وكذ
Weippert , M , Op . Cit , P 155

(٢) محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٣) حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، الطبعة الثانية ، دار القلم ودار العلوم والثقافة ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣٧ .

(٤) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(٥) Bartlett , J R , " The Rise and fall of the Kingdom of Edom " , P 27

إلا أن الشيء الملفت للنظر بشأن المدن الواردة في سجل سفر التكوين هو أنها ، بالنسبة للتراث الإسرائيلي المتأخر ، مجرد أسماء في قائمة ، قليلة العدد ومنسيّة ؛ ومن الصعوبة أن تكون أماكن مهمة في الأزمان المتأخرة ، حيث لم تُذكر في الكتابات التاريخية ، ولا الكتابات النبوية مطلقاً ، إذ أن تلك الأسماء للأماكن والملوك الذين ارتبطوا بها ليست دليلاً كافياً لتدعم تلك الصورة التي يرسمها البعض عن مملكة الإدوميين المنظمة القوية والمتحدة ، والتي وُجدت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أو في القرن الثاني عشر قبل الميلاد[١] .

وفي موضع آخر يُوجّه جون ريموند بارتليت عبارة سفر التكوين التي نصها : « قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل »[٢] ، أن ذلك إما يعني « قبل أن يحكم أي ملك من بني إسرائيل على إدوم » وفي هذه الحالة ربما كان داوود هو المقصود بذلك ، أو ، وهو الأرجح ، أنه يعني « قبل أن يحكم مَلِكٌ في إسرائيل » ، وفي هذه الحالة يكون شاؤل هو المقصود ، وبالتالي فهذه القائمة من الملوك لا يمكن أن تكون أقدم من فترة الملكية المبكرة في يهوذا وإسرائيل[٣] .

وبالتالي فإن هذه الروايات التوراتية ، أبعد من أن تكون وصفاً معاصراً ، أو شبه معاصر للأحداث ما بين القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، والقرن العاشر قبل الميلاد ، وأنها ليست بالشهادات المنصفة لتلك العلاقات السياسية[٤] .

بل إن هناك رأي يتجه إلى أن ما ورد في سفر التكوين المشار إليه ، من المحتمل أنها تعكس الأحوال السائدة في إدوم في الفترة الواقعة ما بين القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس قبل الميلاد ، وأن الدليل المؤثر جداً لاحتلال المدينة المسماة بُصرة ، وكل ملحقاتها اليسيرة ، يقع خلال الفترة الآشورية ، بناءً على السجلّات في الحوليات الآشورية ، والتي من الواضح أنها تتحدث عن ابتداء تجلات بليزر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) بحملاته الناجحة إلى فلسطين في حوالي سنة ٧٣٤ ق.م - ٧٣٢ ق.م[٥] .

---

(١) Ibid , P 27

(٢) سفر لتكوين ٣٦ : ٣١ .

(٣) Bartlett , J R , Edom and the Edomites , P 95

(٤) Ibid , P 84

(٥) Bennett , C M , " Excavation at Buseirah (Biblical Bozrah) " , In Midian , Moab and Edom The History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia , Edited by Sawyer , J F A , and Clines , D . J A , JSOT Press , Sheffield , 1983 , P 16

ولدارس للسجلات الآشورية والبابلية القديمة ، يجد أن إدوم بالفعل قد ذُكرَت في نصوص أدد - نيراري الثالث (٨٠٥ - ٧٨٢ ق.م) ، ونصوص تجلات بليزر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) ، ونصوص سرجون الثاني (٧٢٤ - ٧٠٥ ق.م) ، ونصوص سِنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) ، ونصوص إسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) ، ونصوص آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م)[١] .

ففي عهد تجلات بليزر الثالث ، ورد في نصوصه اسم ملك إدوم وهو Kaush - malaku[٢] ، والذي ربما يُقرأ قوص - مالاكو (قوص - ملك) .

أما في عهد سنحاريب ، فذكرت نصوصه ملك إدوم الذي يُسمى Malik - rammu (ملك رامو) ضمن ملوك أمورو[٣] . وكذلك نصوص إسرحدون التي أشارت إلى ملك إدوم في عهده ، وفي عهد آشور بانيبال وهو Kaushgabri[٤] (قوص جبري) . وإن كان هناك من يرى أن اسم ملك إدوم الأخير قد كتب بالحرف الفينيقي المائل بمعنى " قوس جابر ملك إدوم "[٥] والوارد في الحوليات الآشورية آنفة الذكر .

والراجح - والله أعلم - أن النظام الملكي في إدوم ، وتعاقُب حكم الملوك فيها ، كان في عصر متأخر عن تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر ، ربما كان قريباً من عصر شاؤل (طالوت في القرآن الكريم) الذي بعثه الله ملكاً لبني إسرائيل ، كما أشار القرآن الكريم لذلك في قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نُقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تُقاتلوا قالوا وما لنا ألا نُقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كُتب عليهم القتال تولّوا إلا قليلاً منهم والله عليمٌ بالظالمين • وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث**

---

(١) انظر :

Luckenbill , D D . , Ancient Records of Assyria and Babylonia , Green Wood Press , New York , 1968 , Vol . I , Inscriptions Numbers 739 , 801 , P P 262 , 287 , Vol . II, Inscriptions Numbers 195 , 239 , 690 , 876 , P . P 105 , 118 - 119, 265 - 266 , 340 - 341 .

(٢) Ibid , Vol I , P 287

(٣) Ibid , Vol . II , P . 119 .

(٤) Ibid , Vol II , P . P 265 , 340

(٥) عبد الله الطوري ، وآخرون . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢١٠ .

لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له المُلْك علينا ونحن أحق بالمُلْك منه ولم يُؤت سعةً من المال قال إن ا لله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم وا لله يؤتي ملكه من يشاء وا لله واسعٌ عليم ﴾[1] .

ويمكن القول أن تسمية التوراة لحكام إدوم ، في عصر موسى عليه الصلاة والسلام بـ" الملوك " هو تعبير مجازي أكثر منه دلالة حقيقية على الاسم نفسه ، بمعنى أن حكام المدن التي وردت في سفر التكوين السابق الذكر ، أُطلق على كل واحدٍ منهم اسم ملك للدلالة على أنه رئيس عشيرته أو قبيلته في تلك المدينة ، فهو رأس قبيلته وسيدها ، أو بمعنى أصح أمير قبيلته في المنطقة التي تُقيم فيها . ولذلك فإن نص التوراة : ((حينئذٍ يندهش أمراء إدوم))[2] والذي تنسبه التوراة إلى موسى عليه الصلاة والسلام هو أقرب للصواب ، إذ كونهم أمراء يتفق مع ما كان يسود منطقة الشرق الأدنى القديم من هيمنة المصريين والحثيين والآشوريين كملوك في دولهم ، لهم سمعتهم وهيبتهم ، وقدرتهم على بسط نفوذهم في سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ، وا لله أعلم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطريق الملكي ، وهو طريق القوافل بين سوريا والعقبة ، كان يمر عبر أراضي إدوم . وهذا الطريق هو الذي طلب موسى عليه الصلاة والسلام من ملك إدوم فيما بعد المرور عبره ، حيث واجهه بالرفض ، كما سيأتي بيانه في موضعه .

ولأهمية هذا الطريق الملكي في العصور القديمة ينبغي على الباحث بيانه ؛ لارتباطه بطريق سير بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة عبر منطقة شرق الأردن .

لقد أشارت التوراة في موضعين إلى الطريق الملكي بلفظ " طريق الملك " ، فالموضع الأول ورد حين قَدّمَ بنو إسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام طلباً لملك إدوم ، يطلبون منه السماح لهم بالمرور في أرضه ، حيث جاء في النص :

((... دعنا نَمرُّ في أرضك . لا نمرُّ في حقلٍ ولا في كرمٍ ولا نشرب ماء بئرٍ . في طريق الملك نمشي لا نميل يميناً ولا يساراً حتى نتجاوز تخومَك))[3] .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (٢٤٦ ، ٢٤٧) .

(٢) سفر الخروج ١٥ : ١٥ .

(٣) سفر العدد ٢٠ : ١٧ .

أما الموضع الثاني ، فقد أشارت إليه التوراة حين تقدم بنو إسرائيل بطلبٍ مماثل ، وبنفس الكلمات تقريباً ، للملك سيحون ملك حَشْبُون[١] ، حيث جاء في النص :

« وأرسلَ إسرائيلُ رُسَلاً إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً دعني أمرُّ في أرضك . لا نميل إلى حقلٍ ولا إلى كرمٍ ولا نشرب ماء بئرٍ . في طريق الملك نمشي حتى نتجاوز تخومك »[٢] .

وليس من الواضح حتى الآن إن كان هذا المصطلح " طريق الملك " يجب أن يُترجم على أساس أنه اسم علم حقيقي ، أو مجرد اسم عام . فالفقرة الواردة في سفر العدد ٢٠ : ١٧ يمكن أيضاً ترجمتها إلى " طريق الملوك العام " King's Highway وفي هذه الحالة تكون الإشارة إلى طريق خاص . أما الفقرة الواردة في سفر العدد ٢١ : ٢٢ فيمكن أيضاً ترجمتها إلى " الطريق الملوكي" The Royal Road ، أو ما يمكن تسميته بـ" الطريق الحر". ومن هنا يمكن للمرء أن يفترض أنه من المحتمل وجود طرق ملكية مختلفة في أجزاء متفرقة من البلاد ، وإن كان " طريق الملك " قد فُهم عادة على أنه بمثابة اسمٍ عام[٣] .

والواقع أن الافتراضين آنفي الذكر يبدو أنهما يشيران ضمناً إلى طريقين مختلفين لا علاقة بينهما ، وعلى وجه الخصوص الفقرة الواردة في سفر العدد ٢٠ : ١٧ التي تدل على أن طريق الملك يمتد شرقاً من قادش برنيع ، بينما الفقرة في سفر العدد ٢١ : ٢٢ أيضاً من الواضح أنها تكتفي بالتعامل مع طريق الملك على أنها من ضواحي حشبون[٤] .

وعلى أي حال ، فإن طريق الملك هي عبارة عن طريق رئيس يتجه من الشمال إلى الجنوب ، أي أنه يصل بين سوريا ومناجم النحاس المهمة التي كانت في عصيون جابر على

---

(١) حَشْبُون : هي مدينة سيحون ، ملك الأموريين ، لكن حسب ما ورد في التوراة في سفر العدد ٢١ : ٢٥ - ٣٠ ، ٣٤ يظهر أنها مأخوذة أصلاً من المؤابيين ، حيث عبّها موسى عليه السلام - حسب رواية التوراة - للرأوبيين . وتُعرف حالياً باسم حسبان ، حيث تقوم على تل معرل ، وتقع على مسافة حوالي ٢٤ كيلاً إلى الجنوب الغربي من عمان ، وعلى مسافة حوالي ١٣ كيلاً شمال مدبا . انظر :

بحرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ ، ص ٣٠٨ وكذا

Horn , S H . , " Excavating Biblical Heshbon " . In Review and Herald . December 30 , 1971 , P. P . 4 - 6 .

(٢) سفر العدد ٢١ : ٢١ - ٢٢ .

(٣) Miller , J M . Op . Cit , P 173 .

(٤) Ibid . , P 173

خليج العقبة عبر عمون ومؤاب وإدوم ، وهو نفس الطريق الذي أُطلق عليه في العصر الروماني اسم " طريق تراجان " Tarajan's Road ، أو ما عُرف زمن الدولة العثمانية باسم طريق السلطان ، أو الطريق السلطاني[١] .

ويتجه رأي أحد المؤرخين[٢] إلى أن الطريق الملكي العام ربما يشمل الطريق الرئيس الممتد من الشمال إلى الجنوب الذي يمر عبر إدوم ، من وادي الحسا إلى رأس النقب ، حيث يشير سفر العدد ٢١ : ٢٢ إلى القسم الشمالي من هذا الطريق على حدود سيحون الأموري ، إلا أن الراوي في سفر العدد ٢٠ : ١٧ يبدو أنه يُفكر أيضاً في طريق يمتد من قادش غرب إدوم باتجاه الشرق إلى داخل إدوم ، ولربما كان هو الطريق التي وردت فيه قائمة المحطات الواردة في التوراة[٣] ، وهذا الطريق العرضي الذي يربط إقليم البتراء مع النقب وساحل البحر المتوسط لابد أنه كان طريقاً هاماً .

وفضلاً عما سبق ، فقد أشارت التوراة إلى طريق هامة أخرى كما جاء في النص :

« فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق لعربة على أيلة وعلى عصيون جابر ثم تحولنا ومررنا في طريق برية موآب »[٤] .

إن " طريق العربة " هو الذي يمتد على طول وادي عربة ، والذي كَثُرَ استخدامه بواسطة المستكشفين الأوروبيين في القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث يمتد شمالاً من إيلات ، وعصيون جابر ويتصلا مع يهوذا ، وغالباً لم يدخل هذا الطريق تحت سيطرة الإدوميين ، على الرغم من أنه لاشك في أنه كان مُهدَّداً من قِبَل إدوم ، حتى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وأوائل القرن السابع قبل لميلاد[٥] .

---

(١) Anderson , B W . , Op . Cit , P 67 ,
Finegan , J , Op Cit , P 153 ,
Miller , J M , Op Cit , P 173

(٢) Bartlett , J . R , Op . Cit , P 38 .

(٣) سفر العدد ٣٣ : ٤١ - ٤٩ .

(٤) سفر التثنية ٢ : ٨ .

(٥) Bartlett , J . R , Op Cit . , P . 39

جـ - مجتمع مؤاب :

وردت الإشارة إلى " مؤاب " في التوراة ١٢١ مرة[١] ، ومن المرجح أن هذا الاسم يعود إلى الشعب المؤابي الذي استقر في المنطقة التاريخية القديمة المعروفة حالياً بـ" الكرك "[٢] ، وقد يُطلق الاسم مؤاب على الأرض نفسها ، أو هو علمٌ من الأعلام قد يكون اسم لمعبود قديم جداً عبده شعب مؤاب في غابر الأزمنة واكتسب اسمه منه[٣] .

أما رواية التوراة عن الاسم مؤاب فتقول :

« وصعد لوط من صُوغَر وسكن في الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البِكْرُ للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في

---

(١) بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٢٩ .

(٢) الكَرَك : أصلها " كرخا " وهي لفظة آرامية تعني المدينة المرتفعة المستديرة . وعُرفت في التوراة باسم " قير حارسة " و " قير حارس " و " قير مؤاب " حسب ما ورد في سفر الملوك الثاني ٣ : ٢٥ ، وسفر إشعياء ١٦ : ٧ ، ١١ ؛ وسفر إرميا ٤٨ : ٣١ ، ٣٦ . وقد ورد اسم هذه المدينة في مسلة الملك ميشع بلفظ " قرحى " .
وتقع الكرك على قمة تلة تكاد تكون معزولة ، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٩٤٩ متراً (٤٤٠٠ قدم) وهي عاصمة مؤاب قديماً ، وتبعد حوالي ١٨ كيلاً شرقي لحوء الحموي من البحر الميت . قال عنها ياقوت الحموي :
« كرك : بفتح أوله وثانيه ، وكاف أخرى ، كلمة عجمية ، اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في حدها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس ، وهي على سن جبل عالٍ تحيط بها أودية ... » . وكانت الكرك مأهولة بالسكان في العصر الحديدي نحو سنة ١٢٠٠ ق.م ، وكانت إحدى المدن الرئيسة في مؤاب .
وقد كان للكرك دور بالغ الأهمية زمن الصليبيين ، إلى أن استردها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٧ م . انظر :
ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ وكذا
بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٧٥٢ وكذا
لويس خلوف : الأردن تاريخ وحضارة آثار ، الطبعة الأولى ، المطبعة الاقتصادية ، عمان ، ١٩٨٣ م ، ص ٢١١ - ص ٢٢٦ وكذا
لانكستر هاردنج : آثار الأردن ، تعريب سليمان موسى ، الطبعة الثالثة ، وزارة السياحة والآثار ، عمان ، ١٩٨٢ م ، ص ١٢٩ - ص ١٣٣ .

(٣) فوزي أحمد طوقان : " المؤابيون شعبٌ ثار على الاحتلال " ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد التاسع والعشرون، السنة الثالثة ، دار النشر العربية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٣ وكذا
Kennett , R H . , " Moab " , In Encyclopaedia of Religion and Ethics , Edited by James Hastings , Vol . VIII , Edinburgh , T & T . Clark , New York , Charles Scribner's Sons , 1974 , PP . 759 - 760

الأرض رجلٌ ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هَلُمَّ نسقي أبانا خمراً ونضطجعُ معه فَنُحيي من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة . ودخلت البِكْرُ واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه . فَنُحيي من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً . وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فَحَبَلت ابنتا لوطٍ من أبيهما . فولدت البكر إبناً ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغيرة أيضاً ولدت إبناً ودعت اسمه بن عَمّي . وهو أبو بني عَمّون إلى اليوم »[1] .

ويرى الباحث أن هذا النص من التوراة هو مما أدخله اليهود - عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين - على توراتهم المُحرَّفة ؛ فقد اعتادوا على أن يُلصقوا برسل الله وأنبيائه أبشع التُّهم والجرائم ، فلم يتورَّعوا أن يجعلوا أصل المؤابيين والعمونيين من ابنتي لوط عليه الصلاة والسلام ، بعد اتهامهم إياه بالزنا بإبنتيه بعد خروجه بأهله لَمَّا حَلَّ العذاب بقوم لوط . وهذا بلاشك أمر مرفوض ومردود من قِبل كل مسلم يدين بعقيدة الإسلام التي تؤكد على عصمة الرسل والأنبياء الكرام عليهم جميعاً الصلاة والسلام ؛ فهم حملة دعوته ورسالاته إلى خلقه من البشر ، وهم الأخيار الأطهار الذين عصمهم الله عز وجل من الوقوع في المعاصي والذنوب ، والولوغ في الخطايا والموبقات . فحاشى لله عز وجل أن يكون لوط عليه الصلاة والسلام كما وصف أعداء الله ورسوله وهم اليهود والنصارى ، ومن سار على دربهم واتبع خطاهم ، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم أنهم يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه كما في قوله تعالى :

﴿ **من الذين هادوا يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **يُحرِّفون لكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **يُحرِّفون الكلم من بعد مواضعه** ﴾[4] .

---

(١) سفر التكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨ .

(٢) سورة لنساء ، الآية (٤٦) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٣) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٤١) .

وقوله تعالى : ﴿ **وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يُحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾[1] .

وعلى ذلك ، فإن ما ورد في نص سفر التكوين ، آنف الذكر ، كذب وافتراء على رسول الله ونبيه لوط عليه الصلاة والسلام ، ولا يجوز أبداً أن يعتقد المسلم بصحته ، أو يُصدِّق بشيءٍ منه ، فهو مما أحدثه اليهود في كتابهم ، ومما دَوّنه كُتّاب الأسفار المُحرَّفة بأيديهم .

وقد عَلّق أحد علماء القرن السادس الهجري[2] على رواية سفر التكوين آنف الذكر بقوله :

« ... وجعلوا ذلك النبي قد شرب الخمر حتى سَكِرَ ، ولم يعرف ابنتيه ، ووطئهما فأحبلهما ، وهو لا يعرفهما . فولدت إحداهما ولداً سمته (مؤاب) تعني أنه من الأب ، والثانية سمت ولدها (بني عَمُّون) تعني أنه من قبيلتها .... فمن أفحش المحال أن يكون شيخ كبير قد قارب المائة سنة ، قد سُقي الخمر حتى سَكِرَ سُكراً حال بينه وبين معرفة ابنتيه [فمن] المحال أن تعلِق المرأة من شيخٍ طاعنٍ في السن قد غاب عنه حِسُّه لفرط سُكره . ومما يؤكد استحالة ذلك ، أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت به كذلك في الليلة الثانية ، فعلِقت أيضاً . وهذا ممتنع من المشايخ الكبار أن تعلق المرأة من أحدهم في ليلة ، وتعلق منه أيضاً الأخرى في الليلة الثانية .

إلا أن العدواة التي مازالت بين بني عمون ومؤاب وبين بني إسرائيل ، بعثت واضع هذا الفصل ، على تلفيق هذا المحال ، ليكون أعظم الأخبار فُحشاً في حق بني عَمّون ومؤاب » .

ومما يؤسف له ، أن بعض المسلمين قد اعتقدوا بصحة فِرْيَة اليهود ، فيما نسبوه إلى لوط عليه الصلاة والسلام حتى قال أحدهم :

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٥) .

(٢) السّموءَل بن يحيى بن عباس المغربي : بدل المجهود في محام اليهود . قدم له ، وخرج نصوصه ، وعلّق عليه عبد الوهاب طويلة ، الطبعة الأولى ، دار القلم والدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٦٩ - ص ١٧٣ بتصرف .

« ويبدو أن مثل هذه الأمور في العصور الغابرة كانت أموراً عادية على ما جاء في سفر التكوين ، فقد تزوج إبراهيم الخليل عليه السلام السيدة سارة أخته من أبيه ، كما تزوج يعقوب من اختين شقيقتين وهما ليئة وراحيل . كما أن التاريخ المصري القديم يشير إلى زواج حتشبسوت ملكة مصر من أخيها تحتمس الثالث »[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا يُعرف على وجه التحقيق من أين أتى المؤابيون ، وإن كانت هناك وجهات نظر مختلفة حول ذلك ، منها :

أولاً : أن المؤابيين ينتمون إلى مجموعة من القبائل العربية السامية التي كانت تُقيم في الصحراء العربية السورية ، ومنها هاجروا باتجاه الجنوب الغربي ، ودخلوا المنطقة التي يُطلق عليها اليوم الكرك في الأردن ، في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أو أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ثم اختلطوا بالإيميين[٢] سكان المنطقة الأصليين[٣] .

ثانياً : أن المؤابيين من القبائل السامية العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى منطقة شرق الأردن في القرن الثالث عشر قبل الميلاد[٤] .

---

(١) محمد عبد السلام منصور : " الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة الفلسطينيين إلى أرض فلسطين " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٣ ، السنة السادسة عشرة ، الأمانة لعامة لإتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٧١ .

(٢) الإيميُّون : هم السكان الأقدمون للمنطقة التي سكنها المؤابيون فيما بعد ، وهي تقع إلى شرقي الأردن ، وقد هزمهم كدر لعومر في سهل قريتايم حسب ما ورد في سفر التكوين ١٤ : ٥ ، وكانوا طوال القامة مثل العناقيين . وكانوا في وقتٍ ما شعباً كبير العدد وقوياً ، وكانوا يُدعون أيضاً ، حسب ما ورد في سفر التثنية ٢ : ٩ ١١ ، بالرفائيين . انظر :

نصرس عبد الملك ، وآخرون المرجع لسابق ، ص ١٤٥ .

(٣) نوار أحمد طوقان . المرجع السابق ، ص ٣ وكذا

فان رايل : المؤابيون ، تعريب وإعداد خير ياسين ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٠م، ص ٢٣ ص ٢٤

(٤) يسميل رهوان : أضواء من تاريخ الأردن ، دار الكتب ، عمان، بدون تاريخ ، ص ٩ ، ص ٥٠ ، ص ٥١ وكذا

صفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ، الطبعة الخامسة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ، ص ٣٩ وكذا

ديتلف نيلسن ، وآخرون : التاريخ العربي القديم – تاريخ العرب ونظرة حول المادة ، ترجمه واستكمله فؤاد حسين علي ، راجع الترجمة زكي محمد حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ص ٤٧ .

ثالثاً : أن المؤابيين من القبائل الآرامية التي وفدت إلى الشمال الشرقي لنهر الأردن ، آتية من بلاد الرافدين خلال الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث سُميت المنطقة التي سكنوا فيها بأرض مؤاب[١] .

وإن كان مارتن نوث يرى أن الآراميين اسم جامع للشعوب ، أو العناصر البشرية ، التي كانت تقطن المنطقة من العمونيين والمؤابيين والإدوميين[٢] .

رابعاً : أن المؤابيين كانوا من العابيرو الذين اجتاحوا منطقة سوريا وفلسطين خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وأنهم بعد ذلك بدأوا في التحول من الحياة شبه البدوية إلى استقرار حضاري ، بحيث نجحوا في تثبيت أنفسهم في هذه المنطقة بعض الوقت ، قبل أن يتمكن بنو إسرائيل زمن موسى عليه الصلاة والسلام من إيجاد وطنٍ لهم[٣] .

خامساً : أن المؤابيين ، وكذا العمونيين والإدوميين ، كانوا في أول أمرهم قبائل بدوية ، إلا أنهم صاروا قبائل متحضرة لما شاهدوا عمران الحضر فطمعوا في ذلك ، ونزحوا من الصحراء إلى الأمصار المتاخمة للجزيرة وافتتحوها ، وعاشوا فيها عيشة حضرية[٤] .

سادساً : أن المؤابيين كانوا من الكنعانيين ، واختلط بهم عناصر بشرية مختلفة ، بل إن أسماء الأماكن في المنطقة التي أقاموا فيها يظهر فيها بوضوح التأثير الكنعاني عليها[٥] .

ويرى الباحث في هذا الموضوع ، أن ما سبق من وجهات نظر هي اجتهاد علمي قد يصيب وقد يُخطئ ، والحق أنه لا يُعرَف كثيراً عن المؤابيين قبل دخول بني إسرائيل لمنطقة شرق الأردن في عهد موسى عليه الصلاة والسلام ، إذ لا يوجد دليل ثابت وصحيح من النقوش ، أو النصوص الكتابية المعاصرة لتلك الفترة ما يمكن الإعتماد عليه في إثبات أصولهم بشكل دقيق ، والله أعلم .

---

(١) معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٦ ، ص ١٩ وكذا :
محمد ضياء الرحمن الأعظمي : اليهودية والمسيحية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٧ .

(٢) Noth , M , Op Cit , P 83

(٣) Anderson , B . W , Op . Cit , P . 67 ,
Grohman , E . D , " Moab " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol 3 , Edited by Buttrick, G . A ., Abingdon Press, Nashville, New York , 1962 , P 409 .

(٤) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٥) عبد الله الطوزي ، وآخرون : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٩ وكذا :
Kennett , R . H . , Op Cit , P 760 .

الحدود الجغرافية :

إن الحدود في العصور القديمة لم تكن بالمفهوم المعاصر للكلمة ، وهو رسم خط قاطع بين الدول لا يمكن تجاوزه إلا بموافقة الدول فيما بينها ، كما هو الحال اليوم ؛ وإنما كانت عبارة عن مناطق طبيعية قد تكون بحراً أو بحيرة ، أو نهراً ، أو وادٍ ، أو سلسلة جبلية ، أو صحراء . وقد كانت القبائل تجتاز هذه المناطق إلى حيث تكون وجهتها ، طلباً للماء والكلأ ، أو بحثاً عن أماكن جديدة للإستقرار فيها فترة من الزمن .

كانت المنطقة التي سكنها المؤابيون ذات موارد مائية كثيرة ، مما ساعد على وجود مراعٍ خصبة ، وبالتالي شَكَّلَ بعض تلك الموارد المائية حدوداً لمنطقة مؤاب ، خاصة في المناطق الشمالية ، والجنوبية ، والغربية .

لم تكن الحدود الشمالية لمؤاب ثابتة ، وإنما كانت متغيرة من وقت لآخر ، لاسيما وأن العمونيين كانوا يقيمون في الشمال من مؤاب[1] .

وعلى أي حال ، فإن حدود مؤاب الشمالية كانت تمتد حتى نهر أرنون[2] وإلى

---

(١) معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ وكذا
فان زايل : المرجع السابق ، ص ٨٩ وكذا
Kennett , R H . , Op . Cit , P . 760

(٢) نهر أرنون : كلمة عبرانية معناها " الزئير " وهو اسم لنهر يُدعى في العصر الحاضر باسم " وادي الموجب " في المملكة الأردنية الهاشمية . وقد ورد اسم وادي أرنون في نقش ميشع ، سطر ٢٦ بلفظ " أرن ن " بمعنى المتدفق الهدّار ، أو سال مُحدِثاً ضَجّة وأطلق عليه العرب اسم الموجب ، وهي لفظة مشتقة من " وجب " التي تعني : سقط محدثاً ضجة ، مما يشير إلى أن مياهه كانت تتحدر باعثة هديراً .
ويصل عمق هذا الوادي نحو ٥٠٠ متر ، ويقع على مسافة ٤ أكيال إلى الجنوب من ديبان . ويتجه هذا الوادي غرباً حتى يصب في البحر الميت ، وعلى بُعد حوالي ٢٠ كيلاً من البحر الميت ينقسم إلى فرعين رئيسين : أحدهما يتجه نحو الشمال الشرقي ، والآخر إلى جنوب الجنوب الشرقي ، وهما وادي الوالة ، ووادي عقيدة . وهناك فرع صغير آخر في الجنوب يعرف باسم سيل الصعدة أو سيل صَعْيَه . ومن المحتمل أن كل الفروع الأخرى كانت تحمل اسم أرنون . لذا فإنها ليست وادٍ فقط بل أودية ، وهي التي ورد ذكرها في سفر العدد ٢١ : ١٤ ، ١٥ . وقد كان نهر أرنون في عصر موسى عليه الصلاة والسلام هو الحد الفاصل بين المؤابيين والأموريين في الشمال ، حسب ما ورد في سفر العدد ٢١ : ١٣ ، ٢٦ . انظر :
فواز أحمد طوقان : " مسلة مشيع ملك مؤاب " ، حولية مديرية الآثار العامة ، العدد ١٥ ، عمان ، ١٩٧٠ م ، ص ٤٦ وكذا
بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٧ وكذا
عاتق بن غيث البلادي : رحلات في بلاد العرب في شمال الحجاز والأردن ، الطبعة الأولى ، دار المجمع العلمي ، جدة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ١٤٢ وكذا
لويس مخوف : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ وكذا
Smith , G . A . , The Historical Geography of the Holy land , Twenty - Third Edition , Hodder and Stoughton Limited , London , PP . 558 - 559

عربات مؤاب[١] ، حيث يقع وادي نمرين[٢] ، وإلى حسبان كأقصى حدودها الشمالية[٣] .

وكان وادي الحسا هو الحدود الجنوبية لمؤاب ، وهو الحد الفاصل ما بين مؤاب وإدوم ، حيث كان يخترق منطقة مؤاب بعرضها ، مما يُعدّ حَدّاً ثابتاً وطبيعياً لها[٤] .

أما الحدود الشرقية فكانت عبارة عن صحراء ، بها بعض المناطق الصالحة لرعي الماشية . فيما شَكّلَ البحر الميت ونهر الأردن حَدّاً شبه ثابت لمؤاب من جهة الغرب[٥] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤابيين ظَلّوا يطمحون للسيطرة على السهول الخصبة شمال الأرنون ، وفي أوقاتٍ مختلفة استطاعوا فعلاً أن يمدّوا نفوذهم إلى تلك المناطق خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، على الأقل ، بمحاذاة الجبال الممتدة على الحدّ الشرقي للبحر

---

(١) عربات مؤاب : هي ما كان في وادي الأردن مقابل أريحا بين مصب يبوق والبحر الميت . وفي أعلى عربات مؤاب ما يُعرف اليوم بالغور . وقد أشارت إليها التوراة كثيراً كما في سفر العدد ٢٢ . ١ ؛ ٢٦ : ٣ ؛ ٣٣ : ٤٨ ؛ وسفر التثنية ٣٤ : ١ . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٢٨ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) وادي نمرين : ويسمى أحياناً غور نمرين ، وهو يقع على مسافة حوالي ١٣ كيلاً شمال البحر الميت . انظر :
Kennett , R H , Op Cit . , P 760

(٣) معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ وكذا

لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ١١٣ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ٨٩ وكذا

Anderson , B W , Op Cit , P 67 ,
Kennett , R H . , Op Cit , P 760 ,
Noth , M , Op Cit , P 154

(٤) ياسمين زهران : المرجع السابق ، ص ٥٢ وكذا

فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٢٣ وكذا

لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ١١٣ وكذا

معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ٨٧ وكذا

Bartlett , J R , Op Cit . , P . 34

(٥) فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٢٣ وكذا

لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ وكذا

معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ص ٨٨ .

الميت ووادي الأردن ، حتى وادي ثمريـن ، وذلـك قبـل وقـت طويـل مـن اصطدامهـم مـع الأموريين بقيادة سيحون[١] .

أما فيما يتعلق بتاريخ نشأة مؤاب ككيان سياسـي مُؤثّـر في المنطقـة ، فقـد اختلفـت الاراء حول التحديد الدقيق لذلـك . إلا أن الإتجـاه الأكـثر قبـولاً يميـل إلى ترجيـح القـرن الثالث عشر قبل الميلاد كبداية لنشأة مؤاب[٢] .

لقد أشار مارتن نوث إلى أن المؤابيين كَوّنوا لهم دولـة في وقـتٍ مبكـرٍ نسبياً ، مثـل الإدوميين ، وكان لهم ملوك حتى قبل ظهـور فكـرة الملكيـة في بـني إسـرائيل ، غـير أنـه لا يُعرَف كيف تم تطوير الدولة في مؤاب ، وفيما إذا كان حكم ملكي علـى كـل الدولـة قـد وُجِدَ منذ البداية ، رغـم وجود انطباع بأن الملوك المؤابيين في الفـترة المبكـرة ، كـانوا عبـارة عن حُكّام صغار يحكمون في آن واحد في مؤاب[٣] .

وهناك رأي يذهب إلى أن مؤاب في القـرن الثـالث عشـر قبـل الميـلاد لم تكـن دولـة كباقي الدول المجاورة ، وإنما كانت " دولة مدينة City - State "[٤] كما هو الحـال آنـذاك

---

(١) فاد زايل : المرجع السابق ، ص ٢٧ ، ص ٢٨ وكذا

Grohman , E D . , Op . Cit , P P 409 - 410 ,
Noth , M , Op Cit , P. P 154 - 155

(٢) معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٠ وكذا

خير ثمر ياسين : المرجع السابق ، ص ١٧٧ وكذا

Grohman , E D , Op Cit , P . 412 ,
Eissfeldt , O , " Palestine in the Time of the Nineteenth Dynasty - (a) The Exodus and Wanderings ",
CAH , Vol II , Part 2 , 1975 , P 330 ,
Miller , J M , Op Cit , P 171 , 172 ,
Noth , M , Op Cit , P 155

(٣) Ibid , P 155

(٤) دولة المدينة City - State : الأصل في هذا المصطلح يعود إلى بلاد الاغريق ، فلم تكن بلادهـم منـذ بدء تاريخهـا دولة تنتظمها رابطة الوحدة السياسية ، وإنما كانت تنقسم إلى عدد كبير من الدويلات أو المدن الحرة ، التي تحرص كل منها على استقلالها وحريتها . حلل أرسطو دساتير ١٥٤ مدينة ، وكان هـو وأفلاطون يعـودان إلى هذا النظام النجاح الذي أحرزه الإغريق في شوط الحضارة ، ويعتبرانه النظام الطبيعي الوحيد الذي يستطيع أن يعيش في كنفه الرجال الأحرار . ويقول أفلاطون أن ٥٠٤٠ أسرة هي العدد المثالي لسكان المدينة الحرة . ويذهب الفيلسوفان إلى أن هدف الدولة يجب أن يكون توفير الحياة الطيبة لمواطنيها ، وأن الدولة يجب ألا تكـون كبيرة إلى حد يتعذر معه معرفة كل مواطن واستخدامه . وقد تعاونت نظم المدن فيما بينها ، وفي كل منها على مر العصور ، من الملكية المطلقة إلى الديمقراطية الكاملة ، فقد كانت كل مدينة تختار ما تشاء من النظم ، وتُغيّر نظمها بمحض إرادتها ، وكان الاكتفاء الذاتي اقتصادياً هو المثل الأعلى للمدينة ، برغم أنه كـان لبعضها ، مثـل أثينا ، علاقات تجارية واسعة .

⇐

في غرب نهر الأردن قبل مجيء بني إسرائيل ، حيث حافظوا على كيانهم وسط دويلات المدن القائمة[1] .

ولاشك أن هناك صعوبة في التعرف على تاريخ المؤابيين من خلال البحث في التاريخ المعاصر أو القريب من عصر موسى عليه الصلاة والسلام ، خاصة في ضوء غياب المصادر المؤابية المعاصرة لذلك العصر . وللتعرف على بعض ذلك التاريخ لابد من الإعتماد على مصادر ومعلومات غير مؤابية من خلال مصادر جيرانهم المعاصرين مثل : المصادر التوراتية، والمصادر المصرية ، والمصادر المسمارية .

وبالنسبة للتوراة ، فتُعدّ مصدراً غير موثوق به تاريخياً ؛ لأنها حُرِّفت في عصور تالية، كما أنها كُتبت في عصور لاحقة لفترة الإحتكاك الإسرائيلي المؤابي ، ويظهر فيها جَلِيّاً تحيّز كُتّاب الأسفار لبني جلدتهم . وهي أيضاً بالنسبة للمؤابيين وثيقة مطعون في نزاهة معلوماتها ، لما كان بين المؤابيين وبني إسرائيل بعد عصر موسى عليه الصلاة والسلام من حروبٍ وإحن ، بحيث كان من المؤكد أن كُتّاب الأسفار لَفّقوا مطاعن كثيرة ضد أعدائهم

⇐ ولم تكن المدن الحرة مقصورة على بلاد الإغريق ، فقد عُرفت في تاريخ بلاد أخرى ، وفي أزمنة أخرى . ففي جنوبي بلاد الشام ظهر نظام دولة المدينة ، أو المدينة الدولة بعد فترة وجيزة من سنة ٣١٠٠ ق.م ، حيث تتوزع أكثر من نصف عدد السكان في المناطق الجبلية من الأردن وفلسطين ، لأن مردود محصول المنتوجات الزراعية كان مرتفعاً . ويلاحظ أن مساحات المدن قد تفاوتت بشكل ملحوظ ، وبالتالي كان ثمة تفاوت في عدد سكان كل مدينة . ومن المدن ما وُصِفَ بالمدن الكبيرة ، بينما وُصِفَت المدن الأخرى بالصغيرة . فالكبيرة هي ما بلغت مساحتها حوالي ٢٠ فداناً أو أكثر قليلاً . أما المدينة المتوسطة فمساحتها من ١٠ إلى ٢٠ فداناً ، وأما المدن الصغيرة فهي التي تراوحت مساحتها من ٢,٥ إلى ١٠ أفدنة . وهناك مدن صغيرة جداً كانت تقل مساحاتها عن ٢,٥ فدان ، إضافة إلى قرى ومستعمرات أخرى صغيرة .

إن نشوء المدن إنما يعني أن نوعاً من النظام المركزي قد نشأ فيها . وقد كانت كل مدينة من هذه المدن مستقلة بذاتها . ويُصطلح على أن يسمى النظام السياسي لهذه الفترة بالمدينة الدولة . انظر :

محمد شفيق غربال ، وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الأول ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٨٢٠ وكذا

محمد كمال صدقي : المرجع السابق ، ص ٨٩ وكذا

خير ثمر ياسين : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(١) Grohman , E D , Op . Cit . , P 412 ;
Eissfeldt , O , Op Cit . , P 330 .

المؤابيين . وبالرغم من ذلك تظل التوراة أحد المصادر الرئيسة للتعرف على تاريخ المؤابيين من قبيل المقارنة ، بحيث يُؤخذ ما جاء فيها من الناحية المنطقية[١] .

أما فيما يتعلق بالمصادر المصرية ، فمما هو معلوم أن حملات المصريين على منطقة شرق الأردن وسوريا قد استمرت حتى في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) إذ أن المنطقة ، كما يبدو ، كانت تعيش تحت السيطرة المصرية وتدفع لها الضرائب ، بل وتُعامَل معاملة دويلات المدن[٢] .

وفي العام السابع من حكم رعمسيس الثاني ، أي في حوالي سنة ١٢٨٤ ق.م ، عندما اتجه إلى سوريا وشرق الأردن ، استطاع اجتياح أرض مؤاب والاستيلاء على بعض المدن فيها ، لاسيما مدينة ديبون[٣] ، مما يعني أن المؤابيين كانوا قد استوطنوا في ذلك الوقت في هذا الموقع[٤] .

---

(١) فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٢١ وكذا
فواز أحمد طوقان : المؤابيون شعبٌ ثار على الإحتلال ، ص ٤ وكذا
محمد عبد السلام منصور : المرجع السابق ، ص ١٧٠ وكذا
فان زايل : المرجع السابق ، ص ٧ ، ص ١٤١ .

(٢) معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ وكذا
Singer , I . " Merneptah's Campaign to Canaan and the Egyptian Occupation of the Southern Coastal Plain Palestine in the Ramesside Period ", BASOR , 269 , 1988 , P . 4

(٣) ديبون : وردت الإشارة في التوراة إلى ديبون في مواضع عدة ، منها : سفر العدد ٢١ : ٣٠ ؛ ٣٢ : ٣ ، ٣٤ : ٣٣ : ٤٥ ، ٤٦ ، وسفر يشوع ١٣ : ٩ ، ١٧ ، وسفر اشعياء ١٥ : ٢ ، وغير ذلك من المواضع . وكانت ديبون عاصمة للمؤابيين بعد لكرك ، وتُعرف في العصر الحاضر باسم " ديبان " على طريق مادبا الكرك ، وهي تقع على قمة تل مشرف إلى الغرب من الطريق بمسافة قصيرة . وفي هذا الموضع تم عام ١٨٦٨ م اكتشاف حجر مؤاب وهو نقش ميشع المشهور الذي تركه الملك ميشع (٨٧٠ - ٨٤٠ ق.م) ملك مؤاب وديبان الحالية تقع على مسافة ٦٤ كيلاً إلى الجنوب من عمان ، وحوالي ٥ أكيال إلى الشمال من نهر أرنون (الموجب) ، وارتفاعها فوق سطح البحر ٧٢٦ مترًا . انظر :
بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٨١ وكذا
لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٥٤ وكذا
حسن نعمة : من ذاكرة التاريخ مدن الشرق الأدنى القديم ، الطبعة الأولى ، شركة رشاد برس ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص ١٠٣ وكذا
لانكستر هاردنج : المرجع السابق ، ص ١٢٧ وكذا
Finegan , J . Op . Cit , P P . 189 - 190 ;
Noth , M . Op Cit , P P 157 , 244

(٤) نيقولا حرزمالي : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ ، ص ٣٣٤ .

وقد ذكر رعمسيس الثاني منطقة مؤاب في قائمة تعود لعصره في معبد الأقصر ، ضمن المناطق الآسيوية التي كانت خاضعة للامبراطورية المصرية ، ووردت في نقوشه بلفظ م - أ - ب ، وهي الكلمة المطابقة لمؤاب ، وإلى جانب هذه القائمة نُحتت صور أشخاص توحي ملامحهم بأنها سامية آسيوية[١] .

وعُثر في سنة ١٩٢٦ م في صقارة[٢] بمصر على مجموعة قطع عليها كتابات ، وَمُخَرَبَشَات[٣] منقوشة على قطع حجرية فخارية ، وكتابات على ورق البردي ، ورد فيها بعض الأسماء المؤابية ، أو ما يدل على صلة أصحابها بالمؤابيين[٤] .

ويبدو واضحاً التأثير المصري على المؤابيين ، خاصة في مجال لفن المصري من خلال مسلة البالوع[٥] ، حيث يظهر فيها صورة لأحد

---

(١) فان زايل : المرجع السابق ، ص ١٧٨ وكذا

Lods , A , Israel From Its Beginnings to the Middle of the Eighth Century , Routledge & Kegan Paul , London , 1962 , P . 57 ;

Grohman , E D . , Op . Cit . , P 412 ,

Wilson , J A ., " Egyptian Historical Texts - Lists of Asiatic Countries Under the Egyptian Empire " ANET , P P 242 - 243 ,

Abu - Qorah , O , Op Cit . , P P 27 - 28

(٢) صقارة : تقع على مسافة حوالي ٢,٥ كيل إلى ٣ كيال باتجاه الغرب من منف (ميت رهينة) . انظر

Gardiner , A H , Ancient Egyptian Onomastica , Vol II , P . 122* .

(٣) مُخَرَبَشَات : هي أشكال أو نقوش مكتوبة باسلوب غائر ، بواسطة آلة حادة على الصخور أو الأبنية . انظر : محمد كمال صدقي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) فان زايل : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٥) مسلة البالوع : نسبة إلى البالوع ، وهي حربة أثرية تقع شمال شرق الكرك ، وإلى الشرق من جبل شيحان ومسلة البالوع نُحتت من الحجارة البازلتية السوداء ، وهي محفوظة في متحف الآثار بعمان . ويبلغ سُمك هذه المسلة ما بين ٣٠ سنتيمتراً إلى ٣٣ سنتيمتراً . وأرجع الباحثون تاريخها إلى ما بين حكم تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) ورعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) . وعلى السطح الأمامي من المسلة يظهر نحت بارز لملك مؤابي بالزي المصري مع قبعة محلية ، وفوق كتفيه الشمس والقمر ، ويتوسط هذا الملك صورة معبودين من المحتمل أن أحدهما معبود مصري إذ يُقدم له ملك الطاعة والولاء ، ويحمل على رأسه تاج مصر العليا والسفلى ، وفي يده اليمنى إشارة الحياة ، وفي اليد اليسرى الصولجان الإلهي . بينما يقف المعبود الثاني وراءه وهو المعبودة عشتار بلباسها الطويل ، وفوق رأسها تاج الريش ، وفي يدها اليمنى أيضاً شارة الحياة . ويعلو هذه المسلة نقش بالهيروغليفية المصرية مُؤلف من ٣ - ٥ أسطر ، ولم يتمكن المختصون من الكشف عن محتواه للحالة السيئة التي وُجد عليها . ومن خلال هذه المسلة يظهر أن النحات كان على إطلاع جيد بالفن المصري ، وكان باستطاعته أن يُنجز عملاً فنياً مصرياً ، وأن يُصوِّر الأشخاص بملابس مصرية ، وأن يرسم التيجان التي كان يحملها الفراعنة . انظر :

⇐

المعبودات المصرية[1] .

أما المصادر المسمارية التي تعود إلى ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، والقرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فلم يرد فيها أي إشارة لمؤاب .

وكل ما ورد عن مؤاب في المصادر المسمارية إنما هو في عصور تالية تقع فيما بين القرن الثامن قبل الميلاد ، والقرن السادس قبل الميلاد[2] ، حيث أشارت نصوص تجلات

لويس محلوف : المرجع السابق ، ص ١٨٩ - ص ١٩١ وكذا

معاوية إبراهيم : المرجع لسابق ، ص ١٩ وكذا

يعقوب كامل لدحاني ، وآخرون : المرجع لسابق ، ص ١١١ وكذا

لانكستر هاردنج : المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ هامش (١) وكذا

هان زايل : المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ص ١٧١ وكذ

Noth , M , Op Cit , P 155 note (2)

(١) معاوية إبراهيم - المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٢) هناك تسع إشارات لمؤاب وردت في الكتابات المسمارية التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، والقرن السابع قبل الميلاد ، والقرن السادس قبل الميلاد ، من خلال إتصال الملوك الآشوريين بالمؤابيين . وهو عدد وفير لمملكة صغيرة بالقياس إلى امبراطوريات ما بين النهرين كآشور وبابل ، على الرغم من كثرة الممالك المعاصرة لمؤاب في تلك القرون المذكورة ، ولم يرد ذكرها في تلك النقوش .

ومن هذه النقوش على سبيل المثال لا الحصر :

١ - لوحة نمرود المؤرخة بسنة ٧٢٨ ق.م والمتعلقة بتجلات تيغلاث بلاسر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) .

٢ - رسائل من كلحو (نمرود) . فمن خلال الحفريات التي أجريت في كلحو (وهي المدينة التي أسسها شلمنصر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م) قرب نهر دجلة الذي يحميها من جانبها الغربي ، ومن جهتها الجنوبية الغربية لأعلى الذي يتصل بدجلة في الموضع الذي يُسمى لمحيط) كتشف المُنقّب مسترز (١٩٤٩ ١٩٦١ م) رئيس إحدى بعثات التنقيب البريطانية ، مجموعة من الرسائل التي تعتبر بسورية ومسطين والأردن ، وفي أحد هذه الرسائل ذُكر " قوردي آشور " وهذا كان أحد الموظفين الآشوريين لمقيمين في أرض أمورو (الأموريين) أشار فيها إلى أن قبائل حدرية قد عبرت بلاد مؤاب من أجل دخول سكان أحد مدنها . وقد كُتبت هذه الرسالة خلال الثلث الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد . ويُعتقد أن قبائل لحدرية هي التي ورد ذكرها كإحدى القبائل البدوية التي عبرت مؤاب من الشرق

٣ - المنشور أ Prism A وهو منشور سرجون الثاني (٧٢١ ٧٠٥ ق.م) .

٤ - منشور سنحاريب (٧٠٥ ٦٨١ ق.م) وهو منشور لمعهد الشرقي .

٥ - منشور ب Prism B وهو منشور إسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق م) .

٦ - ختم الاسطواني Cylinder C وهو ختم آشور بانيبال (٦٦٨ ٦٢٦ ق.م) .

وإلى غير ذلك من لوثائق والنصوص . نظر :

فوزي أحمد طوقان : المرجع لسابق ، ص ٤ وكذ

بليزر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) إلى حاكم مؤاب آنذاك ، والذي يُدعى " سلامانو Salamanu "[١]، وأشارت نصوص سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ق.م) إلى " كموسونادبي Kammusunadbi "[٢] كأحد ملوك أمورو في مؤاب . أما نصوص إسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) فذكرت ملك مؤاب في عهده ويدعى " موسوري Musurri "[٣] . في حين كان هناك ملك في مؤاب يُدعى " كماشالتا Kamashalta "[٤] في عهد آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م) ، وإن كان النص رقم ٨٧٦ من عهد آشور بانيبال أيضاً يذكر اسم ملك مؤاب موسوري[٥] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك مصادر مؤابية أصيلة عن مؤاب في لقرن التاسع قبل الميلاد ، كنقش الملك المؤابي ميشع (٨٧٠ - ٨٤٠ ق.م) أو ما أُصطلح على تسميته باسم " الحجر المؤابي "[٦] ، وهي فترة تاريخية بعيدة عن نطاق هذا البحث .

⇐ طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥٠٣ ، ص ٥٠٤ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٧ وكذا

Luckenbill , D D , Op Cit , Vol I , Inscription number 801 , PP 287 - 288 , Vol II , Inscription numbers 195 , 239 , 690 , 818 , 870 876 , P P 105 - 106 , 118 - 119 , 265 - 266 , 314 , 338 - 339 , 340 - 341

(١) Ibid , Vol . I , P 287 ,

Oppenheim , A L , " Babylonian and Assyrian Historical Texts - Texts From Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire " ANET , P 282

(٢) Luckenbill , D D , Op Cit , Vol . II , P 119 ,

Oppenheim , A L , Op Cit , P . 287

(٣) Luckenbill , D D , Op Cit . , Vol II , P 265 ,

Oppenheim , A L , Op Cit , P 291

(٤) Luckenbill , D D , Op Cit , Vol II , P 338 ,

Oppenheim , A L , Op Cit , P 298

(٥) Luckenbill , D D , Op Cit , Vol II , P 340 ,

(٦) الحجر المؤابي : أو مسلة الملك ميشع ، وهي قطعة من صخور سارلت الأسود ، وهي مسلة صغيرة نسبياً ؛ إذ تبلغ المسلة طولاً ٩٢ سنتيمتراً تقريباً ، وعرضها لا يزيد عن ٥٧ سنتيمتراً . تحوي ٣٤ سطراً . أما طول الأسطر فتتراوح ما بين ٢٩,٧ سنتيمتراً وبين ٥٦,٢ سنتيمتراً .

كان أول من سمع بالمسلة وحاول اقتناءها هو القس فردريك كلايس وذلك عام ١٨٦٨ م عندما اكتشفت في ديبان . وفي الوقت الذي كان يحاول فيه كلاين حصول على مئة قطعة ذهب تقريبية ثمنها . انتشر خبر هذه المسلة وسمعت به السفارة الفرنسية في القدس ، فتوجه أحد أفرادها وهو شارل كليرمون غانو ، والذي كان قد التحق بالسفارة سنة ١٨٦٧م، ووصل إلى ديبان ليحاول شراءها واقتناءها. وبعد أن شاهد غانو المسلة تتفق مع الأشخاص الذين عثروا عليه من أهل القرية أن يبتاعه منهم مقابل ستين جنيهاً استرلينياً ، ثم عاد إلى القدس لإحضار المبلغ بعد أن نقل لكتابة المنقوشة عليه بواسطة بصمة عنها . وكان من حسن الحظ حقاً أن غانو نسخ ⇐

وفيما يتعلق بالفكر الديني ، أو الناحية العقدية في مؤاب ، يقول فان زايل[1] :

« إن العلاقة ما بين سكان الأردن وبقية فلسطين واضحة ، وهذا ظاهر في الديانة المشتركة ، وفي التاريخ المشترك ، إضافة إلى اللغة المشتركة . ففي الديانة المؤابية هناك تكمن جذور الديانة الكنعانية وآلهتها وعبادتها . غير أنه من سوء الحظ أن المصادر عن الديانة المؤابية نادرة . لذلك لا نعرف الشيء الكثير من معتقداتهم فيما يتعلق بالموت ، والحياة ، وما بعد الموت ، واقتراف الذنوب ، وغيرها . ومع ذلك فإن معلوماتنا عن الديانة المؤابية في بداية التاريخ المؤابي هي أفضل بكثير عنها في أواخر هذا التاريخ ، لا بل إن ما نعرفه عن هذه الديانة في الفترة المتأخرة يُعتبر معدوماً ؛ لذا فإن معلوماتنا عن ديانتهم في الفترة الأخيرة تعتمد (أو تقتصر) على ما نعرفه عن هذه الديانة في المرحلة الأولى من تاريخهم ، وعلى التشابه الواضح مع الديانة الكنعانية » .

⇐ نص الكتابة ، إذ ما كاد يبارح المكان حتى بدأ الخصام بين الأهلين حول اقتسام النقود . وعمد بعض الأشخاص الذين طمعوا أن هذا الحجر يحوي كنزاً من الذهب فأشعلوا فيه النار ، ثم صبوا عليه ماء ، فتحطم وتناثرت أجزاؤه ، حتى أن بعضها ضاع نهائياً وعندما عاد الملحق الثقافي الفرنسي عانو لم يكن له إلا أن جمع ما أمكن جمعه من الأجزاء المتناثرة ، وحمله معه إلى القدس ، ومنها إلى فرنسا حيث أرسلها إلى متحف اللوفر بباريس ، وهي لا تزال هناك إلى الآن .

وكان شارل كليرمون عانو هو أول من حلّ رموز هذه المسلة وترجمها ، ثم توالت الترجمات والدراسات من قبل الباحثين والمتخصصين .

والراجح أن الملك ميشع ملك مؤاب أقام هذه المسلة تخليداً لانتصاره على بني إسرائيل عام ٨٤٢ ق.م . وهناك من يرى أنه ربما كُتبت بعد موت ملك إسرائيل أخاب (٨٦٩ - ٨٥٠ ق.م) وربما بعد رول بيت عُمري تماماً على يد ياهو (٨٤٢ - ٧٤٥ ق.م) . وهناك من يُرجع تاريخها إلى عام ٨٣٥ ق.م . نظر :

فوار أحمد طوقان : مسلة مشيع ملك مؤاب ، ص ١٩ وهامش (١) و (٢) ، ص ٢٠، ص ٢٥ ص ٢٦ وكذ

إسرائيل وهسون : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ص ١١١ وكذ

لويس مخلوف ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ص ١٦١ وكذ

محمد بيومي مهرن : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، دار المعرفة الجامعية ، لاسكندرية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢٢٣ هامش (٣٧) وكذا

لانكستر هاردنج : المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ص ١٢٨ وكذا

فان رايل : المرجع السابق ، ص ١٦٨ - ص ١٦٩ وكذا

Ginsburg , C D , The Moabite Stone , A Fac - simile of the Original Inscription , Second Edition , Reeves and Turner , London , 1872 , P. P 9 - 17 ,

Albright , W F . , " Palestinian Inscriptions - The Moabite Stone " , ANET , P P 320 - 321 ,

Cook , S A , " Israel and the Neighbouring States " , CAH , Vol III , 1976 , P P 372 - 373

(١) المؤابيون ، ص ٧٣ .

ومن ثم أرجع البعض ، ديانة المؤابيين إلى أنها كانت في حقيقتها ، ديانة كنعانية من خلال ظهور الأسماء الكنعانية مُتّحدةً مع بعض معبودات المؤابيين[١] .

ومما ورد في التوراة[٢] : ((فانطلق بَلْعام مع بالاق[٣] وأتيا إلى قرية حَصُوت[٤] . فذبَحَ بالاق بقراً وغنماً وأرسلَ إلى بَلْعام وإلى الرؤساء الذين معه . وفي الصباح أخذ بالاقُ بلعامَ وأصعدَهُ إلى مرتفعات بَعْل[٥] فرأى مِن هناك أقصى الشعب)) .

---

(١) Grohman, E D, Op Cit, P P 418 - 419,
Kennett, R H, Op Cit, P 761

(٢) سفر العدد ٢٢ : ٣٩ - ٤١ .

(٣) سيناقش الباحث إن شاء الله تعالى ، موضوع بعلام مع بالاق ملك مؤاب ، في الفصل الثاني من هذا الباب ، عند الحديث عن موقف مؤاب من بني إسرائيل .

(٤) قرية حَصُوت : هكذا وردت في النسخة العربية من التوراة ، ولم أجد لها ترجمة . غير أن النسخة الانجليزية للتوراة تذكر الموقع بنفس كرجاث - هوروث Kirjath - huzoth . انظر :

The Holy Bible, King James Version, Numbers 22 39, P 139

(٥) بعل : اسم ساميّ معناه " رب أو سيد أو روح " أو أن معناه " المالك ، والمتصرف ، وصاحب الأمر " ، وهو معبود كنعاني ، وكان في تصوّرهم هو المعبود إيل ، وروح معبودة بعلة أو عشيرة أو عشت أو عشتاروت . وكان يله المزارع ، ورب الحصاد في الحقول ، وفي الحيوانات والمواشي .

وقد أولع أهل الشرق القديم بعبادة بعل ، حتى أنهم كانوا يُضحّون الذبائح البشرية على مذابحه ، حسب ما أشار إليه سفر ارميا ١٩ : ٥ . وكانوا يختارون الأماكن المرتفعة كالجبال والتلال ذات المناظر الجميلة ، فيسود عليها الأشجار الخضرة المزهرة ، ويكرّسونها لمعبودهم . وقد كانت عبادة بعل عبادة عامة بين أهالي الشرق الأدنى القديم ، مما جعل له أسماء عديدة في كل منطقة ، لأن كل أمّة كانت تُسمّيه باسم يُعرف به عند قومها وكان الإسم من أسمائه ينتشر غالباً بعل وينتهي باسم تلك البلاد ، أو المدينة الموجود هو فيها ، أو بشيء يُنسب إليه نحو . بعل فغور ، وبعل حاصور ، وبعل حرمون ، وبعل صفون . انظر .

نصر عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٨١ وكذا

حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٣٤ ، ص ٥٦ ، ص ١٤٢ وكذا

ستيفن موسكاتي . المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ص ١٢١ ص ١٢٨ ، ص ١٨٤ ، ص ١٩٤ ، ص ٣٦٢ - ص ٣٦٣ وكذا

Luckenbill, D D, Op Cit, Vol II, Inscription number 587, P P 229 - 230,
Ginsberg, H L., " Ugaritic Myths, Epics, and Legends ", ANET, P P 129 - 144, 146 - 151, 153 - 155,
Wilson, J A., " Egyptian Historical Texts - The Egyptian and the Gods of Asia ", ANET, P P 249 - 250,
Reiner, E, " Akkadian Treaties From Syria and Assyria - Treaty of Esarhaddon with Baal of Tyre ", ANET, P P 533 - 534,
Drower, M S., " (b) Ugarit ", CAH, Vol II, part 2, 1975, P 153

ونص التوارة هذا لم يذكر لمن قُدّمت تلك القرابين ، ولكن يمكن التخمين أن الملك بالاق قام بتلك الطقوس للإله بعل ؛ إذ من غير المعروف إن كانت عبادة الإله بعل مقصورة على هذه المنطقة ، أم أنها كانت منتشرة في جميع بلاد سوريا وفلسطين[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه استعمال أسماء الآلهة المؤابية كأسماء للمدن المؤابية ، ففي (بيت – بعل – معن)[٢] كان اسم الإله المحلي بعل معون المبجل ، ولعل كلمة [الإله] أُعتبرت في السابق كمسكن أو خلوة ، أو مكان يختبئ فيه المُتعبّد ، أي حامي المتعبّدين[٣] .

وقد عُثر في مؤاب على تماثيل فخارية صغيرة ، تُمثّل شخصاً يمتطي حصاناً ، لعلها تشير إلى آلهة مؤابية وهي تمتطي صهوات الخيل ، وفي هذه الحالة فإنها تُمثّل الإله " عزيزو "[٤] ؛ لأن هذا المعبود قد صُوّر دائماً على شكل خيّال ، وإن كان الاحتمال

---

(١) فان رايل : المرجع السابق ، ص ٧٣ – ص ٧٤ .

(٢) (بيت بعل – معن) : ورد اسم هذا الموقع في مسلة ميشع ، سطر ٩ ، وسطر ٣٠ بلفظ " ب ت . ب ع ل م ع ن " ، وفي التوراة بلفظ بيت بعل معون ، حسب سفر يشوع ١٣ : ١٧ ، وبيت معون حسب سفر ارميا ٤٨ : ٢٣ ، وكذلك بعون حسب سفر العدد ٣٢ : ٣ . وتعرف اليوم باسم " ماعين " في المملكة الأردنية الهاشمية جنوب غربي مادبا بمسافة ٨ أكيال ، وتقع على المنحدر الشرقي الذي يُعرف بالصما حيث تقع حرمة عين ماعين . وتبعد ماعين عن حسبان مسافة ١٤ كيلاً إلى الجنوب الغربي . نظر :

فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٣٨ ، ص ٤٨ وكذ

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٨٤ وكذا

لويس مخوف : المرجع السابق ، ص ١٤٨ وكذا

لانكستر هاردنج : المرجع السابق ، ص ٨٩ وكذا

فان رايل : المرجع لسابق ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

(٣) فان رايل : المرجع السابق ، ص ٧٣ – ص ٧٤

(٤) عريزو : ورد أيضاً بلفظ " عريز " ، و" أريزوس " ، وهي صفة تدل على لقوة . ويُقصد بهذا لمعبود كوكب الزُهرة ، وهو نجم الصباح لذي يسبق الشمس قبل شروقها . واقتران اسم لإله عريزو عند أهل تدمر بالإله " أرصو " ، بصفتهما إلهان توأمان ، يمثّلان نجم الصباح ونجم المساء .

وقد ورد الاسم " عزيز " في النقوش اللاتينية مصحوباً باللقب " نونوس " أي صيد . وعلى حجر تدمري رُسِمَ عزيز في هيئة طفل . نظر :

لسعد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار لنهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٦٢ – ص ٤٦٣ وكذ

ديتلف نيلسن ، وآخرون : التاريخ العربي القديم – الديانة العربية القديمة ، ص ٢٢٢ – ص ٢٢٣ وكذا

ستينو موسكاتي : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ ، ص ٣٧٦ ص ٣٧٧ .

الأقوى أن هذه التماثيل المؤابية التي عُثر عليها في المواقع الأثرية ، تُمثّل آلهة الحرب المؤابية التي واجهت الأعداء وهي على صهوات الخيل[١] .

أما إلاهة الخصب ، وإلاهة الحمل ، فقد صُوّرت كدمى فخارية تحمل بين يديها رمز الخصب بشكل متقاطع مضموماً إلى صدرها ، وكان اسمها " عشتر كموش " كما في السطر السابع عشر من مسلة ميشع حيث وردت بلفظ ع ش ت ر . ك م ش[٢] .

إن هذا الاسم " عشتر كموش " المكوّن من اسم إله وإلاهة يدل على أن عشتر كانت تُعبد في مؤاب جنباً إلى جنب مع الإله كموش ، ولعل الصور التي تمثلها مسلّة البالوع ، تدل على أن هذين المعبودين ، قد بدأت عبادة المؤابيين لها في فترة مبكّرة ، تعود إلى الفترة التي بدأ المؤابيون فيها الاستقرار في هذه المنطقة[٣] .

ومن خلال مسلّة ميشع يتضح أن المعبود كموش ورد ذكره فيها أربعة عشر مرة في السطور : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٢ ، ٣٣ .

وهذا يدل على أن المعبود كموش كان هو المعبود الأكبر عند المؤابيين[٤] ، وكان يُمثّل إله مؤاب القومي ، تماماً كما كان يَهْوَه يُمثّل إله إسرائيل القومي[٥] .

والواقع أن اسم الإله عادة اسم قديم جداً ، وكل محاولة لتحديد معناه بدقة ستكون محاولة محدودة النجاح في ضوء المعلومات الموثقة الضئيلة ، لاسيما وأن دقائق الديانة المؤابية لازالت مجهولة على العموم ، وبالتالي الجهل في معنى اسم معبودهم[٦] .

---

(١) فان زيل : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٤١ ، ص ٤٢ وكذا
فان زايل : المرجع السابق ، ص ٧٥ – ص ٧٦ وكذا
Ginsburg, C D., Op Cit , P P 43-44 ,
Albright, W F , From the Stone Age to Christianity, P P. 280, 288

(٣) فان زايل : المرجع السابق ، ص ٧٦ وكذا
Kennett, R H., Op Cit., P 761

(٤) فان زايل : المرجع السابق ، ص ٧٧ وكذا
Drower, M S , Op Cit., P 137

(٥) Kennett, R H , Op Cit , P. 761

(٦) فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٣٢ .
وقد بذل فواز أحمد طوقان جُهداً مُضنياً في البحث عن اشتقاق اسم معبود المؤابيين كموش ، وعلاقته بالأسماء الأخرى . انظر :
المرجع نفسه ، ص ٣١ – ص ٣٢ .

إلا أن هناك رأي يتجه إلى أن كلمة كموش إنما تعني " إله الحرب " ، فهو الإله الذي أخضع الأعداء لعبادته ، ففي الأصل فإن كموش هو إله المجموعة الرئيسية من البدو الذين دخلوا البلاد في بداية التاريخ المؤابي ، وبما أن كموش قد منح البركة لأسلحة المؤابيين ، لذا فقد قُدِّس على اعتبار أنه إله الحرب ، فهو الذي منحهم هذه البلاد ، ومع مُضيّ الزمن صار هو الإله الذي يرعى كل مرافق الحياة ، بصفته الإله المؤابي الأعظم[١] .

أما التوراة ، فقد أشارت إلى إله المؤابيين كموش ، بل وأشارت إلى المؤابيين بِصِفَتِهم أُمّة كموش ، كما في النص : ((ويلٌ لكَ يا مُوآب . هَلَكْتِ يا أُمَّة كموش . قد صيّر بنيه هاربين وبناته في السَّبي لملك الأموريّين سيحون))[٢] .

وفي موضع آخر بصفتهم شعب كموش ، كما في النص : ((ويلٌ لكَ يا مُوآب . باد شعبُ كموش لأن بَنيك قد أُخذوا إلى السَّبي وبناتِكَ إلى الجَلاء))[٣] .

وذكرت التوراة أيضاً عن الإله كموش بأنه ((رَجَاسةِ الموآبيّين))[٤] .

هذا فضلاً عن مواضع أخرى في التوراة أشارت إلى كموش[٥] .

ويبدو أن معابد كثيرة قد أُقيمت لكموش في مدن مؤابية مختلفة[٦] ، مثل : ديبون ، وقريتن[٧] .

---

(١) فان زايل : المرجع السابق ، ص ٧٧ ص ٧٨ .

(٢) سفر العدد ٢١ : ٢٩ .

(٣) سفر ارمياء ٤٨ : ٤٦ .

(٤) سفر الملوك الثاني ٢٣ : ١٣ .

(٥) انظر :

سفر القضاة ١١ : ٢٤ ، سفر الملوك لأول ١١ : ٥ ، ٧ ، ٣٣ ؛ سفر ارمياء ٤٨ : ٧ .

(٦) فان زايل : المرجع السابق ، ص ٧٩ ص ٨٠

(٧) قريتن : ورد سم هذا الموقع في مسة ميشع في السطر ١٠ بلفظ " ق ر ي ت ن " (قريتن) . وورد ذكر هذه المدينة في التوراة بلفظ " قِريتايم " حسب ما جاء في سفر العدد ٣٢ : ٣٧ ؛ وسفر يشوع ١٣ : ١٩ . إلا أن فان زايل يعتقد بأنها " قريوت " وليس " قريتايم " ، لأن قريتايم كانت قرية من مادبا .

والراجح أن هذه المدينة كانت قرية من سيل هيدان الذي يصب في وادي الموجب ، وتعرف اليوم بخربة القريات على مسافة ٤ أكيال شرقي عطاروس . انظر :

فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٣٨ وكذا

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٧٢٩ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ١٢١ - ص ١٢٢ وكذا

Ginsburg, C. D , Op Cit., P 41

ويتجه رأي البعض إلى أن الملك في مؤاب كان بمثابة زعيم ديني ، بدليل أن بالاق أخذ زمام المبادرة عندما قُدّمت القرابين أمام بَلْعام ، حيث توسَّل إليه من أجل أن يُنزل اللعنة ببني إسرائيل ، فالاحتمال بأن رجال الدين ، هم الذين قاموا بمساعدته على حمل القرابين نحو المذبح ، حيث قاموا بطقوس تقديم القربان عندما طلب منهم الملك بعمل ذلك ، وهو ما يُشير إلى أنهم كانوا كهنة هياكل أصنام مؤاب ومذابحها[١] .

وقد كانت الثيران والكباش من بين القرابين التي يُقدّمها المؤابيون إلى معبوداتهم ، فقد جاء في نص التوراة : ((فقال بلعام لبالاق ابْنِ لي ههُنا سبعة مذابح وهيَّء لي ههُنا سبعة ثيران وسبعة كباش))[٢] .

وقد عُثر في خربة المُدَيّنَة[٣] ، وساليه[٤] ، على الكثير من الدمى الفخارية لكباش وعجول ، قد تكون لها علاقة بتلك القرابين المؤابية[٥] .

---

(١) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٢) سفر العدد ٢٣ : ١ .

(٣) خربة المُديّنة : هناك ثلاثة مواقع مؤابية أُطلق عليها هذا الاسم . الموقع الأول : يقع على مسافة ١٥ كيلاً إلى الجنوب والجنوب الشرقي من بلدة السماكية قرب الكرك ، ويمثل قلعة مؤابية أُقيمت فوق أرض جبلية تحيط بها الأودية العميقة من جميع الجهات . إلا من الجهة الغربية الجنوبية ، حيث شقّ المؤابيون خندقاً عميقاً لحماية بلدتهم .

الموقع الثاني : يقع إلى الشمال ، والشمال الشرقي من بلدة السماكية على مسافة ٥ كيال ، وهي قلعة مؤابية أُقيمت على حافة وادي المعرجة الذي يصب في وادي الموجب .

الموقع الثالث : يقع إلى الشمال من وادي الوالة . انظر :

محمود أبو طالب : المرجع السابق ، ص ٧٧ وكذا

لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٩٢ – ص ١٩٣ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ١٠١ – ص ١٠٢ ، ص ١١٢ ص ١١٣ ، ص ١٢٤ – ص ١٢٥ .

(٤) ساليه : يقع على الحدود الشرقية لمؤاب ، على الطرف الشمالي لوادي سالية . وقد اشتهر بأرضه الزراعية حيث كان مصدر مؤن تزوّد الحاميات المؤابية التي تعسكر في تلك الحصون . وقد عُثر في هذا الموقع على آنية ملوّنة فينيقية أو تشبه الفخار الفينيقي انظر :

فان زايل ، المرجع السابق ، ص ١١٤ – ص ١١٥ وكذا

Bartlett. J R., Op Cit., P. P. 51 - 52, 123

(٥) فان زايل : المرجع السابق ، ص ٨١ .

وبعد هذا العرض للفكر الديني ، أو الناحية العقدية عند المؤابيين ، تنبغي الإشارة إلى أن الأمر الطبيعي أساساً وأصلاً بالنسبة للبشر أن يكونوا عابدين لله تعالى ، حيث فطرهم الله عز وجل على العبادة منذ خلقهم ، وجعلها طبيعة فطرية لديهم . قال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين** ﴾[2] .

ومصداق الآيات الكريمة هي تطلّع الإنسان إلى المعرفة منذ طفولته ، وقبل وعيه وإدراكه . فالطفل يُلّح على والديه بأسئلة شتى عن الكون : لماذا تظهر الشمس في النهار وتختفي في الليل ؟ ولماذا يظهر القمر في الليل ولا يظهر في النهار ؟ ولماذا الشمس محرقة ونور القمر لا يُحرق ؟ لماذا تظهر النجوم في الليل ؟ وهكذا ... مما يدل على بدء تيقّظ الفطرة تلقائياً في النفس البشرية لدى الطفل ، بدون مُعلّم ، أو إيحاءٍ من أحد . فالفطرة تبحث عن هذا الكون وصانعه ، فيما حولها من مخلوقات كونية . إلا أن الشرك بالله عز وجل واتّخاذ غيره آلهة تُعبد من دونه ، ما هو إلا خلل يحدث في البشرية ، فتنحرف الأمّة عن الطريق السوي إذا طال عليها الأمد ، فتتخذ لأنفسها آلهةً صغيرة ، تعتقد بأنها تُقرّبها إلى الله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ **والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي مَن هو كاذبٌ كفّار** ﴾[3] . فيُرسل الله الرسل ليقولوا للناس : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[4] . ويدعونهم إلى نبذ الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً** ﴾[5] . وإلى وحدانية الله تعالى في العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ **فقال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾[6] .

---

(١) سورة الروم ، الآية (٣٠) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧٢) .
(٣) سورة الزمر ، الاية (٣) .
(٤) سورة البقرة ، الآية (٢١) .
(٥) سورة النساء ، الآية (٣٦) .
(٦) سورة الأعراف ، الآية (٥٩) .

فالانحراف عن عبادة الله تعالى وحده ليست حالة طبيعية في البشر ، إذ أن الطبيعي هو حب العبادة ، ولتوجه إلى الخالق عز وجل . وفي هذا المجال قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه :

« ... ، وإني خلقتُ عبادي حُنفاء كلهم ، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وَحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم ، وأَمَرَتْهُم أن يُشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطاناً »[1].

والدين الذي جاءت به الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ هو الاسلام الذي ارتضاه الله تعالى ديناً لعباده ، كما في قوله تعالى :

﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾[2] . وقال تعالى أيضاً : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[3] . وما من أمة من الأمم السابقة إلا جاءها منذرٌ من ربها ، أو رسول يُبيّن لهم أن الله عز وجل هو خالقهم ، ورازقهم ، ومحييهم ، ومميتهم ، وأنه وحده الذي يستحق العبادة ، ويُبيّن لهم أيضاً الهدى من الضلال ، والحق من الباطل .

وليس انحرافهم عن عبادة الله تعالى واتخاذهم آلهة من دونه يعبدونها لعدم معرفة منهم بذلك ؛ وإنما جحوداً واستكباراً ، كما أشار لذلك القرآن الكريم عند الحديث عن قوم هود عليه الصلاة والسلام ، عندما أُرسل إليهم ، وهو ما ينطبق على كل أمة تصد رسولها ، وتقف في وجه دعوته ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ **فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾[4] .

---

(١) الامام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٧ ، الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ص ١٩٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٨٥) .

(٤) سورة فُصلت ، الآية (١٥) .

وكما في قوله تعالى عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام :

﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظُلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **وما أهلكنا من قريةٍ إلا لها مُنذرون** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمةٍ إلا خلا فيها نذير** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد** ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ولكل أمةٍ رسول فإذا جاء رسولهم قُضي بينهم** ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله** ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ **وهمت كل أمةٍ برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل** ﴾[٧] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة[٨] .

ولاشك أن الله عز وجل قد أرسل إلى المؤابيين ، وغيرهم من الأقوام المجاورة لهم ، رسلاً أو أنبياء يُبلّغونهم دين الله الحق ، على الرغم من أنه لم يرد في القرآن الكريم أسماء الرسل أو الأنبياء الذين بُعثوا فيهم ، على غرار أسلوب القرآن الكريم في عرض الحقائق بالإجمال . إضافة إلى ما ورد في القرآن الكريم أيضاً من الإشارة إلى كثير من الرسل والأنبياء دون ذكر أسماءهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً • رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾[٩] .

---

(١) سورة النمل ، الآية (١٤) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (٢٠٨) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (٢٤) .

(٤) سورة النساء ، الآية (٤١) .

(٥) سورة يونس ، الآية (٤٧) .

(٦) سورة النحل ، الآية (٣٦)

(٧) سورة غافر ، الاية (٥) .

(٨) نظر : سورة الأنعام ، الآيات (٨٤ ، ٨٩) ؛ سورة المؤمنون ، الآية (٤٤) ؛ سورة القصص ، الآية (٢٣) ؛ سورة الروم ، لآية (٤٧) .

(٩) سورة النساء ، الآيات (١٦٤ ، ١٦٥) .

فالحُجَّة قائمة على المؤابيين بإرسال الله لهم رسول أو نذير ، لاشك أنه بَلّغهم رسالة ربهم ، وأدى الأمانة التي أُرسل من أجلها . إلا أن القوم كفروا وصدوا عن ذكر الله وعبدوا كموش وغيره من دون الله ، فكان عاقبة أمرهم خُسراً .

قال تعالى : ﴿ **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وكأين من قريةٍ عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نُكراً • فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خُسراً • أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً** ﴾[٣] .

وفيما يتعلق باللغة المؤابية ، فإنه طالما أن تاريخ وأصل المؤابيين ومنشأهم ، لازال في كثير من جوانبه مجهولاً ، فإن الأمر نفسه ينطبق على لغتهم وأصولها .

ولكن هناك محاولات من بعض الباحثين ، لربط اللغة المؤابية باللغات التي كانت معاصرة لهم مثل : الكنعانية ، والآرامية .

ففيما يتجه أحد الآراء إلى أن اللغة المؤابية كانت فرعاً من اللغة الكنعانية[٤] ، يتجه رأي آخر إلى أن لغة المؤابيين لهجة من اللهجات التي كُتبت بها التوراة ، وهي المعروفة عادة بالعبرانية ، وأن القرابة بين اللغتين الإسرائيلية والمؤابية مؤكدة ، وهي سامية قريبة من العربية[٥] .

ويرى آخرون[٦] ، أنه من خلال الحجر المؤابي فإن الكتابة المؤابية هي قريبة جداً من الكتابة العبرية القديمة والفينيقية .

ورأي آخر يذهب إلى الترجيح بأن هذه اللغة آرامية الأرومة ، متأثرة بالعبرية (بسبب الصلات الحربية) ، وبالآرامية الأم (بسبب الصلات التجارية والسياسية) ، ولكن يعسر تحديد مدى تمازجها أو استقلالها عنهما[٧] .

---

(١) سورة يونس ، الآية (٤٥) .

(٢) سورة هود ، الآية (٢١) .

(٣) سورة الطلاق ، الآيات (٨ - ١٠) .

(٤) نسيب وهيبة الخازن : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٥) نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الشرق الأدنى القديم - سورية ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ م ، ص ١٩٧ .

(٦) بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٢٩ .

(٧) فوار أحمد صوقان : المرجع السابق ، ص ٢٧ وكذا
محمد عبد السلام منصور : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

وصاحب هذا الرأي الأخير يقول في موضع آخر[١] :

« والحق ، أن لغة المؤابيين لغة عربية الأصل ، آرامية اللهجة ، تأثرت بما حولها من اللهجات السامية الأخرى كاللهجة العبرية ، حيث كان للمؤابيين اتصال حضاري رفيع بالآراميين ، وبالتالي تأثروا بالحضارة الآرامية ، والثقافة الآرامية بشكل كبير » .

وهناك رأي يذهب إلى أنه وفقاً لما جاء في الحجر المؤابي ، المكتوب بالابجدية الفينيقية ، فإن لغة المؤابيين في القرن الثامن قبل الميلاد كانت لغة فينيقية كنعانية في جوهرها ، وهي قريبة الشبه جداً باللغة العبرية[٢] .

ولكن يبدو أن تأثر اللغة المؤابية بالكنعانية من جهة ، والآرامية من جهة أخرى ، جعل لها فوارق وطوابع خاصة بها تُميزها عن العبرية . وبالتالي فأي لغة لها صلات وثيقة بجاراتها ؛ فمن الصعب تأكيد القول في أصلها[٣] .

أما كيفية النطق باللغة المؤابية ، فيقول فواز أحمد طوقان[٤] عن ذلك :

« أما كيف ننطق باللغة المؤابية فأمر ذو تعقيد وغموض . إننا نُنكر القول بأن قياس نطقها على غرار العبرية شأن نطق الأسماء المؤابية بالطريقة التوراتية مثلاً ، إنما هو قسر غير مرغوب فيه مثله مثل قسر المعلومات التاريخية المؤابية لتوافق سياق التوراة .

إن النطق باللغة العبرية ... متأثرة جداً بالآرامية والبابلية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ناهيك ببُعْد الزمن بين عبرية القرن الخامس بعد الميلاد (عندما ضُبط النص المازوري للتوراة) ومؤابية القرن التاسع ق.م . إن إفتراضاً شأنه التوفيق بين النطق بالمؤابية ، وبين النطق بالعبرية المازورية لهو افتراض مُبالغ فيه له نتائج عكسية » .

وعلى أي حال ، فإن المكتشفات الأثرية في منطقة مؤاب ، والتي قام بها عدد من العلماء مثل : نلسون جلوك ، ووليام فوكسويل البرايت ، وكراوفوت ، و ج. ماكسويل ميلر ، لازالت بحاجة إلى الدراسة المستفيضة من المتخصصين ، حتى يصلوا إلى النتائج العلمية الدقيقة .

---

(١) فواز أحمد طوقان : المؤابيون شعب ثار على الإحتلال ، ص ٥ ، ص ٦ .

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ٦٥ ، ص ٦٦ .

(٣) فواز أحمد طوقان . مسلة مشيع ملك مؤاب ، ص ٢٧ وكذا

Cook , S A , " Israel befor the Prophets " , CAH , Vol III , 1976 , P 420

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

وهذا ما دعا إليه أحد الذين قاموا بالتنقيب في منطقة مؤاب بقوله :

« بالرغم من أننا قمنا بمسح الجزء الشمالي من هذا السهل الواسع والمرتفع [يعني سهل مؤاب] فإن مكتشفاتنا ستحتاج إلى إعادة نظر من زوايا متعددة ؛ من النواحي التاريخية ، والجغرافية ، الخاصة بأسماء المواقع وأصلها »[1] .

(١) Miller , J M , Op Cit , P 171

الفصل الثاني

موقف تلك المجتمعات من بني إسرائيل

بعد انقضاء فترة التيه ، وهي أربعين سنة ، عقد موسى عليه الصلاة والسلام العزم على التوجه لفتح أرض كنعان ، الأرض المقدسة . وتقرر هذا الفتح أن يكون من جهة شرقي الأردن للهجوم على أرض كنعان من جهة الشرق .

ويبدو أن السبب في اتجاه موسى عليه الصلاة والسلام وبنو إسرائيل هذا الاتجاه هو صعوبة اختراق أرض كنعان من جهة الجنوب ، حيث القلاع المُحصّنة التي كانت تحمي الجزء الجنوبي منها ، الأمر الذي أرغمهم على أن يسلكوا طريق دوران طويل عبر منطقة شرق الأردن ، والتي كانت تُقيم فيها مجتمعات إدوم ، ومؤاب ، وعمون ، وغيرها ، والتي بدورها استاءت من ظهور جماعة غريبة ، متطفلة ومُسلحة[١] .

لقد وقف سكان منطقة شرق الأردن ، وهم سكان البلاد الأصليين ، موقفاً عنيداً ضد دخول بني إسرائيل إلى أراضيهم ، وبذلوا جهدهم في الدفاع عن ممتلكاتهم ، عندما أحسوا بالروح الحاقدة والعدوانية ، والنفس الشرهة الطامعة لِما في أيدي أهل البلاد الأصليين[٢] ، بل والتنافس الشديد بين قبائل بني إسرائيل للإستئثار بمنطقة دون الأخرى ، ومحاولتهم الاستيلاء عليها ، تم الاستقرار في أماكن معينة[٣] .

وقد أحرز بنو إسرائيل بعض الإنتصارات على اثنتين من ممالك شرق الأردن آنذاك ، وهي مملكة حشبون ، ومملكة باشان[٤] ، وبذلك استطاع بنو إسرائيل إحتلال الأراضي الزراعية الواقعة حول صحراء بلاد الشام ، مما كان له أثر كبير على مجرى التطور للعصور التاريخية التالية ، في نفس الوقت الذي أقبلت فيه تلك القبائل على الحضارة الكنعانية[٥] .

---

(١) أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، العربي للإعلان والنشر والطباعة ، دمشق ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٨٩ وكذا

محمود عباعة : المشكلة اليهودية وهل تحتها إسرائيل ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ١٥٩ وكذا

Anderson , B W , The Living World of the Old Testament , First Edition , Longmans , Green and Co , London , 1958 , P 66

(٢) محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربي في مختلف الأعصار والأدوار والأقطار ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، صيدا ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٢١١ .

(٣) فؤاد حسين علي : إسرائيل عبر التاريخ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ص ٥٨ ، ص ٥٩ .

(٤) سيأتي الحديث عن ذلك في موقف تلك الممالك من بني إسرائيل .

(٥) أحمد سوسة : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ وكذا

عبد الحكيم خير الدين الدنون : تاريخ فلسطين القديم والخفية الرائفة للصهيونية ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، سوريا ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٥٧ وكذا

أنطون مورتكات . تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان ، وعلي أبو عساف ، وقاسم طوير ، القسم الثاني ، مكان الطبع مجهول ، ١٩٥٠ م ، ص ٢٧٤ .

وعلى أي حال ، فقد تأكد لبني إسرائيل وهم في قادش ، أنهم لا يستطيعون دخول الأرض المقدسة إلا من جهة شمال البحر الميت ، لذلك أرسلوا الرسل إلى ملك إدوم يطلبون منه السماح لهم بالمرور عبر أراضيه .

موقف إدوم :

جاء في نص التوراة[1] :

« وأرسل موسى رُسلاً من قادش إلى ملك إدوم . هكذا يقولُ أخوك إسرائيل قد عرفت كلّ المشَقّة التي أصابتنا . إن آباءنا انحدروا إلى مصر وأقمنا في مصر أياماً كثيرة وأساء المصريون إلينا وإلى آبائنا . فصرخنا إلى الرب فسمع صوتنا وأرسل مَلاَكاً وأخرجنا من مصر وها نحن في قادش مدينةٍ في طرف تخومك . دعنا نمرُّ في أرضك . لا نمرُّ في حقلٍ ولا في كرمٍ ولا نشرب ماء بئرٍ . في طريق الملك نمشي لا نميل يميناً ولا يساراً حتى نتجاوز تخومك . فقال له أدوم لا تمر بي لئلا أخرج للقائك بالسيف . فقال له بنو إسرائيل . في السِّكة نصعد وإذا شربنا أنا ومواشيَّ من مائك أدفع ثمنه . لا شيءَ . أمرُّ برِجلَيَّ فقط . فقال لا تَمرُّ . وخرج أدوم للقائه بشعبٍ غفير وبيدٍ شديدة. وأبى أدوم أن يسمح لإسرائيل بالمرور في تخومه فتحوَّل إسرائيلُ عنه » .

وفي نصٍ آخر من التوراة[2] :

« ثم تحوّلنا وارتحلنا إلى البرية على طريق بحر سوف[3] كما كلمني الرب وَدُرْنا بجبل سعير أياماً كثيرة . ثم كلمني الرب قائلاً . كفاكم دورانٌ بهذا الجبل . تحوّلوا نحو الشمال . وَأَوْصِ الشعب قائلاً . أنتم مارّون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً لا تهجموا عليهم . لأني لا أُعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً . طعاماً تشترون منهم بالفضة لتأكلوا وماءً أيضاً تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا . لأنّ الربَّ إلهكَ قد باركك في كل عمل يدك عارفاً

(١) سفر العدد ٢٠ : ١٤ - ٢١ . وانظر :
سفر القضاة ١١ : ١٦ - ١٧ .

(٢) سفر التثنية ٢ : ١ - ٨ .

(٣) المقصود ببحر سوف هنا خليج العقبة .

مسيرك في هذا القفر العظيم . الآن أربعون سنة للرب إلهك معك لم يَنْقص عنك شيء . فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العربة على أيلة وعلى عصيون جابر ثم تحوّلنا ومررنا في طريق برية موآب » .

ونص التوراة الأخير يدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك قبل طلب الإذن من إدوم ، لكن إدوم لم يأذنوا لهم في المرور بتخمهم[١] .

إن روايات التوراة في النصين السابقين يظهر فيها التناقض الواضح ، وهذا مُبرِّراً كافياً للشك بأن القيمة الأدبية والتاريخية لتلك النصوص ، المتعلقة بهذا الأمر ، ليست في مجملها كما يجب أن تكون . فسفر العدد ٢٠ : ١٤ - ٢١ يشير إلى أن الإدوميين رفضوا مرور بني إسرائيل عبر أراضيهم ، بل وحصّنوا حدودهم ، وحشدوا الرجال ، ليعطوا تأكيداً عسكرياً لبني إسرائيل برفض عبورهم . أما في سفر التثنية ٢ : ١ - ٨ فلا يوجد فيه أثر لمثل هذا العداء ، مما يدعو إلى القول بأن ما ورد في السفرين يُعدّ سِجلاً غير متجانس[٢] .

وأمر آخر يدعو إلى الشك في نصي التوراة ، آنفي الذكر ، هو ما ورد فيهما من إشارة إلى " ملك إدوم " . فهل كان على إدوم ملك فعلاً ؟ .

لقد حاول البعض التوفيق بين نصوص التوراة المتضاربة . فيقول أحد مفسري التوراة :

« وهنا شُبهة وهي أنه يُفهم من سفر التكوين أن حكام إدوم كانوا امراء (سفر التكوين ٣٦ : ١٥ - ٣٠) ، وقيل هنا أن موسى أرسل رسلاً إلى ملك إدوم .

ويُدفَعُ ذلك بطريقين :

١ - احتمال أن الحكم الذي كان في إدوم في نبأ التكوين ، كان قد تغيّر وصاروا كلهم تحت حكم ملك واحد ، أو عدة ملوك (أو ملوك وامراء أو ملكٍ وامراء) .

٢ - أن الملك يُطلق على الأمير فيُدعى مرةً أميراً ومرة ملكاً »[٣] .

---

(١) وليم مارش : كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد لقديم ، ج ٢ ، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٣٦٥ .

(٢) Weippert , M , " Remarks on the History of Settlement in Southern Jordan during the Early Iron Age " , In Studies in the History and Archaeology of Jordan , Vol . I , Edited by Adnan Hadidi , Department of Antiquities , Amman , 1982 , P . 154

(٣) وليم مارش : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٢٩٨ - ص ٢٩٩ .

ومن الملاحظ أن الإشارات الدقيقة لأي ملك إدومي ، أو مدينة إدومية ، قليلة جداً في التوراة ، بل هي سمةٌ ظاهرة في الوصف التوراتي لإتصال بني إسرائيل بالإدوميين في زمن الخروج[١] .

واتجه أحد الآراء إلى أن الملك المذكور في سفر العدد وسفر التثنية السابقين ، قد يكون أحد زعماء المجموعات البدوية ، أو شبه البدوية ، أكثر منه حاكماً لمدينة محصنة أو حدود دائمة ، إذ يجب أن لا يُظن دائماً بأن الإشارات إلى لقب ملك أو مدن محصنة في هذه الروايات التوراتية تعني دائماً المعنى الحقيقي للإسم ، فالأمر لا يعدو أن زعيم إدوم رفض السماح لمجموعة شبه بدوية أخرى ، وهم بنو إسرائيل ، بالعبور من خلال مناطق رعيهم[٢] .

ولعل السبب في رفض الإدوميين السماح لبني إسرائيل بالمرور عبر أراضيهم ، يرجع إلى عوامل نفسية أكثر منها عوامل سياسية ، فالإدوميين كانوا يشعرون أن بني إسرائيل قد سرقوا حقهم في البركة أولاً ، ثم في البكورية ثانياً ، حسب ما أشارت التوراة[٣] ، هذا إن كانت رواية التوراة بشأنهما صحيحة ، ومن هنا أتى موقف الإدوميين من بني إسرائيل ، مما أثار عليهم حقد بني إسرائيل ، الأمر الذي تظهر آثاره بوضوح إبان التاريخ اليهودي القديم[٤] .

ومن المحتمل أن بني إسرائيل كان لا طاقة لهم بالإدوميين ، فآثروا السلامة على الاصطدام بهم في تلك المرحلة[٥] .

وعلى الرغم من ذكر التوراة لوصية الرب لهم : « لا تهجموا عليهم . لأني لا أُعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً »[٦] ، إلا أن

---

(١) Bartlett , J R . " The Rise and Fall of the Kingdom of Edom " , PEQ , January - June , One hundred and Fourth Year , 1972 , P 26 .

(٢) Bimson , J J , Redating the Exodus and Conquest , The Almond Press , Sheffield , 1981 , P . P 62 , 63

(٣) سفر التكوين ٢٧ : ١ - ٤٦ ؛ ٢٨ . ١ - ٩ .

(٤) محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢١٨ .

(٥) محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، صيدا ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٩١ .

(٦) سفر لتثنية ٢ : ٥ .

بني إسرائيل لم يحفظوا هذه الوصية ، إذ ناصبوا الإدوميين العداء فيما بعد ، ودارت الحروب بين الطرفين[1] .

ولما رفض ملك إدوم السماح لهم بالمرور خلال أرضه ، أشارت التوراة إلى ما قام به بنو إسرائيل ، « فارتحل بنو إسرائيل الجماعة كلُّها من قادش وأَتَوا إلى جبل هُور[2] .

---

(١) بناءً على ما ورد في التوراة ، فقد حارب شاؤل الإدوميين وفقاً لسفر صموئيل الأول ١٤ : ٤٧ ، وكذلك غزا داود إدوم وأقام عليها حراساً وفقاً لسفر أخبار الأيام الأول ١٨ : ١٣ ، وقد تنبأ بلعام بغزو إسرائيل لإدوم ، وفقاً لما ورد في سفر العدد ٢٤ : ١٨ .

وبعد أن غزا داود إدوم هرب أحد أمراء الأسرة المالكة في إدوم ، واسمه هدد ، إلى مصر ، وصار فيما بعد خصماً لسليمان حسب ما ورد في سفر الملوك الأول ١١ . ١٤ - ٢٢ .

وفي أثناء حكم يهوشافاط (٨٧٣ - ٨٤٩ ق.م) ، وبعد موت أخاب (٨٧٥ / ٨٧٤ - ٨٥٤ / ٨٥٣ ق.م) غزا الإدوميون ، والعمونيون ، والمؤابيون يهوذا . إلا أنهم أفنوا بعضهم بعضاً في حرب أثارها عليهم الرب ، وفقا لما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

وفي عهد أمصيا (٧٩٩ - ٧٧١ ق.م) قتل من الإدوميين عشرة آلاف نفس بأن طوَّح بهم من فوق قمة صخرة سالع ، فقتلهم في وادي الملح وأخذ سالع عاصمتهم ، حسب ما جاء في سفر الملوك الثاني ١٤ - ٧ ، وسفر أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ١١ - ١٢ .

وقد انتهج الإدوميون عندما خرب نبوخذ نصر القدس حسب ما أشار إليه المزمور ١٣٧ : ٧ . وقد تنبأ الأنبياء بالكوارث التي حلت بإدوم بسبب عدائها المرير لإسرائيل .

وبعد سبي السبطين بقيت أرض يهوذ خراباً ، فاستولى الإدوميون عليها حتى مدينة حبرون (الخليل) . وفي القرن الخامس قبل الميلاد طرد الأنباط الإدوميين من جبل سعير . انظر

بطرس عبد الملك ، وجون الكساندر طمسُن ، وإبراهيم مطر ، وآخرون : قاموس الكتاب المقدس ، الطبعة الثانية ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٠ .

(٢) جبل هُور : يقع عند حدود بلاد إدوم ، وهو الجبل المعروف بجبل هارون ، حيث تذكر التقاليد التوراتية أن هارون مات هناك . وهو على مسافة ٨ أكيال من البتراء ، ويبلغ ارتفاعه حوالي خمسة آلاف قدم . وهو يقع في زمن الخروج لا في سلسلة جبال سعير فحسب بل هو من إدوم كذلك ، ويُعدّ أعلى جبالها ، وأغلب الأمر أنه يقع على حدودها ، حسب ما ورد في سفر العدد ٢٠ : ٢٣ ؛ ٢٣ : ٣٧ ، على مسافة ٩٥ كيلاً من قادش . والواقع أنه ليس هناك طريق مباشر من قادش إليه على الصورة التي وردت في سفر العدد السابق ، فهو قمة من القمم على الخط من قادش إلى خليج العقبة على بُعْد حوالي ٥ أكيال من الطريق - ٢٤ كيلاً جنوب قادش في الطريق إلى الكونتيلة . وربما كان هو الذي يُعرف باسم جبل عرايف النجع . فيما يتجه رأي آخر أن جبل هور هو المعروف اليوم بجبل مديرة إلى الشمال الشرقي من قادش بمسافة ٢٤ كيلاً . انظر :

عبد الحميد محمود مطاوع : موسى كليم الله عليه السلام ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م، ص ١٦٨ وكذا

⇐

وكلم الرب موسى وهارون في جبل هور على تخم أرض إدوم قائلاً يُضَمُّ هارون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي أعطيت لبني إسرائيل لأنكم عصيتم[١] قولي عند ماء مريبة . خُذ هارون وألِعازَار ابنه واصعد بهما إلى جبل هور . واخلع عن هارون ثيابه وألْبِسْ ألِعازار ابنه إياها . فيُضَمُّ هارون ويموت هناك »[٢] .

وعبارة التوراة في السفر السابق « يُضمُّ هارون إلى قومه »[٣] إشارة إلى أن هارون عليه السلام سيموت في هذا الجبل ، ويلحق بالذين سبقوه إلى الدار الآخرة ، فَتنظَمُّ نفسُه الطاهرة إلى نفوسهم لا إلى مدفنهم[٤] .

وفاة هارون عليه الصلاة والسلام :

جاء في نص التوراة : « ففعل موسى كما أمرَ الرَبُّ وصَعِدوا إلى جبل هُور أمام أعين كُلِّ الجماعة . فخلع موسى عن هارون ثيابه وألبَس ألِعازَار إبنه إيّاها . فمات هارون هناك على رأس الجبل . ثم انحدر موسى وألعازار عن الجبل . فلما رأى كلُّ الجماعة أنَّ هارون قد مات بكى جميع بيت إسرائيل على هارون ثلاثين يوماً »[٥] .

وفي موضع آخر[٦] : « فَصَعِدَ هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السَّنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في لشهر الخامس في الأول من الشهر . وكان هارون ابن مائة وثلاثٍ وعشرين سنةً حين مات في جبل هور » .

. حبيب ميخائيل إبرهيم : مصر و لشرق لأدنى لقديم ، لجزء لثالث ، الشرق الأدنى لقديم سورية ، الطبعة الثالثه ، دار لمعارف ، لاسكندرية ، ١٩٦٦ م ، ص ٣١٢ وكذا

بصرس عبد لملك ، وآخرون : لمرجع لسابق ، ص ١٠٠٤ وكذا

لويس موسل : شمال بلاد العرب ، الجزء الأول ، شمال لحجاز ، ترجمة عبد لمحسن لحسيني ، مطابع رمسيس ، الاسكندرية ، ١٩٥٢ م ، ص ٤١ .

(١) وهذ لاشك غير صحيح على وجه ليقين ، د لا يمكن أن يعصي لرسول ربه ، فهذا من التحريف أو لزيادة لذي دخل لتورة .

(٢) سفر العدد ٢٠ : ٢٢ - ٢٦ .

(٣) سفر العدد ٢٠ : ٢٤ .

(٤) وليم مارش : المرجع لسابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٥) سفر لعدد ٢٠ : ٢٧ - ٢٩ .

(٦) سفر لعدد ٣٣ : ٣٨ - ٣٩ .

وفي موضع آخر[١] أيضاً: « وبنو إسرائيل ارتحلوا من أبار بني يعقان[٢] إلى موسير[٣]. هناك مات هارون وهناك دُفن . فَكَهَنَ أَلِعازَارُ ابنُه عِوَضاً عنه » .

وهناك روايات تاريخية وردت في بعض المصادر الإسلامية عن وفاة هارون عليه الصلاة والسلام ، منها رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن مُرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ : « ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ، إني متوفٍّ هارون ، فأتِ به جبل كذا وكذا . فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرةٍ لم يُرَ مثلها ، وإذا هما ببيتٍ مبنيّ ، وإذا هما فيه بسرير عليه فُرُش ، وإذا فيه ريحٌ طيّبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه ، فقال : يا موسى إني لأُحبُّ أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى : فنم عليه ، قال : إني أخاف أن يأتي ربُّ هذا البيت فيغضب عليَّ ، قال له موسى : لا ترهب أنا أكفيك ربَّ هذا البيت فنم ، قال : يا موسى بل نم معي ، فإن جاء ربُّ البيت غضب عليَّ وعليك جميعاً ، فلما ناما أخذ هارونَ الموتُ ، فلما وجد حسّه قال : يا موسى خدعتني ، فلما قُبض رُفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ، ورُفع السرير إلى السماء ، فلما رجع

---

(١) سفر التثنية ١٠ : ٦

(٢) آبار بني يعقان : تقع على حدود إدوم ، وربما تكون المعروفة باسم " البيرين " إلى الجنوب الغربي من بئر السبع على مسافة ٩ أكيال جنوب العوجة . أو أنه المكان المعروف باسم " لماين " على بُعد حوالي ٩٥ كيلاً من غربي جبل حور [هور] . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٥١ وكذا

وليم مارش المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ وكذا

يعقوب كامل الدجاني ، مصطفى درويش عدي ، فاروق عبد الحليم بدران ، محمد عبد العي المصري : موسوعة الوطن العربي للناشئين - بلاد الشام جنوب بلاد الشام (فلسطين والأردن) ، القسم الأول - البلدانيات ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٠ م ، ص ١٩١ .

(٣) موسير : وردت أيضاً بلفظ " مُسيرُوت " في سفر العدد ٣٣ : ٣١ ، وهي تعني رباط ، وهي محطة بني إسرائيل بالقرب من جبل هور ، ولم يُحدَّد مكانها على وجه التأكيد . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٣٣ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

موسى إلى بني إسرائيل ، وليس معه هارون قالوا : فإن موسى قتل هارون وحسده حُبّ بني إسرائيل له ، وكان هارون أكفَّ عنهم وألين لهم من موسى ، وكان في موسى بعض الغِلَظ عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم : ويحكم ! كان أخي ، أفترونني أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض ، فَصدَّقوه »[1] .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً** ﴾[2] .

وفي حديث علي رضي الله عنه أن الآية المذكورة نزلت في طعن بني إسرائيل على موسى بسبب هارون ، لأنه توجه معه إلى زيارة فمات هارون ، فدفنه موسى ، فطعن فيه بعض بني إسرائيل وقالوا : أنت قتلته ، فبرأه الله تعالى بأن رفع لهم جسد هارون وهو ميت ، فخاطبهم بأنه مات . وفي الإسناد ضعف ، ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون في الفريقين معاً لِصدْق أن كلاً منهما آذى موسى فبرأه الله مما قالوا . والله أعلم[3] .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي رضي الله عنه قال :

« صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون ، فقال بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلته ، كان ألين لنا منك وأشدّ حُبّاً ، فآذوه بذلك ، فأمر الله الملائكة فحملته فمرّت به على مجالس بني إسرائيل فعموا بموته »[4] .

---

(١) محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، الجزء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، دار سويدان ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م ، ص ٤٣٢ . وانظر :
علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير : الكامل في التاريخ ، الجزء الأول ، عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١١١ وكذا
محمد بن عبد المنعم الحميري : كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٩٨ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٦٩) .

(٣) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، راجعه وقدم له وضبط أحاديثه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، ومصطفى محمد الهواري ، والسيد محمد عبد المعطي ، ج ١٣ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ١٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٨ ، ص ١٥٢ - ص ١٥٣ .

وفي الحديث الصحيح عن مالك بن صعصعة الأنصاري رضي الله عنه في حديث المعراج بالرسول محمد ﷺ إلى السموات العُلى ، أن رسول الله ﷺ حدَّثهم عن ليلة أُسري به ، فقال رسول الله ﷺ :

« ... ، فأتينا السماء الخامسة ، قيل : مَنْ هذا ، قال : جبريلُ ، قيل : ومَنْ معكَ ، قيل : محمدٌ ، قيل : وقد أُرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً به وَلَنِعْمَ المجيءُ جاءَ ، فأتينا على هارون فسلّمتُ عليه ، فقال : مرحباً بك من أخٍ ونبيٍ ، ... »[1] .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **سلامٌ على موسى وهارون • إنا كذلك نجزي المحسنين • إنهما من عبادنا المؤمنين** ﴾[2] .

وعلى أي حال ، فقد واصل بنو إسرائيل سيرهم ، « وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم فضاقت نفس الشعب في الطريق . وتكلّمَ الشَّعبُ على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرّية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفُسُنا الطعام السخيف . فأرسل الربُّ على الشعب الحيّات المُحرقة فلدغت الشعب فمات قومٌ كثيرون من إسرائيل . فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الربّ وعليك فَصَلِّ إلى الرب ليرفع عنا الحيّات . فصلى موسى لأجل الشعب . فقال الربُّ لموسى إصنع لك حيةً محرقة وضعها على رايةٍ فكلُّ مَنْ لُدِغَ ونظر

---

(١) الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، ضبطه ورقمه ، وذكر تكرار مواضعه ، وشرح ألفاظه وجُمله ، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ، ووضع فهارسه مصطفى ديب لبغا ح ٣ ، لطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ص ١١٧٣ ، حديث رقم ٣٠٣٥ . وفي رواية مسلم اختلاف في اللفظ ، واتفاق في المعنى . انظر :

الإمام أبي حسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ح١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، ص ١٤٩ - ص ١٥٠ ، حديث رقم ٢٦٤ وكذا

الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، ح ٢ ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات ، ص ٢١٣ .

(٢) سورة الصافات ، الآيات (١٢٠ - ١٢٢) .

إليها يحيا . فصنع موسى حيةً من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حيةٌ إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا »[١] .

فهذا النص من التوراة يدل على أن بني إسرائيل ضاقت نفوسهم لشدة التعب من الدوران ، وما لاقوه من المصاعب ، ولو ساروا على خطٍ مستقيم ما ضاقت نفوسهم . وفوق ذلك استخفوا بالمنّ والسلوى الذي أُعطوه من السماء ، وتمرّدوا على الله وعلى موسى عليه السلام ، فسلط الله عليهم الحيات المحرقة[٢] ، إلى أن أعلنوا خطأهم وندمهم على ما تكلموا به ، وطلبوا من موسى أن يدعو الله بأن يرفع عنهم ذلك ، فصلى موسى لأجلهم ، ودعا الله هم[٣] .

يقول أحد المؤرخين[٤] :

وقد سار بنو إسرائيل في محاذاة التخوم الغربية لجبل سعير ، وللجزء الشمالي من إقليم حِسمي[٥] ، الذي كان بأجمعه مُلكاً لأهل مدين ، ومن حسمي اتبعوا الطريق الخارج من

---

(١) سفر العدد ٢١ : ٤ - ٩ .

(٢) الحيات محرقة : لظاهر أن المقصود بالمحرقة نوع من الحيات شديد السم . وهناك أقوال في معنى المحرقة ، فقد تكون تلك الحيات قد وصفت بذلك لحمرة رؤوسها ولمعانها كالنار . أو لشدة لمعان الشمس المنعكسة عن أبدانها . أو لأن لدغتها شديدة الإيلام كلدغ النار . انظر :

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠١ - ص ٣٠٢ .

(٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(٤) أويس موسى : المرجع السابق ، ص ٤١ ، ص ٥٥ .

(٥) حِسمي : بالكسر ثم السكون ، مقصور ، وهو أرض سهلية لبني ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يزرون جبل حسمي في غربيهم وفي شرقيهم شَرَوْرى ، وبين وادي القرى والمدينة ست ليالٍ .

وإقليم حسمي اسم قديم لسلسلة الجبال التي تمر غرب تبوك موغلة شمالاً حتى تدخل إقليم بشرة في الأردن ، والاسم اليوم يُطلق فقط على طرفها الجنوبي ، وكانت حسمي مساكن جذام ، وأعظم جبل بحسمي هو جبل اللوز الذي يرتفع ٢٠٩٨ قدماً .

ويتصل بإقليم حسمي حمىً محرّة لرهاة في مكان يُعرف بالرواية ، ومياه حسمي الشرقية في سهل تبوك ، والغربية تذهب إلى البحر الأحمر . انظر :

ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٥٨ - ص ٢٥٩ وكذا

عاتق بن غيث البلادي : رحلات في بلاد العرب في شمال الحجاز والأردن ، الطبعة الأولى ، دار المجمع العلمي ، جدة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٤٦ ، ص ٥٩ ، ص ١٢٧ - ص ١٢٨ وكذا

أويس موسى : المرجع السابق ، ص ١٣٣ - ص ١٣٩ .

ميناء إيلات وعصيون جابر متجهاً نحو شمال الشمال الشرقي عبر منطقة الشراة[١] الجنوبية ، إلى أن وصلوا إلى معان[٢] ، ثم من بعد ذلك إلى لشمال .

وحسب ما ورد في التوراة[٣] : « ثم ارتحلوا من حبل هور ونزلوا في صَلْمُونة[٤] . ثم ارتحلوا من صلمونة ونزلوا في فُونُون[٥] . ثم ارتحلوا من فونون ونزلوا في أُوبوت[٦] . ثم ارتحلوا من أوبوت ونزلوا في عَيّي عباريم[٧] في تخم مؤاب » .

---

(١) الشراة : هي الصدف الجنوبي من المنطقة الجبلية المعروفة باسم سعير ، والتي كثيراً ما تشير إليها التوراة . انظر :
ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٢) معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز ، من نواحي البلقاء . وهي اليوم من المدن الأردنية الهامة ، تبعد مسافة ٢١٦ كيلاً إلى الجنوب من عمان . انظر :
ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٥٣ وكذا
لويس مخلوف : الأردن تاريخ وحضارة آثار ، الطبعة الأولى ، المطبعة الاقتصادية ، عمان ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٣٣ .

(٣) سفر العدد ٣٣ : ٤١ - ٤٤ .

(٤) صَلْمونة اسم عبري معناه « مظلم أو ذو ظل » ، لعلها شرقي جبل هارون عند نثر مذكور انظر :
بطرس عبد الملك ، و آخرون : المرجع السابق ، ص ٥٤٧ .

(٥) فونون : إحدى المحطات التي توقف بها بنو إسرائيل قبل وصولهم إلى مؤاب ، ومن المعتقد أنها " فينان " الواقعة إلى الجانب الشرقي من العربة على مسافة حوالي ٩ أكيال إلى الجانب الشرقي من خربة نحاس ، وهي في منطقة أشتهرت بمعدني النحاس و لحديد . انظر :
بطرس عبد الملك ، وآخرون : لمرجع السابق ، ص ٧٠٠ وكذا
ألويس موسل : المرجع السابق ص ١٨ وكذا
Finegan , J , Light From the Ancient Past , The Archeological Background of Judaism and Christianity , Princeton University Press , Princeton , New Jersey , 1969 , P 152 .
Bartlett , J R , Edom and the Edomites , Sheffield , England , 1989 , P . 50

(٦) أُوبوت : اسم عبري معناه « قِرَب الماء » ، وهو اسم مكان بالقرب من حدود مؤاب الجنوبية الشرقية . ومكانها ليوم عين الوبية على الجانب الغربي من وادي العربة . انظر :
بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٢٨ وكذا
Bartlett , J R , Op Cit . , P P 49 - 50

(٧) عَيّي عباريم : اسم مؤابي معناه « خراب عباريم » ، وهو أحد الأماكن على حدود مؤاب الجنوبية ، وهو لذي يُسمى أيضاً في سفر العدد ٣٣ : ٤٥ باسم عييم ، وربما كان هذا الموقع هو المسمى " محاتي " إلى الشرق من " ذات الرأس " على مسافة ١١ كيلاً . انظر :
بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٥٤ وكذا
ألويس موسل : المرجع السابق ، ص ٥٦ وكذا
Bartlett , J R , Op Cit . , P P . 38 , 49 , 53 .

ويرى أحد المؤرخين[١] أن موسى عليه الصلاة والسلام اتجه بقومه من معان باتجاه البتراء ، ومن ثم إلى الجفر[٢] ، ثم إلى باير[٣] ، حتى وصل إلى نهر أرنون ، الحد الفاصل بين الأموريين والمؤابيين ، حيث أرسل موسى عليه السلام رسله إلى سيحون ملك الأموريين يستأذنه بالمرور عبر أراضيه .

جاء في نص التوراة[٤] :

« وأرسل إسرائيل رُسلاً إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً دعني أمرُّ في أرضك لا نميل إلى حقلٍ ولا إلى كرمٍ ولا نشرب ماء بئرٍ . في طريق الملك نمشي حتى نتجاوز تخومك . فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور في تخومه بل جمع سيحون جميع قومه وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص[٥] وحارب إسرائيل . فَضرَبه إسرائيلُ بحدِّ

---

(١) فودريك ح . بيك : تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، تعريب بهاء الدين طوقان ، الجزء الأول ، القدس ، بدون تاريخ ، ص ١٦ ، ص ١٧ .

(٢) الجفر : يقع شرق معان على مسافة ٥٥ كيلاً . انظر :

عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .

(٣) باير : موقع صحراوي يقع إلى الشرق من مدينة معان . وهذا الموقع يبعد عن الجفر مسافة ٧٠ كيلاً في شماله الشرقي ، وبه وادي باير الذي يتجه جنوباً ويصب في وادي السرحان في المملكة العربية السعودية انظر :

عاتق بن غيث البلادي : المرجع السابق ، ص ١٣٨ وكذا

يعقوب كامل الدجاني ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٤) سفر العدد ٢١ : ٢١ - ٢٦ . وانظر :

سفر التثنية ٢ : ٢٦ - ٣٧ ؛ سفر يشوع ١٢ : ٢ - ٣ ، ٢٤ : ٨ ؛ سفر القضاة ١١ : ١٩ - ٢٢ .

(٥) ياهص : اسم مؤابي معناه " موضع مدوس " ، وهي مدينة مؤابية قرب البادية ، وتدعى أيضاً يهصة ، حسب ما ورد في سفر يشوع ١٣ : ١٨ ؛ ٢١ : ٣٦ ، وسفر أخبار الأيام الأول ٦ : ٧٨ ، وسفر أرميا ٤٨ : ٢١ . ويعتقد البعض أنها تقع حوالي رقاء ماعين على مسافة ١,٥ كم ، وعلى مسافة ١٩ كيلاً شرقي البحر الميت. وتجدر الإشارة إلى أن النسخة الانجليزية للتوراة تذكر الاسم بلفظ جهاز Jahaz ، وهو قريب من لفظ " ياحور " وهو موقع شمالي شرقي مدينة صويمح الحالية . فيما حدد البعض موقعها في الزاوية الجنوبية الشرقية من مقاطعة سيحون ، بالقرب من ميدبا الواقعة شرقي البحر الميت في مجرى وادي أرنون الأعلى .

والراجح لدى البعض أن " ياهص " أو " يهصه " كانت تقع إلى الشمال الشرقي من ديبان . وتعرف اليوم بـ" عليان " . انظر :

فواز أحمد طوقان : " مسلة مشيع ملك مؤاب " ، حولية مديرية الآثار العامة ، العدد الخامس عشر ، عمان ، ١٩٧٠ م ، ص ٤٣ وكذا

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٠٤٩ وكذا

⇐

السيف وَمَلَك أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بني عَمّون . لأن تخم بني عمون كان قوياً . فأخذ إسرائيلُ كل هذه المدن وأقام إسرائيل في جميع مدن الأموريين في حَشْبُون وفي كلِّ قُراها . لأن حشبون كانت مدينة سيحون ملك الأموريين وكان قد حارب ملك موآب الأول وأخذ كلَّ أرضهِ من يده حتى أرنون » .

وعلى ذلك ، فإن سيحون ملك الأموريين دعا إلى محاربة بني إسرائيل فيما لو حاولوا عبور أراضيه ، بل انه انتقل من حشبون إلى الجنوب عبر الطريق الملكي حتى وصل إلى الناحية الجنوبية الشرقية باتجاه معسكر بني إسرائيل ، فجرت المعركة الحربية بين الطرفين في ياهص ، وكان الغلبة فيها لبني إسرائيل ، الذين بدورهم استولوا على مملكته ، وقضوا على قواته[١] .

إلا أن هناك رأي له أهميته ، وهو أن هذه المعلومات الواردة في التوراة عن سيحون الأموري ليست معاصرة لدخول بني إسرائيل منطقة شرق الأردن ، وأنها لا تعود إلى فترة القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، بل تعود إلى فترة متأخرة ، ربما كانت في القرن التاسع قبل الميلاد .

يقول و. ايسفلت[٢] :

أما مسألة سيحون الأموري (العموري) في حشبون ، فقد سبق إثارة نقاش جاد في محاولة لتوضيح أن الرواية التي وردت حوله في سفر العدد ٢١ : ٢١ - ٣٠ هي في الحقيقة

← فردريك ح. بيك : المرجع السابق ، ص ١٧ وكذا

فان زايل : المؤابيون ، تعريب وإعداد خير ثمر ياسين ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٠ م ، ص ١١٩ وكذ

Ginsburg , C D , The Moabite Stone , Afac - Simile of the Original Inscription , Second Edition, Reeves and Turner , London , 1872 , P . 44 ;

Smith , G A , The Historical Geography of the Holy Land , Twenty - Third Edition , Hodder and Stoughton Limited , London , P 559 , note 8 ,

The Holy Bible , King James Version , The Old Testament , American Bible Society , New York , 1988 , P 137

(١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٩١ وكذا

فان زايل : المرجع السابق ، ص ١١٩ - ص ١٢٠ وكذا

Smith , G A , Op Cit , P 560 ,
Anderson , B W . , Op Cit , P . 69 ,

Grohman , E . D , " Moab " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol . 3 , Edited by Buttrick , G . A , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , P . 414 .

Eissfeldt , O , " Palestine in the Time of the Nineteenth Dynasty - (a) The Exodus and (٢) Wanderings " , CAH , Vol II , Part 2 , 1975 , P 330

وصف لإنتصار إسرائيل على ملكٍ من مؤاب يُدعى سيحون في القرن التاسع قبل الميلاد ، فالقصيدة المُلحقة بالرواية في نفس السفر[١] ، والتي لسوء الحظ أن نصها قد أُتلف بصورة كبيرة ، مما جعلها دائماً تُفسَّر بطرق مختلفة ، تشير في الواقع إلى غزو إسرائيلي متأخر على حدود كانت في زمن القصيدة تابعة لمؤاب ، ولكن كانت تُحكم في الزمن السابق من قِبل الملك الأموري سيحون .

ولكن لا يتبع ذلك أبداً أن الرواية نفسها لا تستطيع حفظ مجموعة من الحوادث تعود لفترة استقرار بني إسرائيل في تلك الأرض ، وعلى العكس من ذلك فإن من المحتمل أن تكون دولة المدينة عاشت من الزمن المبكر ، مماثلة لدويلات المدن التي كانت في الفترة السابقة للإسرائيليين في غرب الأردن ، وقد دخلت ضمن الدويلات التي قامت خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد في العربة وشرقها ، وفي أجزاء من شرق الأردن ؛ أي بالقرب من إدوم ، ومؤاب ، وعمون . إن الطريقة المؤكدة التي يُسمى فيها سيحون ملكاً على الأموريين تدعم وجهة النظر هذه ، فمثل هذه الدويلة قد لا تكون من القوة بحيث تقاوم هجوم الإسرائيليين ، خاصة وأن شعب بني إسرائيل كان في قمة حماسه[٢] .

وهناك احتمال آخر يجب أن يدخل في الحسبان ؛ وهو أنه ربما نسب التراث نجاحاً حقّقَتهُ إحدى القبائل التي كانت مستقرة بجوار حشبون ، مثل قبيلة رأوبين أو جاد إلى مسير قبيلة يوسف خلال منطقة شرق الأردن باتجاه هدفها ، وهي الأرض التي تقع غرب الأردن . إذن فإن ذلك سيكون استخدام للرواية قُصد به إعطاء لنجاح لِتُضاف إلى وصف مسير قبيلة يوسف ، وهو بذلك ليس وصفاً تاريخياً ، وحتى بعد هذا ، فإن تقَدُّم هذه القبيلة سوف يحتفظ بمصداقيته التاريخية لسبب حاسم هو الإفتراض الهام بعبور هذه المجموعة للأردن[٣] .

---

(١) كما جاء في النص : « لذلك يقول أصحاب الأمثال . تعالوا إلى حشبون فتُبنى وتُصلح مدينة سيحون . لأن ناراً خرجت من حشبون . لهيباً من قرية سيحون . أكلت عار موآب أهل مرتفعات أرنون . ويلٌ لك يا موآب . هلكتِ يا أمة كموش . قد صيّر بنيه هاربين وبناته في السبي لملك الأموريين سيحون . نكن قد رميناهم . هلكت حشبون إلى ديبون وأخربنا إلى نوفح التي إلى ميدبا » . سفر العدد ٢١ : ٢٧ ٣٠ .

(٢) Eissfeldt , O , Op Cit , P 330

(٣) Ibid , P . 330

وورد في التوراة[١] :

« فأقام إسرائيل في أرض الأموريين . وأرسل موسى ليتجسس يعزير[٢] فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك » .

وهذا يدل على أن بني إسرائيل أقاموا في أرض الأموريين إقامة وقتية ، ولم يسكنوها دائماً ؛ لأن إقامة بعض قبائل بني إسرائيل بشكل دائم في شرقي الأردن كانت بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام[٣] .

وهناك موقف آخر أشارت إليه التوراة ، فقد جاء في النص[٤] : « ثم تحوَّلوا وصعدوا في طريق باشان[٥] . فخرج عُوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب

---

(١) سفر العدد ٢١ : ٣١ - ٣٢ .

(٢) يَعَزير أو يَعْزير : إحدى مدن جلعاد ، أُعطيت لجاد ثم لبني رأوبين ، حسب ما أشار لذلك سفر العدد ٣٢ : ١ ٥ ، وسفر يشوع ٢١ : ٣٩ . ويظن البعض أنها خربة جَزَر جنوبي السلط قرب " عين هزير " على وادي شعيب .

وهناك خربة مشهورة تقع إلى الجنوب من مدينة لسلط هي " خربة حزّير " على مسافة ٤ أكيال ، وفيها عين حزير السخية بمياهها العذبة . وعُثر في هذه المنطقة على أدوات فخارية تدل على أن تلك المنطقة كانت مأهولة في العصر الحديدي الأول والثاني .

ويعتقد و. ايسملت أن خربة يعزير كانت عبارة عن دولة مدينة تقع على بعد حوالي ٣١ كيلاً شمال حشبون (حسبان حالياً) . ويعتقد مارتن نوث أنها تقع في مكان ما ، دون أن يحدده ، في جبال شرق الأردن ، إلى الجهة الشمالية الشرقية من أقصى نهاية شمالية للبحر الميت . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٠٧٣ وكذا

لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ٩٢ وكذا

Eissfeldt , O , Op Cit , P 329 ;
Noth , M . , The History of Israel , SCM Press , London , 1983 , P 63

(٣) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٣

(٤) سفر العدد ٢١ : ٣٣ - ٣٥ . وانظر :

سفر التثنية ٣ : ١ - ٨ .

(٥) باشان : اسم عبري معناه " أرض مستوية أو مُمهّدة " ، وقد ذُكرت في التوراة والإنجيل نحو ستين مرة ، وهي منطقة في أرض كنعان تقع شرقي نهر الأردن ، وشمال شرقي بحيرة طبرية ، بين جبلي حرمون وجلعاد ، وسُمّيت باشان من جبل في تلك المنطقة حسب ما ورد في المزمور ٦٨ : ١٥ . وكانت باشان تشمل حوران والجولان واللجاه .

يحدّ باشان شمالاً أراضي دمشق ، وجنوباً أرض جلعاد ، وشرقاً بادية الشام ، وغرباً غور الأردن . ويحترف جانبها الشرقي جبل الدروز وهو جبل باشان القديم . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٥٩ وكذا

عبد الحكيم خير الدين ذا النون : المرجع السابق ، ص ١٣١ وكذا

حسن نعمة : من ذاكرة التاريخ مدن الشرق الأدنى القديم ، الطبعة الأولى ، شركة رشاد برس ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص ٧٠ وكذا

Noth, M., Op Cit , P. 159 .

في إدْرَعي[١] . فقال الرب لموسى لا تخف منه لأنّي قد دفعتُهُ إلى يدك مع جميع قومهِ وأرضه . فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون . فضربوه وبنيه وجميعَ قومه حتى لم يَبْقَ له شارد وملكوا أرضه)) .

إن النص التوراتي يدل على أن بني إسرائيل بعد انتصارهم على سيحون ، حفزهم ذلك الانتصار للتحرك شمالاً ، حيث قابلوا عوج ملك باشان ، وهزموه عسكرياً ، وبالتالي استطاع بنو إسرائيل فرض سيطرتهم على شريط كبير من أرض شرق الأردن ، مما شجّعهم عى الاستعداد ، وشعورهم باقتراب تحقّق هدفهم باجتياز نهر الأردن ، والهجوم على أرض كنعان من جهة الشرق[٢] .

وبالرغم من ذلك ، فإن مارتن نوث يذهب إلى أن الانتصار الإسرائيلي على عوج بالكاد يمكن تسميته حدث تاريخي[٣] .

ومما هو جدير بالذكر أن عوج ارتبط اسمه بكثير من المبالغات ، والأساطير ، والخرافات ، خاصة في كتب التفسير ، وكتب بعض المؤرخين القدامى .

ولاشك أن تلك الروايات والمبالغات لا يعدو كونها كذباً ، وبعيدة عن الحقيقة والصدق ، لا يمكن قبولها أو الأخذ بها .

يقول أحد المفسّرين[٤] : ((... وقد ذكر كثير من المفسّرين ههنا أخباراً من وضع بني إسرائيل في عظمةِ خَلْق هؤلاء الجبّارين ، وأن منهم عوج بن عنق طوله ثلاثة آلاف

---

(١) إدْرَعي : إحدى مدن باشان ، وفقاً لما ورد في سفر لتثنية ٣ : ١٠ ، وسفر يشوع ١٢ : ٤ ، ١٣ : ١٢ ، ٣١ . ذكرها ياقوت الحموي باسم " أُدْرِعات " وقال : هو بلدٌ في أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمّان . واسمها الحالي " درعا " على الحدود الحوبية لوادي اليرموك ، وفي الوادي المعروف باسم زيدة ، على مسافة ٤٦ كيلاً شرقي الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية ، وعلى الحدود بين الأردن وسوريا . ويوجد تحت السدة الحالية كهوف منقورة في الصخور ترجع إلى العصور القديمة . انظر :

ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٠ وكذا

الحميري : المصدر السابق ، ص ١٩ وكذا

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٤٢ وكذا

Smuth, G A., Op Cit, P. 576, note 2.

Noth, M., Op Cit., P. 159, note 2.

(٢) Anderson, B. W., Op Cit., P. 69

(٣) Noth, M., Op. Cit., P. 160.

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن لعظيم ، ج ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٨ .

ذراع و.... وهذا شيءٌ يُستحى مِنْ ذِكْره ، ثم هو مخالفٌ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله خلق آدم وطوله ستّون ذراعاً ثم لم يزل الخَلْق ينقص حتى الآن " .... ثم في وجود رجل يُقال له عوج بن عنق نظر . والله أعلم)) .

ويقول أحد المؤرخين[1] : ((... ولقد ولع القُصّاص بذلك ، وتغالَوا فيه ، وسطّروا عن عادٍ ، وثمود ، والعمالقة ، في ذلك أخباراً عريقة في الكذب ، من أغربها ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم بنو إسرائيل في الشام ، زعموا أنه كان لِطولهِ يتناول السَّمك من البحر ، ويشويه إلى الشمس ، ... وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا ، يشهد لذلك أبواب بيت المقدس ، فإنها وإن خُرّبت وجُدّدت لم تزل المحافظة على أشكالها ، ومقادير أبوابها ، وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار ، وإنما متار غلطهم في هذا أنهم استعظموا آثار الأمم ، ولم يفهموا حال الدُّوَل في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك ، وبالهندام من الآثار العظيمة ، فصرفوه إلى قوة الأجسام وشدّتها بِعِظَم هياكلها ، وليس الأمر كذلك ...)) .

وقال أحد العلماء[2] : ((وسواء أكان عوج بن عنق شخصية وُجدت حقيقة ، أو شخصية خيالية ، فالذي نُنكره هو ما أضفوه عليه من صفات ، وما حاكوه حوله من أثواب الزور والكذب ، والتجرّؤ على أن يُفسَّر كتاب الله بهذا الهراء ، وليس في نص القرآن ما يشير إلى ما حكوه وذكروه ، ولو من بُعْد ، أو على وجه الاحتمال ... ألا لعن الله اليهود ، فكم من عِلْمٍ أفسدوا ، وكم من خرافات وأباطيل وضعوا)) .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته طُولُه ستّون ذراعاً فلما خَلَقَهُ قال اذهب فَسلّم على أولئك النَّفر وهم نفرٌ من الملائكة جُلوسٌ فاستمع ما يُحيبونك فإنها تحيَّتُك وتحيّة ذريّتك ، قال فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله ، قال فزادُوه ورحمة الله قال فكل مَن يدخل الجنّة على صورة آدم وطوله ستّون ذراعاً فلم يزل الخَلْقُ يَنْقُصُ بعده حتى الآن))[3] .

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٧٧ ص ١٧٨ .

(٢) محمد محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، الطبعة الرابعة ، مكتبة السُّنّة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٨٧ .

(٣) النووي : المصدر السابق ، ح ١٧ ، ص ١٧٨ .

موقف مؤاب :

لمّا أدرك المؤابيون أن القوات الإدومية ، قد أرغمت بني إسرائيل على تغيير وجهة تقدّمهم ، والابتعاد عن إدوم ، حينها عدّ المؤابيون أنفسهم أعلى شأناً من بني إسرائيل ، أو على الأقل في نفس المستوى ، فعقدوا العزم على عدم السماح لهم بالمرور من أراضيهم أيضاً ، فأُرغم الإسرائيليون على البقاء إلى الشرق من إدوم ، وبالتالي السير إلى جهة الشمال دون دخول مؤاب . لذلك اتّسمت العلاقة منذ ذلك الوقت ما بين مؤاب وبني إسرائيل بالعداوة والبغضاء ؛ أي منذ أن اقترب الإسرائيليون من حدود مؤاب الشرقية الجنوبية عبر موقع عيي عباريم ، وحتى خروجهم من مؤاب متوجهين – فيما بعد إلى غزو فلسطين[١] .

وحسب ما جاء في التوراة ، فإن الرب أمر بني إسرائيل بعدم معاداة المؤابيين ، فقد جاء في النص : ((فقال لي الربُّ لا تُعادِ مُوآب ولا تُثر عليهم حرباً لأنّي لا أُعطيك من أرضهم ميراثاً))[٢] .

وقد ظلّت العلاقة ما بين المؤابيين وبني إسرائيل متوترة باستمرار ، ولم يحاول الإسرائيليون الالتحام أو الإقتتال مع المؤابيين . إلا أنه بعد أن انهزم سيحون الأموري في ياهص تغيّرت الأمور ، وعلى عكس ما توقّع المؤابيون ؛ فقد أنشد بنو إسرائيل الأناشيد التي كان يتغنّى بها قوم سيحون الأموريين ضد مؤاب[٣] ، وهذه الأناشيد يُطلق عليها أناشيد السخرية ، وقد قصد بنو إسرائيل بها الاستهزاء بالمؤابيين . وبذلك كشف الإسرائيليون عن نيّتهم المبطّنة تجاه مؤاب ورغبتهم في هزيمتها ، فانقطعت أواصر الصلة ما بين الطرفين ؛ لأن المؤابيين أدركوا ما يُبيّته بنو إسرائيل لهم ، وأن إنشاد أناشيد السخرية من قِبَلهم إنما كان بمثابة إعلان حالة الحرب[٤] .

وبعد أن زادت مخاوف المؤابيين من النوايا المبيّتة التي كان يُكنّها بنو إسرائيل لهم ، قام المؤابيون بعمل وقائي من شأنه إبطال الآثار المترتبة على انتشار أناشيد السخرية ،

---

(١) فان رايل : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) سفر التثنية ٢ : ٩ .

(٣) انظر : سفر العدد ٢١ : ١٧ – ١٨ .

(٤) فان رايل : المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ص ٣٤ ، ص ١٤٨ .

وأناشيد المصير ضدّهم ، ومن أجل ذلك طلب ملك مؤاب آنذاك بَالاق بن صِفُّور من الكاهن الأكبر بَلْعَام بن بَعُورَ الحضور للإجتماع مع الملك المؤابي في حضرة الحكماء من المؤابيين[1] .

ورد في التوراة[2] : ((وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب من عَبْرِ أُرْدُنّ أريحا . ولما رأى بَالاق بن صِفُّور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين فزع موآب من الشعب جَداً لأنّه كثيرٌ وضجر موآب من قِبَل بني إسرائيل . فقال موآب لشيوخ مديان الان يلحسُ الجمهورُ كلَّ ما حولنا كما يلحسُ الثور خُضْرة الحقل . وكان بالاق بن صفور ملكاً لموآب في ذلك الزمان . فأرسلَ رُسلاً إلى بَلْعَام بن بَعورَ إلى فَتُورَ[3] التي على النهر في أرض بني شَعْبَةِ ليدعوه قائلاً . هو ذا شعبٌ قد خرج من مصر هو ذا قد غشّى وجه الأرض وهو مُقيمٌ مقابلي . فالآن تعالَ والعن لي هذا الشعب . لأنه أعظم منّي . لعلَّهُ يُمكننا أن نكسِرَهُ فأطرُدهُ من الأرض . لأني عرفت أن الذي تباركهُ مُبَارِكٌ والذي تلعنه ملعون . فانطلق شيوخُ موآب وشيوخ مديان وحُلْوَانَ العِرَافَة[4] في أيديهم وأتوا إلى بَلْعام وكلّموه بكلام بالاق)) .

ولأهمية هذا الموقف ينبغي بيان شخصية بلعام ، وما ارتبطت به هذه الشخصية من أحداث تاريخية ، وردت حتى في المصادر الإسلامية ، خاصة في كتب التفسير والتاريخ .

قال تعالى : ﴿ **واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخَ منها فأتبَعهُ الشيطانُ فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلدَ إلى الأرض واتّبع هواه فمثلُه**

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٥ ، ص ١٤٤ .

(٢) سفر العدد ٢٢ : ١ - ٧ .

(٣) فُتور : يرى بعض العلماء أن مدينة فتور تقع قرب نهر الفرات على الشاطيء الغربي من النهر ، وقرب نهر الساجور على بُعد عدة أكيال من قرقميش (عاصمة الحثيين الشرقية والواقعة شمال شرقي سوريا حيث يعبر نهر الفرات من تركيا إلى سوريا) . وقد ورد اسم المدينة في النصوص البابلية والآشورية باسم بترو Pitru ، خاصة في نصوص الملك شلمنصّر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق . م) . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٧١ وكذا

Luckenbill, D D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol I, Green Wood Press, New York, 1968, P P 202, 218, 222,

Oppenheim, A. L., " Babylonian and Assyrian Historical Texts - Texts From Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire ", ANET, P 278;

Hogarth, D G., " The Hittites of Syria ", CAH, Vol III, 1976, P P 136, 140.

(٤) حلوان العرافة : الأجر الذي سيدفعونه له .

كَمثَل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مَثَلُ القوم الذين كذّبوا بآياتنا فَاقصُصِ القصَصَ لعلهم يتفكّرون • ساء مثلاً القوم الذين كذّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمون ﴾[1] .

جاء في تفسير الآية الكريمة الأولى : ((... ، وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجلٌ من المتقدّمين في زمن بني إسرائيل ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف . وقال علي بن أبي طلحة[2] عن ابن عباس : هو رجل من مدينة الجبّارين يُقال له بلعام ، وكان يعلم اسم الله الأكبر . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[3] وغيره من علماء السلف : كان مُجاب الدعوة ، ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إيه ... وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : لمّا نزل موسى بهم - يعني الجبارين - ومن معه ، أتاه - يعني بلعام - بنو عمّه وقومه فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنودٌ كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يُهلكنا ، فادعُ الله أن يردّ عنا موسى ومن معه ، قال : إني إن دعوتُ الله أن يردَّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي . فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله ما كان عليه))[4] .

وقريب من هذا ما ذكره شيخ المفسّرين الأوائل[5] ، بروايات مختلفة ، وأسانيد متغايرة .

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات (١٧٥ - ١٧٧) .

(٢) علي بن أبي طلحة : سالم ، مولى بني العباس ، سكن حمص ، أرسَلَ عن ابن عباس ولم يره ، من السادسة ، صدوق قد يُخطيء ، مات سنة ثلاث وأربعين . انظر :

أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ، قدّم له دراسة وافية وقابله بأصل مؤيفه محمد عوّامة ، الطبعة الأولى ، دار الرشيد ، سوريا ، حلب ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٤٠٢ ، ترجمة رقم ٤٧٥٤ .

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ، صعيف ، من الثامنة ، مات سنة ثنتين وثمانين . انظر :

ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ ، ترجمة رقم ٣٨٦٥ .

(٤) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

(٥) محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، حققه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر ، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، الجزء الثالث عشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٥٢ - ص ٢٧١ .

وعلى أي حال ، ففي الآيات الكريمة السابقة إعلامٌ بحال بلعام وما جرى له في إضلال الله إياه ، وإبعاده من رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه الإسم الأعظم ، لذي إذا سُئل به أعطى ، وإذا دُعي به أجاب ، في غير طاعة ربه ؛ بل دعا به على أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام[1] .

((فدلّت الآية ، لمن تدبّرها ، على ألاَّ يغترّ أحدٌ بعملهِ ولا بعلمه ؛ إذ لا يدري بما يُختَمُ له . ودلّت على منع أخذ الرشوة لإبطال حقٍّ أو تغييره ... وعلى منع التقليد لعالمٍ إلا بحُجّة يُبيّنها ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أعطى هذا آياته فانسلخ منها ، فوجب أن يخاف مثل هذا على غيره وألاّ يقبل منه إلا بحُجّة))[2] .

وقال محمد رشيد رضا[3] : ((وهذا لذي آتاه الله آياته من مُبهَمَات القرآن ، لم يُبيّن الله ، ولا رسوله في حديث صحيحٍ عنه اسمه ، ولا جنسه ، ولا وطنه ، لأن هذه الأشياء لا دخل لها فيما أنزل الله تعالى الآيات لبيانه)) .

إن ما ورد من روايات تفصيلية طويلة في قصة إنحراف وانهيار هذه الشخصية ، يجعل المرء لا يطمئن ، على الأقل ، لكل التفصيلات الواردة فيها ، وربما تكون من الإسرائيليات المدسوسة في كتب التفسير ، خاصة وأن في هذه الروايات من الإختلاف والاضطراب ما يدعو إلى زيادة الحذر . لذلك فإن الحق في ذلك عدم الخوض في شيء من هذه التفصيلات ؛ خاصة وأنه ليس في النص القرآني الكريم منه شيء ، ولم يرد عنه في الأحاديث المرفوعة إلى الرسول ﷺ شيء يُذكر ، وبالتالي يجب فهم ما يرمي إليه النص القرآني من أنه يُمثّل حال الذين يُكذّبون بآيات الله عز وجل بعد أن تُبيَّن لهم ، فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها[4] .

---

(١) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الرابع ، ج ٧ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٠٥ .

(٣) تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار ، ج ٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ١٩٧٣ م ، ص ٣٤٠ .

(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج ٣ ، الطبعة الثانية عشرة ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدّة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٣٩٧ .

أما المؤرخون المُحدَثون فقد تباينت وجهات نظرهم حول شخصية بلعام ، لعل أهمها رأيين اثنين .

الرأي الأول : أن بلعام كان نبيّاً .

يقول عباس محمود العقاد[١] : ((وفي أيام موسى عليه السلام كان العبريون يحتكمون إلى نبي من العرب يُقيم على نهر الفرات يُسمّونه بلعام ، ويظن بعضهم أنه مرادف لإسم لقمان . ويقول سفر العدد أنه حكم للعبريين على المؤابيين ، وأيّد نبوءات يعقوب)) .

وفي موضع آخر يقول أيضاً[٢] : ((... فإن بالاق ملك مؤاب قد استعان عليهم [يعني بني إسرائيل] بالنبي بلعام من نخوم العراق ، ليُبطل دعواهم بإسم النبوّة ، ويدحض أقوالهم بأقوال من قِبَلها ، فجاء بلعام وحكم بتفضيل عبادة الله على عبادة بعل الذي كان يومئذٍ معبوداً للمؤابيين)) .

ويتجه أحد المؤرخين[٣] إلى أن بلعام كان نبيّاً كنعانياً ، وزعيم قبيلة كنعانية تمارس عقيدة التوحيد ، وكان له مكانة روحانية كبيرة في أرض كنعان .

فيما يذهب مؤرخ آخر[٤] إلى أن بلعام كان من فتور على نهر الفرات ، وأن خبره شاع كثيراً حتى بلغ قبائل بعيدة ، وأنه كان نبيّاً حقاً ، مع أنه كان يشتغل بالعرافة والسحر بين الوثنيين . وبناءً على ما ورد في سفر العدد ٢٢ : ٥ يرى بعض المؤرخين[٥] أنه يُفهم من السياق أن بلعام كان نبيّاً مشهوراً في جيله .

الرأي الثاني : أن بلعام كان عرّافاً أو كاهناً .

وقد اعتقد هذا الرأي بعض المؤرخين[٦] في كون بلعام كاهن أو عرّاف سوري ، ممن

---

(١) لثقافة لعربية سبق من ثقافة ليونان و لعبريين ، الهيئة لمصرية العامة لكتاب ، لقاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٩٥ .

(٢) إبرهيم أبو الأنبياء ، دار نهضة مصر لمطباعة والنشر و لتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ص ١٥١ ص ١٥٢

(٣) أحمد سوسة : المرجع السابق ، الصفحات ح ح ، ر ر ، ص ٤٥٧ .

(٤) هنري نورتر : موسوعة مختصر التاريخ لقديم ، الطبعة لأولى ، مكتبة مدبولي ، لقاهرة ، ١٤١١ هـ ١٩٩١م. ص ١٢١ .

(٥) محمد عزة دروزة : لمرجع السابق ، ص ٩٢ وكذ

بطرس عبد لملك ، وآخرون . المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(٦) يوسف لدبس . مس تاريخ سورية لدبسي والديني . لمجلد الثاني ، بيروت ، ١٨٩٣ م ، ص ١٧١ ، ص ١٧٣ وكذ.

Albright, W F., From the Stone Age to Christianity, Second Edition, Doubleday Anchor Books, New York, 1957, P 14 ,

⇐

كانوا يزعمون أنهم متّصلون بالله عز وجل ، فيرجع إليهم بعض الناس في الظروف العصيبة ، والخطوب الشديدة ، للإستعانة بهم ، ظانّين أنهم يعلمون بعض الغيب . ويتجه البعض[١] إلى أن بلعام كان مؤابياً ويقيم في أرض مؤاب ، وأن ملك مؤاب أحضره من نهر الأرنون (الموجب) .

وتجدر الإشارة إلى أن التوراة في أحد أسفارها[٢] أطلقت على بلعام اسم العرّاف .

وفيما يتعلق بنتائج الحفريات الأثرية ، فقد عُثر في موقع " تل دير عَلاّ "[٣] على نص آرامي[٤] تمّ تدوينه على قصارة احدى الغرف ، يعود تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، أو القرن السابع قبل الميلاد ، وهو يعدّ أطول نص آرامي تم اكتشافه حتى الآن في الاردن وفلسطين . ويتعلق هذا النص برجل ديني هام هو " بلعام بار بؤور " وقد كان نبيّاً ، أو ادّعى النبوّة ، وكان ينافس الديانة الموسوية ، ويظهر من المكتشفات التي عُثر عليها والمعاصرة للنص بأن لهذا النبي ، أو معبده ، أتباعاً كثيرين ، وأنه اتّخذ من موقع تل دير علا مركزاً له[٥] .

Anderson, B. W., Op Cit., P 69 ;

Mendenhall, G. E., " Qurayya and the Midianites ", In Studies in the History of Arabia, Vol. II, Pre - Islamic Arabia, King Saud University Press, Riyadh, 1404 A. H / 1984, P 141 . ⇐

(١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٠٥ هامش (١) وكذا

Smith, G. A., Op. Cit., P 565 note (1)

(٢) سفر يشوع ١٣ : ٢٢ .

(٣) تل دير عَلاّ : يقع هذا التل في المنطقة الوقعة وسط الأغوار ، على مسافة ٦٦ كيلاً من عمان ، إلى الشمال من سيل الزرقاء . ولأهمية هذا الموقع قام الدكتور هاشم غوانمة مدير معهد الآثار الفلسطينية في جامعة لايدن الهولندية بأعمال تنقيب واسعة النطاق في الفترة من عام ١٩٦٠ م – ١٩٧٠ م . انظر :

لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ٦٧ – ص ٦٨

(٤) هذا النص الآرامي تمّ كتابته بالحبر الأسود تتخلله سطور حمراء ، وبعد أعمال الصيانة والترميم الصعبة التي أُجريت على قطع هذا النص فقد أمكن دراسته وتحليل محتوياته . وقد قام بدراسة هذا النص استاذ اللغات السامية بجامعة لايدن الدكتور هوفتهايزر بالاشتراك مع الدكتور جيرت فان ديركوي وصدرت هذه الدراسة باللغة الإنجليزية على شكل مجلّد كبير بعنوان معناه في العربية " الكتابات الآرامية من دير علا " . انظر :

معاوية إبراهيم : " التنقيبات الأثرية في دير علا " ، مجلة اليرموك ، العدد السادس ، جامعة اليرموك ، الأردن ، إربد ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٠ وكذا

معاوية إبراهيم : " أضواء على المكتشفات الأثرية في دير علا " ، مجلة اليرموك ، العدد الحادي عشر ، جامعة اليرموك ، الأردن ، إربد ، ١٩٨٤ م ، ص ٣١ .

(٥) لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ٦٨ وكذا

معاوية إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٣٠ – ص ٣١ وكذا

⇐

لقد كان بلعام بن بعور شخصية دينية آرامية رفيعة المقام ، كما يبدو من النص التورتي والنص الآرامي ، وقد بقيت ذكراه قائمة في الذاكرة الشعبية ، ثم انتقلت بطريقة ما إلى الرواية التوراتية ، حيث كانت ذكريات هذه الشخصية لروحية ، ما زالت حيّة ومتداولة ، بينما يفصل عصر بلعام التاريخي عن عصر الخروج حوالي خمسمائة عام[1] .

ويرى الباحث ، فيما يتعلق بهذه الشخصية ، أنه ليس من رهط الأنبياء ، لأن النبي معصوم من الوقوع في الخطأ والمعاصي ، وارتكاب الذنوب قبل النبوّة وبعدها . ((والله سبحانه وتعالى لا يصطفي لنبوّته إلاّ مَنْ عَلِمَ أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته))[2] .

ومن الأصول المحفوظة في التشريعة الإسلامية ، أن الأصل هو عدم إثبات النبوة لأحد ، ما لم يرد في ذلك نص صريح من القران الكريم ، أو من الحديث النبوي الشريف ؛ لأن النبوّة لا تكون إلا بأمر من الله تعالى ، وتكليف منه سبحانه وتعالى ، وليس في القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف ما يدل على نبوّة بلعام .

إضافة إلى ذلك ، يُخشى على المسلم الوقوع في المعصية والإثم والمحظور إذا اعتقد بأنه نبيّ ، رغم أنه ليس كذلك ، إذ لا يجوز في الشريعة الإسلامية الغرّاء إثبات نبوّة من ليس بنبي . وإذا صحّت روايات التوراة آنفة الذكر عن بلعام ، وما قام به من الدعاء على بني إسرائيل وبين ظهرانيهم رسول الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام فإن ذلك دليل آخر على عدم ارتباطه بالنبوّة .

والحق ، أن ما ذكره آنفاً ، القرطبي ومحمد رشيد رضا ، وسيد قطب رحمة الله عليهم جميعاً ، رأي حسن ، يزيد الباحث إطمئناناً في التوقّف عند ما تدل عليه الآيات القرآنية الكريمة ، دون الخوض في التفاصيل والروايات التاريخية التي ليس لها سند يقيني من القرآن الكريم ، أو السُّنّة النبوية المُطهّرة . وكل ما يمكن قوله عن هذه الشخصية أنه رجل آتاه الله عز وجل علماً ، فلم يعمل بعلمه ، بل خالف آيات الله وانسلخ منها ، وبدّل نعمة الله عليه ، فرفع الله عز وجل عنه تلك النعمة . فأتبعه الشيطان ، واجتاله عن الحق والهدى إلى الضلال والكفر . والله أعلم .

= فراس السّواح : أحداث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، سورية تاريخ ، ص ٢٤٦ وكذ

Bartlett, J. R., Op. Cit., P. 96

(١) فراس السّواح : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ وكذ

فراس السّواح : آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي ، الطبعة الأولى ، دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٥ م ، ص ٧٨

(٢) القرطبي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ج ٧ ، ص ٢٠٣ .

وعلى أي حال ، فإن طلب بالاق بن صفور ملك مؤاب من بلعام الحضور إليه ، من أجل أن ينطق باللعنة على بني إسرائيل ، يشير إلى اعتقاد في الأزمان القديمة ، بأن كلمات اللعن ، أو المباركة فيها القوة لإحداث النتيجة المرجوّة . وبسبب هذا الاعتقاد بقوة الكلمة المنطوقة ، فقد كان مطلوباً من بلعام عند حضوره أن يقف على تلّةٍ عالية ، بحيث يتمكّن من رؤية بني إسرائيل ، ويقول بقوة أعظم من أي قوة عسكرية ، حسب اعتقادهم ، اجعلهم ملعونين[١] .

وقد عمل بالاق ملك مؤاب على إقامة علاقة طيبة ما بين المؤابيين ، والقبائل الرحّل من المدينيين ، والتي كانت منتشرة إلى الشرق والشمال الشرقي من مؤاب ، إذ أدرك أنه بمحالفة تلك القبائل فإن ذلك سيساعده في التسريع برحلة بلعام من العراق ، وذلك بسبب سيطرة هذه القبائل على الطرق المتوجهة إلى بلاد الرافدين ، وأن بمقدورهم إقناعه بالحضور للإجتماع معه[٢] .

وقد أفاضت التوراة[٣] في الحديث عن تردّد بلعام في الذهاب إلى ملك مؤاب ، وطلبه من الوفد المؤابي والمديني إمهاله حتى يأذن له الرب في ذلك .

وقد جاء في نص التوراة أن الرب أذن لبلعام وقال له : ((إن أتى الرجالُ ليدعوك فقم اذهب معهم . إنما تعملُ الأمرَ الذي أكلّمُكَ به فقط . فقام بلعام صباحاً وشدَّ على أتانِه وانطلق مع رؤساء موآب))[٤] .

((فلما سمع بالاق أن بلعام جاء خرج لإستقباله إلى مدينة مؤاب[٥] التي على تخم

---

(١) Anderson, B W , Op Cit , P 69 .
Grohman, E D , Op Cit , P 414

(٢) فان زيل ، المرجع السابق ، ص ٣٦

(٣) سفر العدد ٢٢ : ٧ - ٣٥ .

(٤) سفر العدد ٢٢ : ٢٠ - ٢١

(٥) يُرجّح كثير من المؤرخين أن المقصود بهذه المدينة التي على تخم أرنون مدينة " عروعر " ، وهي تقع إلى الشمال من وادي الموجب ، على مسافة ٥ أكيال ونصف على يمين الطريق المتصدة من ديبان إلى الطريق الصحراوي . وقد ورد اسم عروعر في نقش ميشع ، سطر ٢٦ بصيغة ع ر ع ر . وترتفع عن سطح البحر ٧٥٠ متراً . وتمر الطريق الملكي في عروعر بعد أن تصعد من وادي الموجب متجهة إلى الشمال ، لذا فقد كان مهماً أن تُعسكر قوى الحاميات في هذا الموقع لحماية هذه المنطقة الرعية من هجمات القبائل البدوية ، وحماية الطريق الملكي . وقد وردت في التوراة باسم " عار " حسب سفر العدد ٢١ : ١٥ ، وسفر التثنية ٢ : ١٨ ، وسفر اشعياء ١٥ : ١ . وباسم " عروعير " في سفر التثنية ٢ : ٣٦ ، ٤ : ٤٨ ، وسفر يشوع ١٣ : ٩ ، وغيرها من الأسفار .

⇐

أرنون الذي في أقصى التخوم . فقال بالاق لبلعام ألم أُرسِل إليك لأَدعوَك . لماذا لم تأتِ إليَّ . أحقاً لا أقدرُ أن أُكرمك . فقال بلعام لبالاق . هأنذا قد جئتُ إليك . أَلعلّي الآن أستطيع أن أتكلّمَ بشيءٍ . الكلام الذي يَضَعُهُ الله في فمي به أتكلّم . فانطلق بلعامُ مع بالاق وأتيا إلى قرية حَصُوت . فذبح بالاق بقراً وغنماً وأرسل إلى بلعام وإلى الرؤساء الذين معه . وفي الصباح أخذَ بالاقُ بلعام وأصعده إلى مرتفعاتِ بعل فرأى من هناك أقصى الشعب))[1] .

وبعد حديث طويل ، وأعمال كثيرة طلبها بلعام من ملك مؤاب ، كما أشارت لذلك التوراة[2] ، من أجل أن يُنزل اللعنة ببني إسرائيل وهم مُقيمون في موقع " باموت بعل "[3] فوجيء بالاق وقومه بقول بلعام عن بني إسرائيل : ((مُبارِكُكَ مُبارَك وَلاَعِنُكَ مَلْعونٌ . فاشتعل غضبُ بالاق على بلعام وصفّق بيديه وقال بالاق لبلعام . لتشتِمَ أعدائي دَعَوْتُك وهوَذَا أنتَ قد باركتهم الآن ثلاث دَفَعَات))[4] .

← وقد قامت بعثة اسبانية بحفريات في هذا الموقع في سنة ١٩٦٤ م ، ١٩٦٥ م ، ١٩٦٩ م ، برئاسة الإسباني إميليو أولافاري ، أسفرت عن نتائج أثرية هامة . نظر .

فواز أحمد طوقان . المرجع السابق ، ص ٤٦ وكذا

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٨٨ وكذا

محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة أضواء جديدة (١٩٥٢ ١٩٧٧ م) ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والشباب ، عمّان ، ١٩٧٨ م ، ص ٨٨ – ص ٨٩ وكذا

لويس مخوف : المرجع السابق ، ص ١٦٣ وكذا

فاد زايل : المرجع السابق ، ص ١١٥ – ص ١١٦ .

(١) سفر العدد ٢٢ : ٣٦ ٤١ .

(٢) سفر العدد ٢٣ : ١ – ٣٠ ؛ ٢٤ : ١ – ٨ ، ١١ – ٢٤ .

(٣) باموت بعل : اسم عبري معناه " مرتفعات البعل " وهو مكان يقع شمالي أرنون ، وإليه أحد بالاق بلعام ، ومنه تظهر سهول مؤاب ، حسب ما ورد في سفر العدد ٢١ : ١٩ ؛ ٢٢ : ٤١ .

وقد ذكرت أيضاً باسم " باموت " دون إضافة بعل لها . وقد ورد ذكر هذا الموقع في مسلة ميشع في السطر ٢٧ بلفظ ب ت . ب م ت ، أي " بيت باموت " ، وكان يقع في حدود رأوبين . وقد ورد ذكره في سفر يشوع ١٣ : ١٧ بين ديبون وبيت بعل معون ، ويحتمل أن مكانه اليوم هو " خربة القويقية " على مسافة حوالي ٤ أكيال جنوبي جبل نبو . انظر :

فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٤٦ وكذا

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٦٠ وكذا

Ginsburg, C. D., Op Cit., P 47 ,
Smith, G. A., Op Cit., P 565

(٤) سفر العدد ٢٤ : ٩ – ١٠ . وانظر :

سفر التثنية ٢٣ : ٤ – ٥ ؛ سفر نحميا ١٣ : ٢ .

وفي بعض الروايات التاريخية أن بلعام عندما صعد على الجبل ، ورأى عسكر موسى وبني إسرائيل ((جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلاّ صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه : أتدري يا بلعم [هكذا] ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، واندلع لسانُه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت الآن منّي الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكرُ لكم وأحتال ، جَمِّلوا النساء وأعطوهنَّ السِّلع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع إمرأة نفسَها من رجلٍ أرادها ؛ فإنه إن زنى رجلٌ واحد منهم كُفيتموهم ، ففعلوا ...))[1] .

وهذا يدل على أن بلعام عندما عجز عن الدعاء على بني إسرائيل ولعنهم ، لأن فيهم رسول الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام ، أدرك أن الطريق إلى زعزعة قلوب بني إسرائيل تأتي بإغوائهم بالنساء حتى يقعوا في الفاحشة ، مما يترتّب عليه نزول العقوبة من الله تعالى عليهم . لذلك ، حسب تعبير أحد المؤرخين[2] ، نال بلعام بعد ذلك سُمعةً سيئة ، وأصبح يتفوّه بعبادة الأوثان ، والرذيلة ، وصار فيما بعد سبباً ومسئولاً عن إغواء بني إسرائيل .

وقد أشارت التوراة إلى هذا ، فقد جاء في النص[3] : ((وأقام إسرائيلُ في شِطّيم[4]

---

(١) الطبري : تاريخ الطبري ، ج ١ ، ص ٤٣٨ . وانظر :
علي بن الحسين بن علي المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٥٢ وكذا
ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٣ ص ١١٤ وكذا
ابن كثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ - ص ٢٦٧ وكذا
ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٢١ ، ص ٣٠٤ .

(٢) Cook, S. A., " The Rise of Israel ", CAH, Vol. II, 1940, P. 366

(٣) سفر العدد ٢٥ : ١ - ٥ .

(٤) شِطّيم : اسم عبري معناه " شجر السنط " ، وقد أقام في هذا المكان بنو إسرائيل في سهول موآب في شرق الأردن مقابل أريحا . وهو يقع من بيت يشيموت (وهي الواقعة إلى الشمال الغربي من البحر الميت ، أو أنها تل الرامة التي تبعد ٨ أكيال إلى الشمال الشرقي من مصب نهر الأردن ، أو أنها عين سويمة الحالية) إلى آبل شطيم مسافة طولها يزيد على ٥ أكيال ونصف . ويرى فان رايل أن شطيم هو " تل الكفرين " الذي يقع على ⇐

وابتدأ الشعبُ يزنون مع بنات موآب . فَدَعَوْنَ الشعب إلى ذبائح آلِهتهنَّ فأكل الشعبُ وسجدوا لآلهتهنَّ . وتعلّقَ إسرائيلُ ببعل فغور[1] . فحمي غضبُ الرب على إسرائيل . فقال الربُّ لموسى خُذْ جميع رؤوس الشعب وعَلّقهم للرب مقابل الشمس فيرتدّ حُمُوّ غضب الرب عن إسرائيل . فقال موسى لِقُضاة إسرائيل اُقتلوا كلَّ واحدٍ قومه المتعلّقين ببعل فغور)) .

وهذا النص يدل على أنه فوق وقوعهم في فعل الفاحشة ، فإنهم تعلّقوا بمعبود المؤابيين بعل فغور ، وأحبّوه وعبدوه ، والتصقوا به ، حتى اشتدَّ غضب الرب عليهم ، فأمر الربّ موسى أن يجمع قضاة بني إسرائيل ، ويُعلّقهم للرب مقابل الشمس ، أي لتشهيرهم وتعييرهم ، ومن ثم يقتلوا كلّ من تعلّق ببعل فغور من بني إسرائيل[2] .

والسجود لآلهة المؤابيين ، والفجور ببناتهم ، كان بمثابة رِدَّة منكرة ارتدّ بها بنو إسرائيل إلى عبادة الأصنام ، ولم يراعوا أو يحفظوا وصيّة ربهم ، وبين ظهرانيهم الرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام .

لذلك ، سلّط الله عز وجل عليهم الوباء عندما جاهروا بالكفر والمعاصي ، وارتكاب الفواحش دون خوفٍ من الله عز وجل .

⇐ بُعْد كيلين ونصف إلى الغرب من تل الحمام ، وإلى الشمال من وادي الكمرين . انظر .

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ - ص ٢٠٧ ، ص ٥٠٩ وكذا

فان رايل : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(١) بعل فغور : اسم معبود مؤابي كان يُعبد في جبل فغور في عصر موسى عليه الصلاة والسلام ، وقد ورد في التوراة في سفر التثنية ٣ : ٢٩ ؛ ٤ : ٤٦ ؛ ٣٤ : ٦ ، وسفر يشوع ١٣ : ٢٠ بإسم " بيت فغور " ، وبلفظ " بعل معورٍ " في سفر المزامير ١٠٦ : ٢٨ ، وفي سفر هوشع ٩ : ١٠ .

ويقع هذا المكان حالياً في الموقع المسمى " خربة الشيخ دشايل " على بعد ١٠ كيال إلى الغرب من منحدر الجبل المسمى فغور أو بعور . وهذه الخربة تُطل على جميع المنطقة المجاورة . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٨٤ وكذ

فان رايل : المرجع السابق ، ص ١٣١ وكذ

Noth, M., Op. Cit., P. 155.
Mendenhall G E., Op Cit., P 141

(٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٩٣ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ص ٣١٩ .

جاء في نص التوراة[١] : ((وإذا رجلٌ من بني إسرائيل جاءَ وقدّمَ إلى إخوته المِدْيانيَّة أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني إسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الإجتماع . فلما رأى ذلك فينحاس بن أَلِعازار بن هارون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رُمحاً بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القُبَّة وطعَنَ كليهما الرجل الإسرائيلي والمرأة في بطنها . فامتنع الوباءُ عن بني إسرائيل)) .

وأيضاً جاء في النص[٢] : ((وكان اسم الرجل الإسرائيلي المقتول الذي قُتل مع المديانية زِمْري بن سَالُو رئيس بيتِ أَبٍ من الشمعونيين . واسم المرأة المديانية المقتولة كُزبي بنت صُور . هو رئيسُ قبائل بيت أبٍ في مديان)) .

وهذه الروايات التوراتية أشارت إليها بعض المصادر التاريخية الإسلامية ، فقد ذكرها أحد المؤرخين الأوائل[٣] بقوله : ((فلما دخل النساء العسكر ، مرّت امرأة من الكنعانيين إسمها كستى ابنة صور - رأس أمته وبني أبيه مَنْ كان منهم في مدين ، هو كان كبيرهم - برجلٍ من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمرى بن شلوم ، رأس سبْط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالُها ، ثم أقبلَ حتى وقف بها على موسى ، فقال : إني أظنك ستقول : هذه حرامٌ عليك ! قال : أجل هي حرام عليك لا تقربْها ، قال : فوالله لا نُطيعك في هذا ، ثم دخل بها قُبّته فوقع عليها ، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمرْ موسى ، وكان رجلاً قد أُعطِيَ بسطةً في الخَلْق ، وقوةً في البطش ، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل ، فأُخبِرَ الخبر ، فأخذ حربته - وكانت من حديدٍ كلّها - ثم دخل عليهما القبّة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته - وكان بِكْر العيزار - فجعل يقول : اللهمّ هكذا نفعلُ بمَنْ يعصيك ! ورُفِعَ الطاعون)) .

---

(١) سفر العدد ٢٥ : ٦ - ٨ .

(٢) سفر لعدد ٢٥ : ١٤ - ١٥ .

(٣) لطبري . المصدر لسابق ، ح ١ ، ص ٤٣٨ .

وقد جانَبَ أحد المؤرخين[١] المُعاصرين الصواب عندما ذكر ((أن زمري بن سالو دخل إلى القبة (الخيمة) ومعه زوجته المديانية ، وأن فينحاس كانت غيرته للرب دموية جداً لم يتحرّج فيها عن القتل ، بل عن قتل اثنين : أحدهما من إخوانه بني إسرائيل ، وامرأة غريبة ضعيفة هي الزوجة المديانية . وأما مبرر هذا القتل فالعصبية العنصرية التي جعلت فينحاس الكاهن يرى في الزواج بأجنبية جريمة ما بعدها جريمة ، بل كان مُعاصريه من بني إسرائيل ، حسب هذه القصة ، يُسندون الأوبئة والطواعين التي تفتك بعشرات الآلاف من أبناء بني إسرائيل إلى الزواج بالأجنبيات)) .

والحق ، أن رواية التوراة آنفة الذكر ، ورواية الطبري أيضاً ، تؤكد أن تلك المرأة لم تكن زوجة لذلك الرجل الإسرائيلي ، وإلا لما قال له موسى عليه الصلاة والسلام : هي حرام عليك لا تقربها . فلو كانت زوجة له لما حرّمها عليه الرسول الكريم .

وقد ذكر علماء الحديث أن لوباء الذي سلّطه الله عز وجل على طائفةٍ من بني إسرائيل كان الطاعون ، جزاءً وفاقاً لما اقترفوه من ارتكابهم للفواحش ، وإعراضهم وصدّهم عن أوامر الله ، ومجاهرتهم بمعصيته .

روى عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه : أنه سمعه يسأل أُسامة بن زيد رضي الله عنه ، ما سمعت من رسول الله ﷺ في الطّاعون ؟ فقال أُسامة : قال رسول الله ﷺ : ((الطاعون رِجْزٌ أُرسِل على طائفةٍ من بني إسرائيل ، أو على مَنْ كان قَبْلكم ، فإذا سمعتم بأرضٍ فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها ، فلا تخرجوا فِراراً منه))[٢] .

---

(١) حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي صوره ومذهبه ، الطبعة الثانية ، دار القلم ودارة العلوم والثقافة ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢١٨ .

(٢) لإمام مالك بن أنس : موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ، كتاب الجامع – باب ما جاء في الطاعون ، ص ٥٠١ ، حديث رقم ١٦١٣ وانظر الأحاديث رقم ١٦١٢ ، ١٦١٤ وكذا
ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، كتاب الطب باب ما يُذكر في الطاعون ، ج ٢١ ، ص ٣٠٤

وفي الحديث الصحيح أيضاً عن أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((إنّ الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وإنّ الله مُستَخْلِفُكم فيها فينظُرُ كيف تعلمون ، فاتّقوا الدنيا واتّقوا النساء فإن أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء))[1] .

قال أحد المحدّثين[2] : ((وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أن الطاعون ينشأ عن ظهور الفاحشة ، أخرجه ابن ماجه والبيهقي بلفظ " لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم " ... وعند الحاكم بسندٍ جيد بلفظ " ولا ظهرت الفاحشة في قومٍ إلاّ سلّطَ الله عليهم الموت " . ولأحمد من حديث عائشة مرفوعاً : " لا تزال أُمّتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا ، فإذا فشا فيهم ولد الزنا أوشَك أن يعمّهم الله بعقاب " . وسنده حسن)) .

لذلك فإن عقوبة الله عز وجل نزلت ببني إسرائيل عندما فشا فيهم الزنا ، وإن صحّت رواية التوراة آنفة الذكر ، فلا عجب أن يكون قد عمّهم الله بعقاب من عنده ، فانتشرت فيهم الأوجاع والأوبئة حتى قضت على عددٍ كبير منهم .

ويظهر لي ، والله أعلم ، أن هذه الفتنة التي فُتِنَ بها بنو إسرائيل ، وهي ظهور الفاحشة فيهم ، على الرغم من أن موسى عليه الصلاة والسلام حيّاً بين ظهرانيهم ، قد تكون هي التي أخبر عنها الرسول الكريم محمد ﷺ في الحديث السابق ((فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) ، لذلك حذّر أُمّته من هذه الفتنة العظيمة التي توردهم المهالك .

وعلى أي حال ، فقد كان لعبادة المعبود المؤابي بعل فغور ، من قِبَل طائفة من بني إسرائيل ، ووقوعهم في عمل الفاحشة مع الفتيات المؤابيات أثر بالغ في حياتهم ، حيث عُدّ ذلك العمل خطيئة لا تُغتفر ارتكبها الإسرائيليون ، لم تمح آثاره الأيام ، ونتج عنه أن حقد

---

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، ص ١٩ ، حديث رقم ٤٩٢٥ وكذ
الإمام مسلم : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، كتاب الرقاق - باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة في النساء ، ص ٢٠٩٨ ، حديث رقم ٢٧٤٢ وكذ
النووي : المصدر السابق ، ج ١٧ ، ص ٥٥ .

(٢) بن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ٢١ ، ص ٣١٧ .

بنو إسرائيل على المؤابيين والمدينيين ، وظلت تلك الحادثة تتردد على مدى العصور ، وفقاً لما أشارت إليه التوراة[١] ، فكان ذلك سبب رئيس في الدعوة الإسرائيلية إلى عدم دخول نسل مؤاب في جماعة الرب إلى الأبد[٢] .

جاء في نص التوراة[٣] : ((لا يدخل عمونيّ ولا موآبي في جماعة الرّبّ . حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحدٌ في جماعة الرب إلى الأبد . من أجل أنهم لم يُلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ولأنّهم استأجروا عليكَ بلعام بن بعور من فتور أرام النهرين لكي يلعنَكَ . ولكن لم يشأ الربُّ إلهُكَ أن يسمع لبلعام فحوّل لأجلك الربُّ إلهُك اللعنة إلى بركة لأنَّ الربَّ إلهكَ قد أحبَّكَ . لا تلتمس سلامَهُم ولا خيرهم كلَّ أيامك إلى الأبد)) .

والمتبادر ، أن ما جاء في حق العمونيين والمؤابيين في هذا النص ، كان متأثراً بالوقائع التي جرت بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان ، حيث ذكرت الأسفار التي تؤرخ هذه الحقبة ، أنه صار يقع بينهم عداء وصدام وقتال ، على الرغم من نهي الرب لهم ، بعدم معاداة المؤابيين والعمونيين ومناصبتهم الحرب[٤] .

وبالرغم من العداوة التي تولّدت ما بين مؤاب وبني إسرائيل ، بعد الذي جرى في بعل فغور ، فإن الطرفين لم يلتحما ، ولم تنشأ أي معركة بينهما في ذلك الوقت ، وربما كان سبب ذلك ، أن مؤاب لم ترغب في الحرب ؛ بسبب أنها لم تستطع إبطال مفعول أناشيد السخرية والإرادة ، ونتيجة لذلك سمح المؤابيون لبني إسرائيل ، الذين حطّوا برحالهم في المنطقة الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن البقاء فيها . وربما كان السبب الآخر هو وجود أرض شاسعة هناك لم تكن مسكونة من أحد ، ولم تكن مؤاب قد استغلتها بعد[٥] .

---

(١) سفر العدد ٣١ : ١٦ ؛ سفر التثنية ٤ : ٣ ؛ سفر المراسير ١٠٦ : ٢٨ - ٣١ ؛ سفر هوشع ٩ : ١٠

(٢) فان رايل : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٣) سفر التثنية ٢٣ : ٣ - ٦ .

(٤) محمد عزة دروزة : لمرجع لسابق ، ص ١٠٥ .

(٥) فان رايل : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

موقف مدين :

يبدو أنه كان لقبائل أهل مدين موقفين من بني إسرائيل ، فبعض القبائل ربما كان لها علاقة صداقة مع موسى عليه الصلاة والسلام على اعتبار أنه تزوج بمرأة منهم ، وهي إبنة الشيخ الكبير . بينما قبائل أخرى أظهرت لعداء لبني إسرائيل ، حيث كانت تلك القبائل تخشى على أراضيها ، ومركزها التجاري في المنطقة[١] .

وقد مر سابقاً ، أن القبائل المدينية قد اختلطت مع كثير من القبائل الأخرى مثل : الإسماعيليين ، والعمالقة ، وغيرهم ، وبالتالي تعددت أماكن إقامة بعض قبائلهم .

ووفقاً لما ورد في التوراة[٢] ، فإن شيوخ أهل مديس ، تحالفوا مع بالاق بن صفور ملك مؤاب في أرض مؤاب الشمالية ، ضد موسى عليه الصلاة والسلام وبني إسرائيل .

وتذكر التوراة أيضاً أن الرب طلب من موسى عيه الصلاة والسلام إعلان الحرب على المدينيين ، لأن بنات مدين شاركن الفتيات المؤابيات في إغواء وإضلال بني إسرائيل عندما كانوا في شطيم .

جاء في النص[٣] :

« تم كَلّمَ الربُّ موسى قائلاً ضايقوا المديانيين واضربوهم . لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فغور وأمر كُزْبي أُختِهم بنتِ رئيسٍ لمديان التي قُتلت يوم الوباء بسبب فغور » .

ويذهب أحد مفسري التورة[٤] ، إلى أن المدينيين كانوا أنصاراً للمؤابيين في عداوتهم لبني إسرائيل ، وأنهم كانوا أكثر إغراءً هم للوقوع في فعل الفوحش ، فاشتدت نقمة الله على المدينيين ، حيث كانوا – حسب تعبيره – من أهل العناد والإرتداد والإغراء بالمعاصي . وأما المؤابيون ، وإن لم يُضربوا مع المدينيين ، فإنهم لم ينجوا من العقاب ؛ بأن أُخرجوا من جماعة لرب إلى الجيل العاشر .

---

(١) عبد لعزيز صالح . تاريخ شبه لجزيرة العربية في عصورها لقديمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، لقاهرة ، ١٩٨٨ م . ص ١٥٠ .

(٢) سفر لعدد ٢٢ : ٤ ، ٧ .

(٣) سفر لعدد ٢٥ : ١٦ ١٨ .

(٤) وليم مارش . المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٣٢١ .

وفي موضع آخر يقول أيضاً[١] :

والمحتمل أن المدينيين ، بما أنهم كانوا من نسل إبراهيم عليه السلام ، كان لهم من المعرفة والإمتيازات ما ليس للمؤابيين ، وكان بينهم مستنيرون وعقلاء كثيرون ، ولذلك كان ذنبهم أفظع من ذنب غيرهم من الأمم الأخرى ، فعقابهم شرٌّ من عقاب غيرهم .

جاء في التوراة[٢] :

« وكلّمَ الرّبُّ موسى قائلاً . إنتقم نقمةً لبني إسرائيل من المديانيين ثم تُضَمُّ[٣] إلى قومك . فكلّمَ موسى الشعب قائلاً . جَرِّدوا منكم رجالاً للجُنْد فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان . ألفاً واحداً من كلِّ سِبْط من جميع أسباط إسرائيل تُرسِلُون للحرب . فاختير من ألوف إسرائيل ألفٌ من كل سِبْط . اثنا عشر ألفاً مُجرَّدون للحرب . فأرسلهم موسى ألفاً من كل سبطٍ إلى الحرب هم وفينحاس بن ألِعازار الكاهن إلى الحرب وأمتعةُ القُدْس وأبواق الهُتاف في يده . فتجنّدوا على مديان كما أمر الربُّ وقتلوا كل ذكر . وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم . أَوِيَ وَرَاقِم وَصُور وَحُورَ وَرَابع خمسة ملوكِ مديان . وَبَلْعام بن بعور قتلوه بالسيف . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكلَّ أملاكهم . وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار . وأخذوا كلَّ الغنيمة وكلَّ النَّهب من الناس والبهائم . وأتوا إلى موسى وألِعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المَحَلّة إلى عربات موآب التي على أُردن أريحا . فخرج موسى وألعازار الكاهن وكلُّ رؤساء الجماعة لإستقبالهم إلى خارج المحلّة . فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جُند الحرب . وقال لهم موسى هل أبقيتم كلَّ أُنثى حيّةً . إنّ هؤلاء كُنَّ لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانةٍ للرب في أمر فغور فكان الوباء في جماعة الرب . فالآن اقتلوا كلَّ ذكرٍ من الأطفال . وكلَّ امرأةٍ عرفت رجلاً بمضاجعة ذكرٍ اقتلوها . لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكرٍ أبقُوهنَّ لكم حيّات » .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٣٣

(٢) سفر العدد ٣١ : ١ - ١٨ .

(٣) عبارة « تُضم إلى قومك » إشارة إلى قرب وفاة موسى عليه الصلاة والسلام .

وفي موضع آخر من التوراة[١] :

« وكلّ مدن السّهل وكلّ مملكة سيحون ملك الأموريين الذي مَلَكَ في حشبون الذي ضربه موسى مع رؤساء مديان أوي وراقم وصور وحور ورابع أمراء سيحون ساكني الأرض . وبَلْعام بن بعور العرّاف قتله بنو إسرائيل بالسيف مع قتلاهم » .

ومن هذا النص الأخير يظهر أن ملوك ، أو رؤساء ، أو أمراء مدين كانوا يسكنون في البلاد التي أخذها سيحون ملك لأموريين من المؤابيين ، بعد أن كان قد طردهم منها قبل مجيء بني إسرائيل ، وأقام في حشبون . لذلك فإن الراجح أن قبائل مدينية كانت قد صحبته من أرضها الأصلية ، واستقروا معه في الأرض التي أعانوه على امتلاكها ، لأن أولئك المدينيين كانوا من أهل البادية ، فلا يُتوقّع أنهم بنوا مدناً لأنفسهم هناك[٢] .

لذلك كان المدينيون المقيمون في هذه المنطقة ، هم الذين تلقوا الضربة القاسية ، إن صحت رواية التوراة في ذلك .

ويذهب جورج أدم سميث[٣] ، إلى أن بني إسرائيل شنوا تلك الحرب ضد المدينيين ، والتي كان من الصعب تحنبها في المنطق المجاورة للصحراء ، على الرغم من أنه لا توجد أي معلومات جغرافية حول هذه المعركة .

ويظهر من خلال نصّيّ التوراة السابقين ، أن الحرب التي شَنّها بنو إسرائيل ضد المدينيين ، والأوصاف التي وُصفت بها ، كانت عمية عسكرية ظالمة ، شديدة القسوة في أسبابهاوكيفيتها ، حيث فتكوا بهم ، فضلاً عن سبهم، وسبيهم، وتدمير المدن والحصون. وهذا مما يتنزه الله عز وجل عن الأمر به ، واعتبار نسبتها إليه من المآخذ التي تؤخذ على الأسفار ، وتدل على ما كانت تنطوي عليه نفوس بني إسرائيل من غلٍّ وحقدٍ وشرٍّ ضد غيرهم من الشعوب ، ولو لم يكن بينهم حالة عداء[٤] .

---

(١) سفر يشوع ١٣ : ٢١ - ٢٢ .

(٢) وبيم مارش : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ وكذ
لويس موسى المرجع السابق ، ص ٧٧ - ص ٧٨ وكذ

Landes , G M , " Midian " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol 3 , Edited by Buttrick , G A , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , P 376

(٣) Smith , G A , Op Cit , P 566

(٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

ولاشك في أن نسبتها إلى الله عز وجل ، وتسجيل سخط موسى عليه الصلاة والسلام على الرؤساء ؛ لاستبقائهم الأطفال والنساء على قيد الحياة ، مما يزيد العملية قسوة وبشاعة ، كان شديد التأثير في تأصيل فكرة القسوة في بني إسرائيل ضد الشعوب الأخرى، حيث يظهر ذلك جلياً في قتلهم بلعام بن بعور ، فكان ذلك مظهراً من مظاهر روحهم الجاحدة الغادرة ، بعد أن أنستهم ما كان من مخالفته لأمر ملك مؤاب ، ومباركته لهم ، بدلاً من لعنتهم ، فَسجّلوا بذلك تأصيلاً آخر لروح الجحود والغدر فيهم ضد من يُحسن إليهم[١] .

ومما لاشك فيه أيضاً ، أن ما ورد عن موسى عليه الصلاة والسلام في هذين النصين كذب وافتراء ، وأن الرسول الكريم براءٌ من ذلك كله ؛ فالخيال الإسرائيلي واضح إلى أبعد الحدود ؛ إذ هل كان بنو إسرائيل قادرين على سحق المدينيين إلى هذا الحد ؟ رغم ما عُرف عنهم من الجبن والذل والخنوع ، والتقاعس عن دخول الأرض المقدسة . فلا ريب أن شعب هذه أوصافه لا يستطيع أن يخوض المعارك ليدخل الأرض المقدسة ، فضلاً عن أن يغزو المدينيين ، ويجعل بلادهم خراباً[٢] .

فحاشا لله عز وجل ، وتنزّهت أسماؤه وصفاته ، أن يأمر عبده ورسوله بقتل الضعفاء من النساء والأطفال ، وحاشا لله أيضاً أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام قد أمر بذلك ، أو حتى يرضاه .

ومن المؤكد أن هذا الزعم هو من قِبل كُتّاب الأسفار ، الذين أسندوه إلى الله ورسوله ، ليُبرِّروا أساليبهم في القتل والتدمير ، وهو جزء من التحريف والتبديل الذي أصاب التوراة على أيديهم ، فغيّروا وبدّلوا حسب أهوائهم ، وما يتفق مع رغباتهم .

قال تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يُحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾[٣] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٩٦

(٢) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، في بلاد العرب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٠٥ ، ص ٣٠٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٧٥) .

وقال تعالى : ﴿ **من الذين هادوا يُحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **يُحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكروا به** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **يُحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أُوتيتم هذا فخذوه وإن لم تُؤتَوه فاحذروا** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون** ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ **وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾[٥] .

فهذه الآيات الكريمة تُبين أنهم حَرّفوا التوراة وغيّروها ، وأضافوا إليها من كلامهم ومزاعمهم ونسبوه ، زوراً وبهتاناً ، إلى الخالق جل وعلا ، على الرغم من أنهم يدركون أن ذلك كذبٌ على الله وافتراءٌ عليه ، وهم يعلمون أنهم كاذبون ، وأنهم قومٌ بُهْت .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٤٦) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (١٣) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٤١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٧٩) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٧٨) .

وفاة موسى عليه الصلاة والسلام :

لقد ورد في التوراة عدة إشارات تُنبئ موسى عليه الصلاة والسلام بدنوّ أجله .

جاء في النص[١] :

« وقال الرب لموسى إصعد إلى جبل عباريم[٢] هذا وانظر الأرض التي أُعطيتُ بني إسرائيل . ومتى نظرتها تُضَمُّ إلى قومك أنت أيضاً كما ضُمَّ هارون أخوك » .

فعبارة « تُضَمُّ إلى قومك » أي إلى من تُوفوا قبلك ، وصاروا إلى دار الأموات لا إلى مدفنهم ؛ بمعنى أن نفسه الخالدة ستَنتظمُّ إلى نفوسهم[٣] .

وفي نص آخر[٤] :

« وكلم الرب موسى قائلاً . انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تُضمُّ إلى قومك » .

وفي نص آخر[٥] أيضاً :

« وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً . اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نَبُو[٦] الذي في أرض مؤاب الذي قُبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أُعطيها لبني

---

(١) سفر العدد ٢٧ : ١٢ - ١٣ .

(٢) جبل عباريم : هو في الواقع سلسلة جبال في شرقي الأردن ، وقد سماها " عباريم " سكان غرب الأردن ، لأنها عبر النهر ، أي في الجانب الآخر وتمتد سلسلة جبال عباريم من وادي الكفرين (الواقع في المنطقة التي يُطلق عليها عربات مؤاب) في الشمال إلى وادي زرقاء ماعين ووادي الحسا في الجنوب . ولعباريم عدة قمم منها : نبو ، وهوشع ، وعجلون . وقد وقف موسى عليه السلام على جبل نبو وشاهد الأرض المقدسة . انظر :
طرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٥٩١ وكذا
فان زايل : المرجع السابق ، ص ١٣٥ وكذا
Bartlett , J . R . , Op . Cit . , P . 38

(٣) وليم مارش : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٤ ؛ ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٤) سفر العدد ٣١ : ١ - ٢ .

(٥) سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٢ .

(٦) جبل نَبُو : أحد جبال سلسلة جبال عباريم في شرق الأردن مقابل أريحا ، وعليه وقف موسى عليه الصلاة والسلام قُبيل وفاته ونظر إلى أرض كنعان . وقمة هذا الجبل اسمها " رأس الفسجة " . وقد ورد في نقش ميشع ، سطر ١٤ اسم بلدة مؤابية باسم نبو نبه . وتقع بالقرب من جبل نبو ، وهي حالياً تُسمى باسم " حربة المخيط " ، وتبعد عن عمان مسافة ٤١ كيلاً ، وعلى مسافة ٣ أكيال إلى الجنوب الشرقي من سياغة ، وحوالي ٨ أكيال جنوبي شرقي حسبان انظر :
فواز أحمد طوقان : المرجع السابق ، ص ٤١ وكذا
طرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩٥٣ - ص ٩٥٤ وكذا
لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٤٢ وكذا

إسرائيل مُلكاً . ومُت في الجبل الذي تصعد إليه وانضمَّ إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وَضُمَّ إلى قومه .... فإنك تنظرُ الأرض من قُبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أُعطيها لبني إسرائيل » . إلى غير ذلك من نصوص التوراة[١] .

إلا أن هناك نص في التوراة يُصرح بأن الرب دفنه في جبل نبو بعد أن صعد إلى هناك . وورد فيه[٢] :

« فمات هُناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه في الجِوَاء[٣] في أرض موآب مُقابل بيت فغور و لم يعرف إنسانٌ قبره إلى هذا اليوم . وكان موسى ابن مئةٍ وعشرين سنة حين مات و لم تَكِلَّ عينُه ولا ذهبت نَضَارتُه » .

وعبارة « و لم يعرف إنسانٌ قبره إلى هذا اليوم » الواردة في هذا النص ، تدل دلالة قاطعة على أن هذا النص ، مما أُدخل في التوراة ، في زمن غير زمن موسى عليه الصلاة والسلام ، على يد كاتب هذا السفر ، وهو من قبيل الزيادة التي إتسمت بها أسفار التوراة المحرّفة ، في مواضع كثيرة .

وهناك رأي جدير بالإهتمام ، أورده سيجموند فرويد[٤] يقول فيه :

« وفي سنة ١٩٢٢ م اكتشف إرنست سيلين اكتشافاً له أهمية حاسمة ، فلقد وجد في سفر النبي هوشع[٥] (في النصف الثاني من القرن الثامن) آثاراً لا تُخطيء لرواية تُفيد أن مؤسس ديانتهم موسى قد صادف نهاية عنيفة في تمرّد شعبه العنيد المشاكس ، لأنهم كانوا قد هجروا في ذلك الوقت الديانة التي أقامها .

= لانكستر هاردنج : آثار الأردن ، تعريب سليمان موسى ، الطبعة الثالثة ، وزارة السياحة و الآثار ، عمان ، ١٩٨٢ م ، ص ٨٦ وكذا

فان زيل : المرجع السابق ، ص ١٢٨ وكذا

Ginsburg , C D , Op Cit . , P 42 ;
Bartlett , J R , Op . Cit , P 68

(١) انظر : سفر التثنية ١ : ٣٧ - ٣٨ ؛ ٣ : ٢٧ ؛ ٣١ : ١ - ٢ .

(٢) سفر لتثنية ٣٤ : ٥ - ٧ .

(٣) الجِواء : أصل الكلمة العبرية هو " جي " ، وتعني بطن من الأرض أو وادٍ واسع ، فهو من جوى لا جمع جوّ ، وفيه دُفن موسى في أرض مؤاب . انظر :

بطرس عبد الملك ، وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ وكذا

وليم مارش : المرجع السابق ، ح ٢ ، ص ٥١٥ .

(٤) النبي موسى ورسالة التوحيد ، ترجمة ودراسة عبد المنعم الحفني ، الطبعة الأولى ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٥٩ .

(٥) سفر هوشع ١٢ : ١٢ - ١٤ .

... مثل هذه الأمور لا تُخترع بسهولة ، ولا يوجد دافع واضح يدفع صاحبها إلى اختراعها ، ... ويظن سيلين أن أرض [شطيم] شرقي الأردن هي الأرض التي يُشار إليها بوصفها مسرح هذا الفعل العنيف ، ... [أي] أن موسى قد قتله اليهود)) .

وهناك من يتجه هذا الاتجاه ، ويرى[١] أن موسى عليه الصلاة والسلام قد توفي في ظروف غامضة ، وأنه ربما مات شهيداً على أيدي بعض الكهنة من بني إسرائيل .

وقد ذهب أحد المؤرخين[٢] إلى أن الناس قد اختلفوا في تحديد مكان قبر موسى عليه الصلاة والسلام ، وأن المشهور – حسب رأيه – أنه يقع شرقي بيت المقدس ، بينه وبين بيت لمقدس مرحلة ، والدرب إليه عَسِرٌ لكثرة الوَعَر .

ولعل هذا الرأي قريب ممن ذهب إلى القول[٣] بأن الموقع الذي يُسمى " النبي موسى "[٤] بالقرب من أريحا ، يُعتقد أنه المكان الذي دُفن فيه موسى عليه الصلاة والسلام .

إلا أن بعض المؤرخين[٥] يُرجِّحون أن موسى عليه الصلاة والسلام دُفن في جبل نبو، في أحد الأودية القريبة من بيت فغور .

---

(١) داود عبد العفو سُقرط : جذور الفكر اليهودي ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان ، عمان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٠٥ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي المعروف بأبي اليُمن مجير الدين : الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ١٠٢ .

(٣) افرايم ومناحم تلمي : معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة أحمد بركات العجرمي ، الطبعة الأولى ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٠٥ .

(٤) النبي موسى : قرية تقع جنوب أريحا على مسافة ٣٢ كيلاً عن القدس ، وعلى مسافة ٨ كيلو شرقي الخان الأحمر (الذي يقع في برية القدس للجنوب من الكيلو ١٦ من طريق القدس – أريحا ، وفي منتصف الطريق بين القدس النبي موسى . ولإحمراره سُمي بالخان الأحمر) ، وحولي كيلين من طريق أريحا – القدس . انظر : محمد محمد شراب . معجم البلدان فلسطين ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣١١ ص ٣١٢ ، ص ٧٠٨ وكذا
افريم ومناحم تلمي : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٥) عبد الحميد محمود مطاوع : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ وكذا
محمود أبو طالب . المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ص ٢٤ ، ص ٧١ وكذا
حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ١٤ وكذا
فردريك ج . بيك : المرجع السابق ، ص ١٨ وكذا

Smith , G A , Op Cit . , P 565

والقرآن الكريم لم يرد فيه عن وفاة موسى عليه الصلاة والسلام أي ذكر . أما السنة النبوية المطهرة ، فقد ورد بين ثناياها بعض الأحاديث النبوية الصحيحة التي تشير إلى خبر وفاته .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاءَه صَكَّهُ[1] ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت ، قال : إرجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يدُهُ بكلّ شعرةٍ سنةٌ ، قال : أي ربِّ ؟ ثم ماذا ؟ قال : الموت ، قال : فالآن ، قال : فسأل الله أن يُدنيَهُ من الأرض المقدسة رمية حجر . قال أبو هريرة : فقال رسول الله ﷺ : لو كنتُ ثَمَّ لأريتُكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب[2] الأحمر »[3] .

وفي رواية أخرى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مَلَك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، قال : فرجع فقال : يا ربِّ ، إنَّ عبدك موسى فقأ عيني ، ولولا كرامَتَهُ عليك لشققتُ عليه ، فقال : إئتِ عبدي موسى ، فقل له : فليضع كَفَّهُ على متن ثور ، فله بكلِّ شعرةٍ وارت يده سنة ، وخيِّرهُ بين ذلك وبين أن يموت الآن ، قال : فأتاه فَخيَّره ، فقال له موسى : فما بعدُ ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذاً ، قال فَسَمَّهُ شَمّةَ قَبْضِ روحه . قال : فجاء بعد ذلك إلى الناس خُفْيةً »[4] .

---

(١) صكّهُ : ضربه ودفعه بقوة . انظر :

مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ج ١ ، وخرج إبراهيم أنيس ، وعطية الصوالحي ، وعبد الحليم منتصر ، ومحمد خلف الله أحمد ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م ، ص ٥١٩

(٢) الكثيب : الرمل المستطيل المحدودب ، ويُجمع على أكثبة ، وكُثُبٌ ، وكُثُبٌ ، انظر :

النووي : المصدر السابق ، ج ١٥ ، ص ١٢٨ وكذا

المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٧٧٧

(٣) الإمام البخاري ، المصدر السابق ، ج ١ ، كتاب الجنائز - باب مَنْ أحبَّ الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها ، ص ٤٤٩ ، حديث رقم ١٢٧٤ وكذا

المصدر نفسه ، ج ٣ ، كتاب الأنبياء - باب وفاة موسى وذكره بعد ، ص ١٢٥٠ ، ص ١٢٥١ ، حديث رقم ٣٢٢٦ وكذا

الإمام مسلم : المصدر السابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل - باب من فضائل موسى عليه السلام ، ص ١٨٤٢ ، ص ١٨٤٣ ، حديث رقم ١٥٧ ، ١٥٨

(٤) الطبري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٤ .

وفي رواية ثالثة أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« جاء ملكُ الموت إلى موسى عليه السلام فقال له : أجب ربَّك ، قال : فلطمَ موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، قال : فرجع المَلَك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني ، قال : فَرَدَّ اللهُ إليه عينه ، وقال : إرجع إلى عبدي فقل : الحياة تريدُ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثورٍ ، فما توارت يدُك من شعرة فإنك تعيشُ بها سنة ، قال : ثُمَّ مَهْ ، قال : ثم تموت ، قال : فالآن من قريبٍ ربِّ أمتني من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ . قال رسول الله ﷺ : والله لو أنّي عنده لأريتُكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر »[1] .

وفي شرح هذا الحديث الشريف ، قال لنووي[2] رحمة الله عليه :

« قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث ، وأنكر تَصوّره ، قالوا : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت . قال : وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة ، **أحدها** : أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم ، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد . **والثاني** : أن هذا على المجاز ، والمراد أن موسى ناظَرَهُ وحَاجَّهُ فغلَبَهُ بالحُجَّة . ويقال : فقأ فلانٌ عين فلان ، إذا غالبه بالحُجَّة ، ويقال : عَوَرْتُ الشيء إذا أدخلتَ فيه نقصاً . قال : وفي هذا ضعف لقوله ﷺ فَردَّ اللهُ عينه ، فإن قيل : أراد رَدّ حُجّته ، كان بعيداً .

والثالث : أن موسى ﷺ لم يعلم أنه مَلَك من عند الله ، وظَنَّ أنه رجل قصده يريد نفسه ، فدافعه عنها ، فأدّت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء ، وتؤيده رواية صَكَّهُ ، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازري والقاضي عياض ، قالوا : وليس في الحديث تصريح بأنه تَعمَّدَ فقء عينه ، فإن قيل : فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه مَلَك الموت ، فالجواب : أنه أتاه في المرة الثانية بعلامةٍ عَلِمَ بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى ، والله أعلم » .

---

(١) لنووي : لمصدر السابق ، ج ١٥ ، ص ١٢٨ - ص ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ - ص ١٣٠ .

ويرجح بعض علماء الحديث[١] أن مجيء ملك الموت إلى موسى عليه الصلاة والسلام في المرة الأولى كان بصورة آدمي ، وأن الله تعالى لم يبعث ملك الموت إليه وهو يريد قبض روحه حينئذٍ ، وإنما بعثه إليه إختباراً ، فما كان من موسى عليه الصلاة والسلام إلا أن لطمَ ملك الموت ؛ لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير إذنه ، ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن . لذلك فإن موسى عليه الصلاة والسلام دفعه عن نفسه ، لِما رُكِّبَ فيه من الحِدَّة ، إلا أنه استسلم لأمر الله تعالى عندما علم أنه ملك الموت ، في المرة الثانية ، وأنه جاءه من عند الله تعالى .

وقد يكون أجَلُ موسى عليه الصلاة والسلام قد قَرُبَ حُضورُه ، ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجَعتين ، فأُمِرَ بقبض روحه أولاً مع سَبْق علم الله أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة ، وإن لم يَطّلع ملك الموت على ذلك أولاً ، والله أعلم[٢] .

وقد يكون ملك الموت جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام بغير تخيير ، لأن الله عز وجل لا يقبض روح نبيٍّ حتى يُخيّره[٣] .

والتخيير للأنبياء والرسل الكرام يكون إما البقاء في الحياة الدنيا ، أو الإلتحاق بالرفيق الأعلى ، وهو اختيار جميع الرسل والأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« مررتُ على موسى ليلة أُسريَ بي عند الكثيب الأحمر وهو قائمٌ يُصلّي في قبره »[٤] .

قال النووي[٥] عند شرحه لهذا الحديث :

---

(١) ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ١٩٣ - ص ١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

(٣) القرطبي : المصدر لسابق ، المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

(٤) الإمام مسلم : المصدر السابق ، ج ٤ ، كتاب الفضائل - باب من فضائل موسى ﷺ ، ص ١٨٤٥ ، حديث رقم ١٦٤ . وانظر الحديث رقم ١٦٥ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

« قال القاضي عياض رحمه الله ... وقد تكون الصلاة هنا بمعنى الذّكر والدعاء ، وهي من أعمال الآخرة ، ... فإن قيل : كيف رأى موسى عليه السلام يُصلّي في قبره ، وصلى النبي ﷺ بالأنبياء ببيت المقدس ، ووجدهم على مراتبهم في السموات ، وسلّموا عليه ، ورَحّبوا به ، فالجواب : أنه يُحتمل أن تكون رؤيته موسى في قبره عند الكثيب الأحمر كانت قبل صعود النبي ﷺ إلى السماء ، وفي طريقه إلى بيت المقدس ، ثم وجد موسى قد سبقه إلى السماء . ويحتمل أنه ﷺ رأى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وصلى بهم على تلك الحال لأول ما رآهم ، ثم سألوه ورحّبوا به ، أو يكون إجتماعه بهم وصلاته ورؤيته موسى بعد إنصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى ، والله أعلم » .

ويرى أحد المؤرخين[1] أن صلاة موسى عليه الصلاة والسلام في قبره ، لم تكن بحُكْم التكليف ؛ بل بحُكْم الإكرام والتشريف ، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حُبِّب إليهم في الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة ، فكانوا يُلازمون ذلك ، وتوافقوا عليه ، فَشَرَّفهم الله تعالى بإبقائهم على ما كانوا يصنعون ويُحبّون فِعْلَهُ في الدنيا ، فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها .

وعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ قد علم قبر موسى عليه الصلاة والسلام ، ووصف موضعه ، ورآه فيه قائماً يُصلّي ، كما في حديث الإسراء ، إلا أنه يُحتمل أن يكون أخفاه الله تعالى عن الخلق سواه ، ولم يجعله مشهوراً عندهم لئلا يُعبد من دون الله[2] .

وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة فَلِشَرَفها ، وفضيلة مَنْ فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم ؛ فسأل موسى ربَّه الإدناء من الأرض المقدسة قَدْرَ ما يبلغه رمية الحجر ، ولم يسأل نفس بيت المقدس ؛ لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس . وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة ، والمواضن المباركة ، والقرب من مدافن الصالحين[3] .

---

(١) أبو اليُمن مجير الدين : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٢) القرطبي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٨٧ وكذلك
أبو اليُمن مجير الدين : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٣ وكذلك
يوسف الدباس : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٣) النووي : المصدر السابق ، ج ١٥ ، ص ١٢٨ .

وفي الحديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما دُفن نبيٌّ قَطّ إلا في مكانه الذي تُوفِّيَ فيه »[1] .

ويظهر لي ، والله أعلم ، أن تحديد قبر موسى عليه الصلاة والسلام أمر لا ينبني عليه كبير فائدة ، ولو كان في معرفة ذلك خير للأمة لأخبر الرسول الكريم ﷺ الصحابة بذلك، وَلَرَوَوا عنه الخبر اليقين ، لاسيما وأنه رآه ليلة أُسري به ، وَحدَّثهم عن ذلك . فالواجب على المؤرخ المسلم التوقّف عند ذلك ، وعدم الخوض في أمور غيبية لا يعلمها إلا الله عز وجل ، وأن لله عز وجل حكمة بالغة في إخفاء قبر موسى عليه الصلاة والسلام ، كما بيّن ذلك العلماء ، وهي لئلا يُعبد من دون الله ، ويُتّخذ قَبرَهُ مسجداً ، خاصة وأن قومه بني إسرائيل كانوا شديدي الإنحراف ، والتأثر بمعتقدات الأقوام الكافرين ، رغم وجود كليم الله بينهم ، فليس بعيداً عليهم أن يعبدوه تشبّهاً بالمصريين .

قال تعالى :

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قومِ لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[2] .

وبوفاة موسى عليه الصلاة والسلام تبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياة بني إسرائيل بقيادة يشوع بن نون ، وهي مرحلة الإعداد والاستعداد لفتح الأرض المقدسة التي كتب الله لهم في ذلك العهد .

---

(١) الإمام مالك بن أنس : المصدر السابق ، كتاب الجنائز - باب ما جاء في دفن الميت ، ص ١١٣ ، حديث رقم ٥٤٥ .

(٢) سورة لصف ، لآية (٥) .

الخاتمـــــــة

الخاتمـــــة

لقد بين هذا البحث عدة نتائج ، من أهمها :

أن بني إسرائيل قد ارتبط بهم عدة تسميات ، أقدمها ، على الراجح ، مسمى العبرانيين ، ثم بني إسرائيل ، ثم اليهود . وفي العصر الحاضر أُطلق عليهم اسم " الصهاينة " ، خاصة بعد نجاح الحركة الصهيونية في إنشاء ما يُسمى بـ" دولة إسرائيل " على أرض فلسطين . إلا أن الاسم الذي يجب على المؤرخ المسلم أن ينعتهم به هو اليهود ، أو " يهود " بدون أل التعريف ، حيث كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ينعتونهم بهذه الصيغة ، لِما في ذلك من تحقيرهم وتصغيرهم ، فضلاً عن تسمية القرآن الكريم لهم بهذا الإسم .

وعند وفود بني إسرائيل إلى مصر ، زمن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام ، لم يكن ذلك إلا لحكمة إلهية ، وإرادة ربانية ، لكي يتحقق وعد الله عز وجل لنبيه يوسف عليه الصلاة والسلام ، وتصدُق رؤياه لتي رأى في منامه عندما كان صغيراً ، حيث أنجز الله له ما وعد من التمكين والعز في أرض مصر . فهيأ الله عز وجل لبني إسرائيل الأسباب للإقامة في أرض مصر ، في ظل حكم الهكسوس (١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق.م) ، في المنطقة التي كانت تسمى أرض جوشن في وادي طميلات .

وبعد وفاة يوسف عليه الصلاة والسلام ، تَعرّض بنو إسرائيل لمحنةٍ كبيرة ، على أيدي آل فرعون ؛ حيث أذاقوهم العذاب المهين ، وقتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم ، وسخّروهم في المشاريع العمرانية ، وأعمال البناء .

واتضح من خلال هذا البحث ، أن تسخير بني إسرائيل في مصر كان لأسبابٍ كثيرة ، أهمها السبب الرئيس ، وهو أنهم لطول المقام بين ظهراني المصريين الذين كانوا يشركون بالله تعالى ، تَغيّر ما بأنفسهم من التوحيد الخالص لله رب العالمين ، والإيمان العميق بالله عز وجل ؛ فغيّر الله عز وجل حالهم إلى ما آلوا إليه من التسخير والإستعباد ، وفق سُنة الله عز وجل التي لا تتغير ولا تتبدّل ، ولا تُحابي أحداً من خلقه .

قال تعالى : ﴿ **ذلك بأن ا لله لم يكُ مُغيّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم وأن ا لله سميع عليم** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **إن ا لله لا يُغيّرُ ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد ا لله بقومٍ سوءاً فلا مَردَّ له وما لهم من دونه من والٍ** ﴾[٢] .

لذلك لابد للباحث المسلم ، أثناء دراسته للتاريخ القديم ، من ربط الأحداث بمسبّباتها الحقيقية ، وفق سنة ا لله عز وجل في حياة الأمم والشعوب ، من خلال موقفهم من عقيدة التوحيد لله رب العالمين . ففي حال الإستقامة على الصراط المستقيم ، تتوالى نِعم ا لله عز وجل التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ، وفي حال سلوك سبيل الغَيّ ، والإنحراف عن منهج ا لله تعالى وعدم الإلتزام به ، تَحلُّ نقمة ا لله عز وجل وعذابه على القوم المعرضين والمعاندين .

وتوصّل البحث أيضاً ، إلى نتيجة هامة ، وهي أن ا لله عز وجل ، لَمّا أراد أن يرفع عن بني إسرائيل العذاب ، أذن لرسوله الكريم موسى عليه الصلاة والسلام أن يخرج بقومه . فكان الخروج أمراً إلهياً ، وإرادة ربانية ، ووحي من السماء للرسول الكريم موسى عليه الصلاة والسلام ، و لم يكن للتفكير البشري دورٌ في الإعداد لذلك الخروج .

وهذه النتيجة ، أدّت إلى نتيجة أخرى هامة ، وهي ضرورة اعتماد المؤرخ المسلم في مصادر دراسته عن أحوال الأمم السابقة على القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة المطهرة ، وكتب التفسير ، وكتب المؤرخين المسلمين الثقات ، الذين نقلوا إلى الأجيال من بعدهم ، معلومات ضخمة لا غِنى للباحث عنها ، وإن كان فيها ما يتعارض مع الحقيقة ، فإن ذلك لا يُنقص من جهدهم وعملهم ؛ حيث اجتهدوا ونقلوا الروايات التاريخية ، في أغلب الأحيان ، بأسانيد رُوَاتها ، كما فعل الأئمة الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وغيرهم ، مما يرفع عنهم عُهدة التَّحمُّل في صحة الرواية أو عدم صحتها .

والسبب في ضرورة الإعتماد على المصادر الإسلامية الأصيلة في مثل هذا الموضوع ، هو أن نسبة كبيرة ممن كتبوا التاريخ القديم ، هم من أبناء الغرب الذين يدينون

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٥٣) .

(٢) سورة الرعد ، الآية (١١) .

بغير الإسلام ، وينطلقون في كتاباتهم منطلقاً مغايراً لتصورات المسلمين العقدية ، ومفهومهم للكون والحياة والإنسان . وبالتالي يجب الحذر الشديد فيما يؤخذ عنهم ، والتدقيق في كتاباتهم ، أثناء الرجوع إلى بعض آرائهم ، دون أن يتعارض ذلك مع العقيدة الإسلامية ، لاسيما وأنهم يقتصرون في آرائهم على العوامل الإنسانية ، دون أي إشارة إلى الدين أو العقيدة . لذلك لابد للمؤرخ المسلم أن يلتزم المنهج الصحيح ، وهو المنهج الإسلامي الأصيل في الحُكْم على الأحداث التاريخية ، مُنطلِقاً من القواعد الشرعية التي لا تُحابي أحداً ، بحيث يزن لأمور بميزانها الصحيح ، فتأتي النتائج سليمة وصحيحة ، وبعيدة عن التشويه والإنحراف في تفسير الأحداث التاريخية .

وَبيَّنَ هذا البحث ، المعجزات الربانية التي أَيَّدَ الله عز وجل بها موسى عليه الصلاة والسلام ، عند خروجه ببني إسرائيل من مصر ، والتي من أهمها : معجزة انفلاق البحر كالطود العظيم ، وتفجير الماء من الحجر ، وتظليل بني إسرائيل بالغمام ، وإنزال المن والسلوى .

وَبيَّنَ هذا البحث أيضاً ، أن هناك عدة نظريات في تحديد تاريخ الخروج ، وفرعون الخروج ، منها :

- أن الخروج كان أثناء طرد الهكسوس من مصر حوالي عام ١٥٧٥ ق.م . وأن فرعون هو أحمس لأول (١٥٧٥ - ١٥٥٠ ق.م) .
- أن الخروج في حوالي سنة ١٤٤٦ ق.م ، أو سنة ١٤٤٧ ق.م ، في عهد تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) .
- أن الخروج كان بعد وفاة أخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) مباشرة .
- أن الخروج كان في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) .
- أن الخروج كان في عهد مرنبتاح (١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م) .

إلا أن هذه النظريات تظل عبارة عن اجتهاد علمي ، لكل نظرية أدلتها وبراهينها.

غير أن الحق في ذلك ، هو عدم الجزم بتحديد الفرعون الذي كان معاصراً لموسى عليه الصلاة والسلام ، وفقاً للمنهج القرآني الذي يجب على المؤرخ المسلم إتّباعه ، الأمر الذي يؤكد أن عِلْم ذلك عند الله عز وجل وحده .

وما أن دخل بنو إسرائيل إلى شبه جزيرة سيناء ، حتى بدأت انحرافاتهم العقدية في الظهور ؛ حيث طلبوا من رسولهم أن يجعل لهم صنماً يعبدونه كالقوم الذين رأوهم عاكفين على أصنامهم .

وقد أفضى هذا الموقف ، إلى الوصول إلى نتيجة هامة ، تؤكد أن بني إسرائيل قد تأثّروا بعبادات وعادات المصريين، وبالتالي فإن طول المقام بين ظهراني الكفار والمشركين ، يُؤثّر على عقيدة المسلم الموحِّد لله رب العالمين ، خاصة إذا كان ضعيف الإيمان ، حتى يستقرّ في نفسه أن أفعالهم ، وعاداتهم ، وعباداتهم ، لا تَضرُّه ، ولكن مع مرور الزمن ، تنحرف أفكارُه ، ويميل إلى عادات المجتمع ، حتى يقسو ويزيغ قلبُه ، فيصبح لا يعرف معروفاً ، ولا يُنكر منكراً ، فتجتاله شياطين الإنس والجن عن عبادة الله تعالى ، وأوامره ونواهيه ، فيتّبع سُبل الغواية ، ولضلال .

قال تعالى إخباراً عن تعهّد الشيطان بإضلال بني آدم :

﴿ قال فبما أغويتني لأقعُدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[1] .

وهذا يُفسِّر الإنحرافات العقدية ، التي وقع فيها بنو إسرائيل فيما بعد ، عندما عبدوا العجل ، وتذمروا على موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ، وعصوا أمر ربهم في إتّباع ما جاء في التوراة ، حتى رفع الجبل فوقهم كأنه ظُلّة ، وطلبهم رؤية الله جهرة ، ونكوصهم عن دخول الأرض المقدسة عندما أمرهم الله عز وجل بذلك، حتى ضرب الله عز وجل عليهم التيه أربعين سنة .

وبعد انقضاء فترة التيه ، تَوجّه موسى عليه الصلاة والسلام إلى منطقة شرق الأردن ، ومعه الجيل الذي نشأ من بني إسرائيل ، لدخول الأرض المقدسة أرض كنعان .

أما المجتمعات التي كانت لها علاقات مباشرة ، خلال خروج بني إسرائيل ، والتي كانت تُقيم في شرق الأدرن ، فكان أهمها : المؤابيون ، والإدوميون ، فضلاً عن القبائل المدينية التي كانت تنتشر في تلك المنطقة . وقد تبين أن هذه المجتمعات ، وقفت موقفاً

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : (١٦ ، ١٧) .

صلباً من دخول بني إسرائيل عبر أراضيها ، خشية أن يبسطوا سيطرتهم عليها ، والاستحواذ على خيراتها ، وهو ما تَمّ بالفعل عند مرورهم بأرض حشبون ، وباشان ، حيث احتلوها ، وسيطروا عليها .

وتبيّنَ من خلال هذا البحث ، أن موسى عليه الصلاة والسلام ، لم يدخل الأرض المقدسة ، ووفقاً لما ورد في السنة النبوية المطهرة ، فإنه مات بعيداً عنها مقدار ما تبلغه رمية بحجر ، وأن الله عز وجل أخفى قبره عن العباد لحكمة بالغة ، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى ، قد يكون منها : ألا يُعبد من دون الله ، ولا يُتخذ قبره مسجداً ، خاصة وأن قومه بني إسرائيل كانوا شديدي الإنحراف عن منهج الله وشرعه .

هذا ما فتح الله به عليّ ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم ، لا رياء فيه ولا سمعة ، وأن ينفع به ، ويغفر لي خطأي وجدي وهزلي ، إنه سميع مجيب .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين .

الخرائـــــط

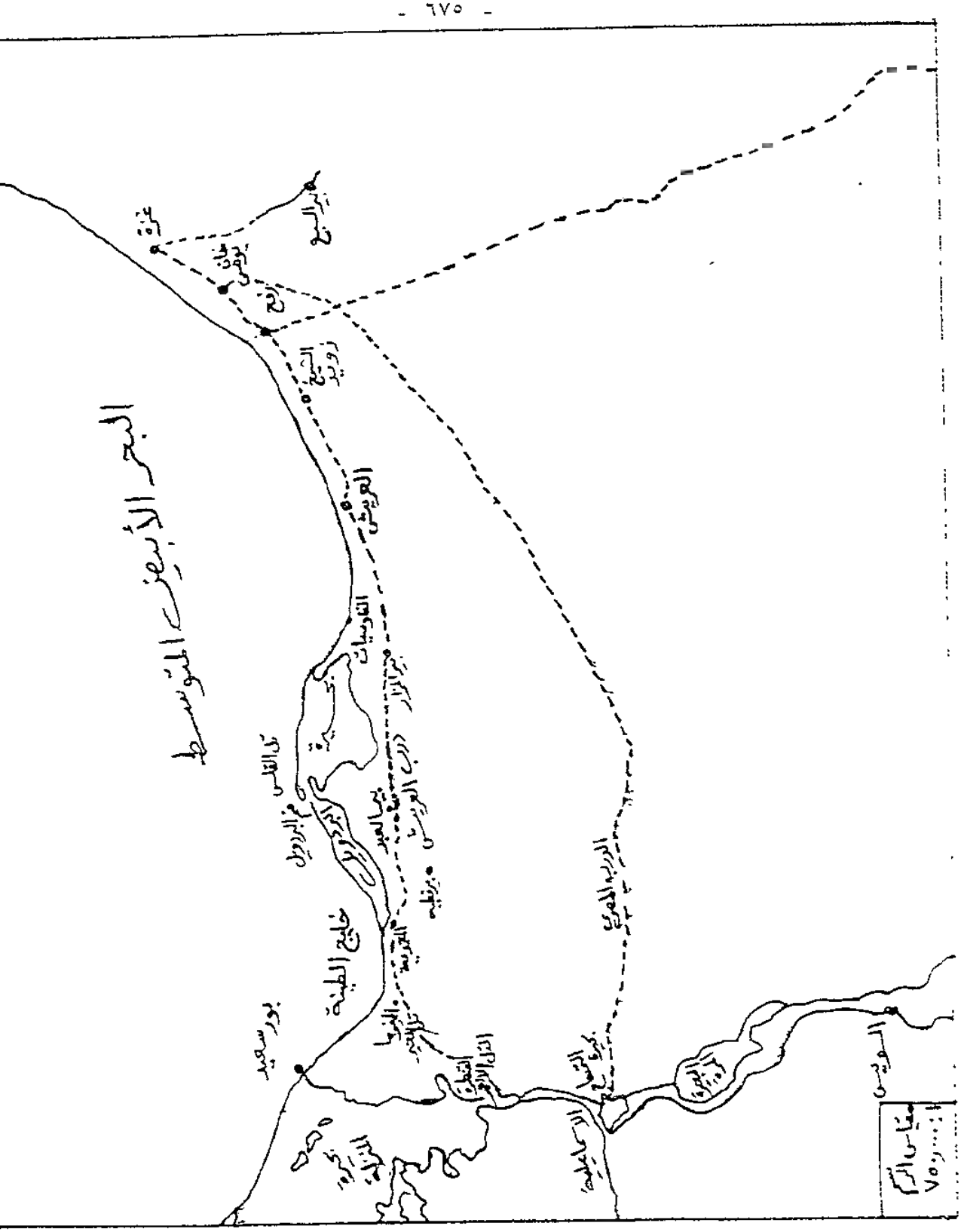

خريطة رقم (١)

خريطة تقريبية لطريق دخول بني إسرائيل الى مصر .

جزء من خريطة ، نقلاً عن :

نعوم بك شقير : تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٧٧٧ .

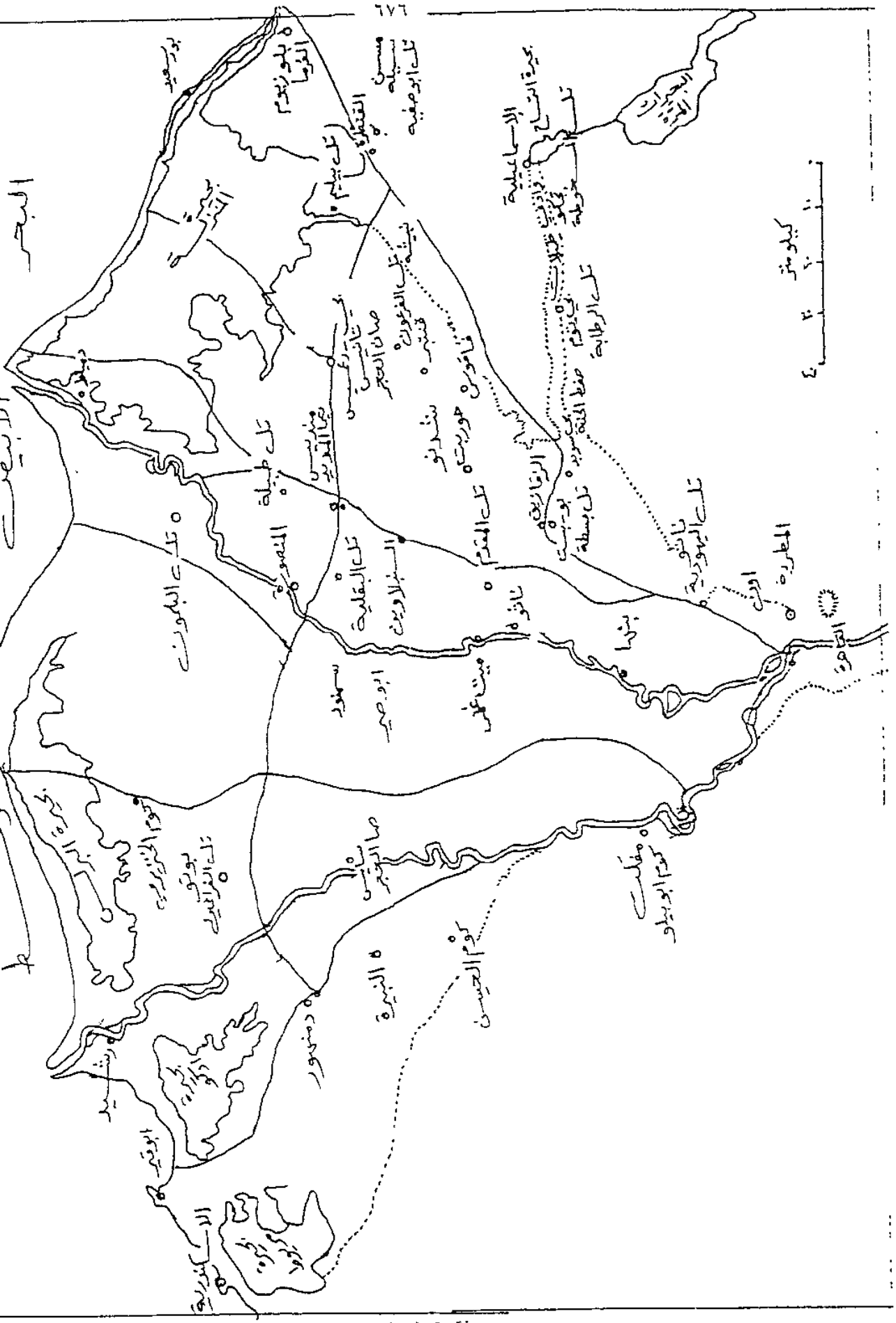

خريطة رقم (٢)

بعض المواقع الأثرية في مصر السفلى .

(ترجمة الباحث) نقلاً عن :

Gardiner , A . H , Ancient Egyptian Onomastica , Vol II , Oxford University Press , Amen House , Oxford , 1947 , PP 132* - 133* .

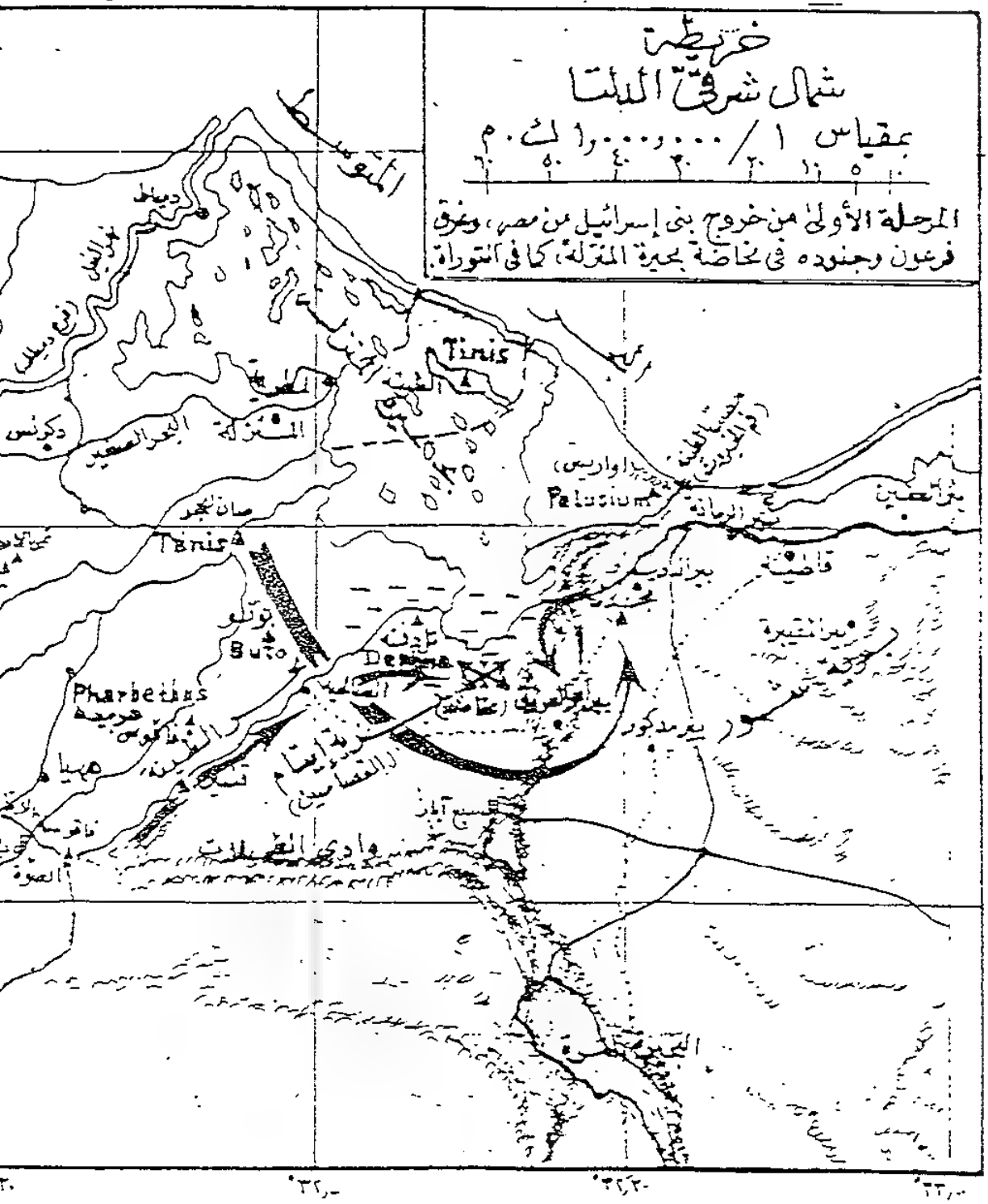

خريطة رقم (٣)

نقلاً عن :

عطاس عبد الملك الخشبة : رحلة بني إسرائيل الى مصر الفرعونية والخروج ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ص ١٩١ .

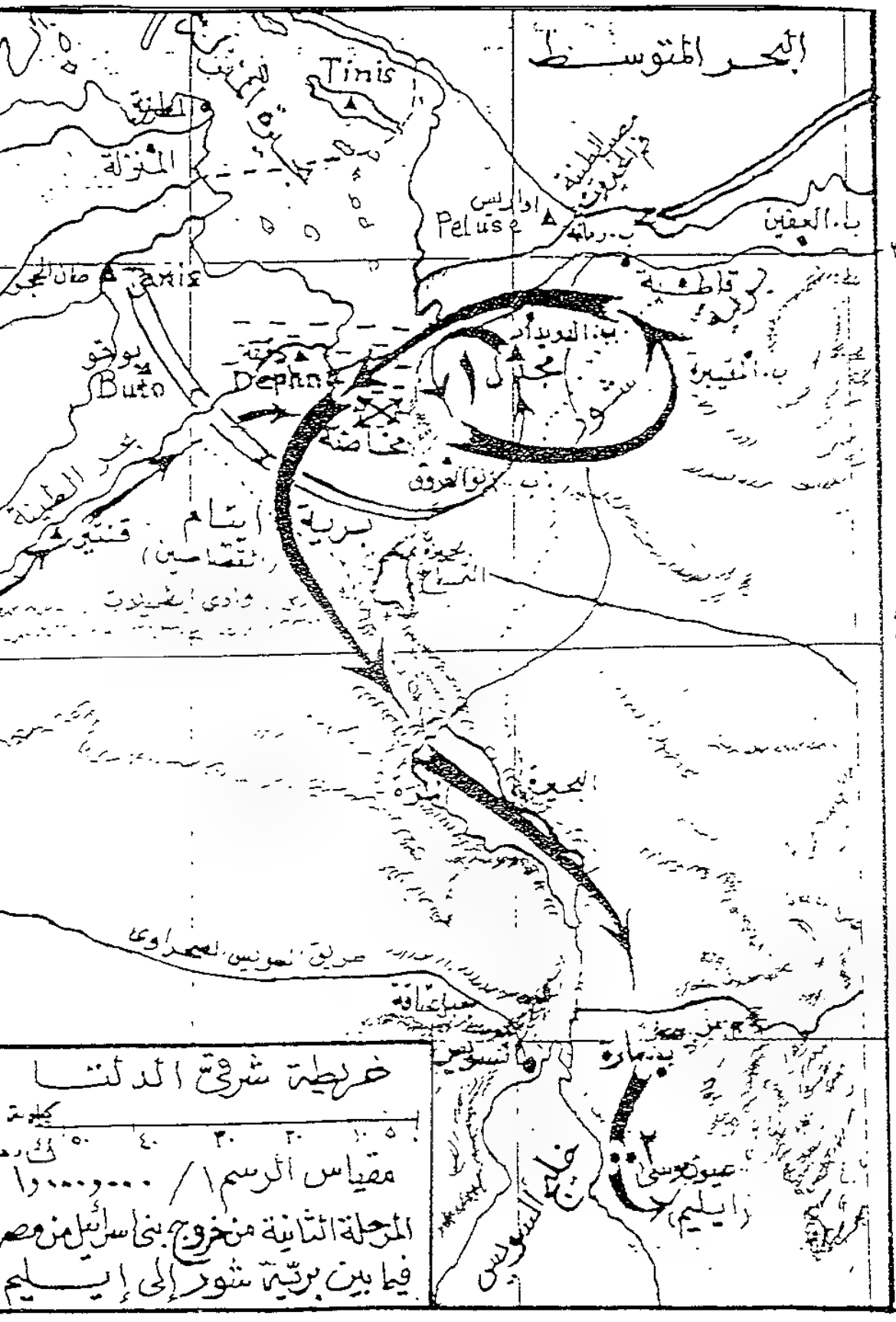

خريطة رقم (٤)

المرجع نفسه ص ١٩٥ .

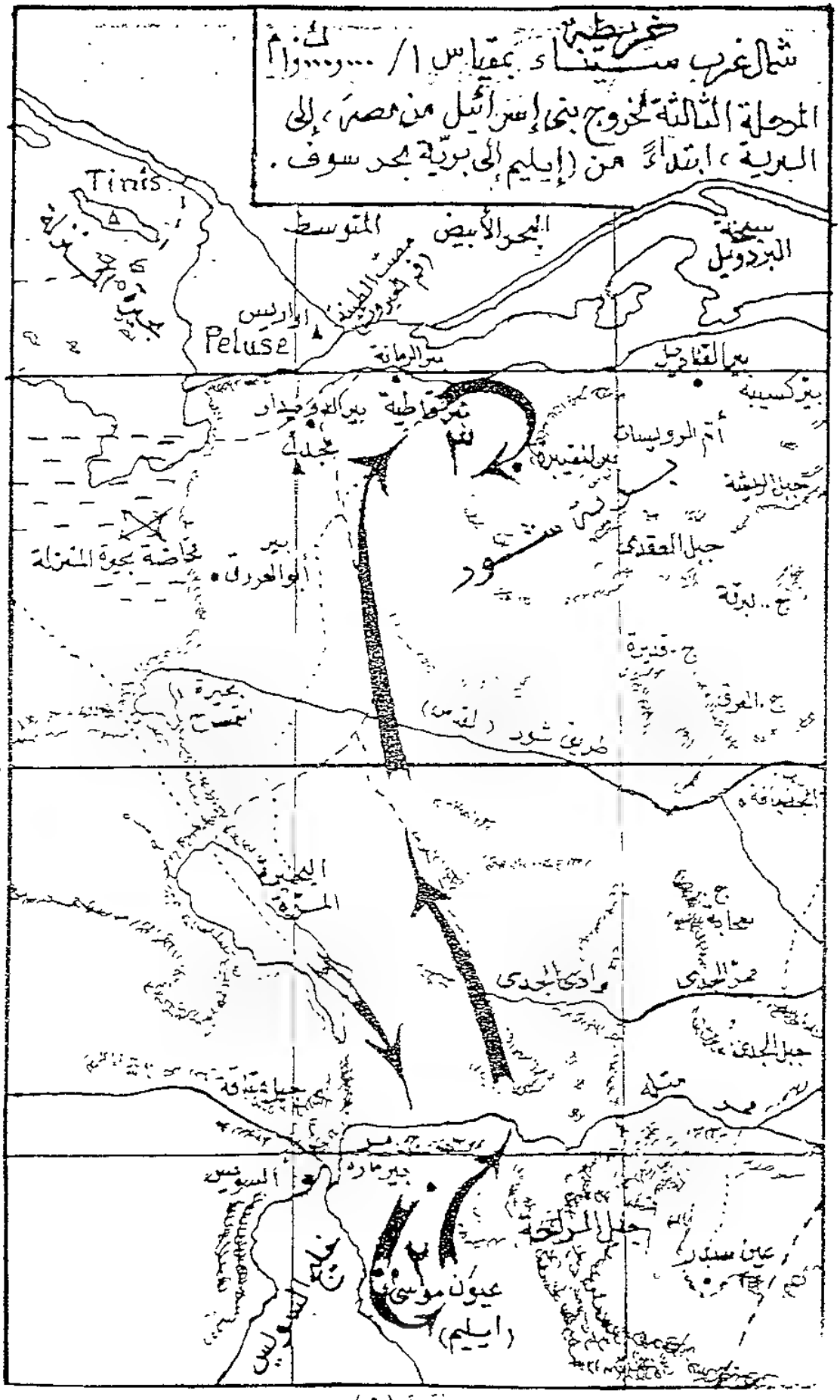

خريطة رقم (٥)

المرجع نفسه ص ١٩٦ .

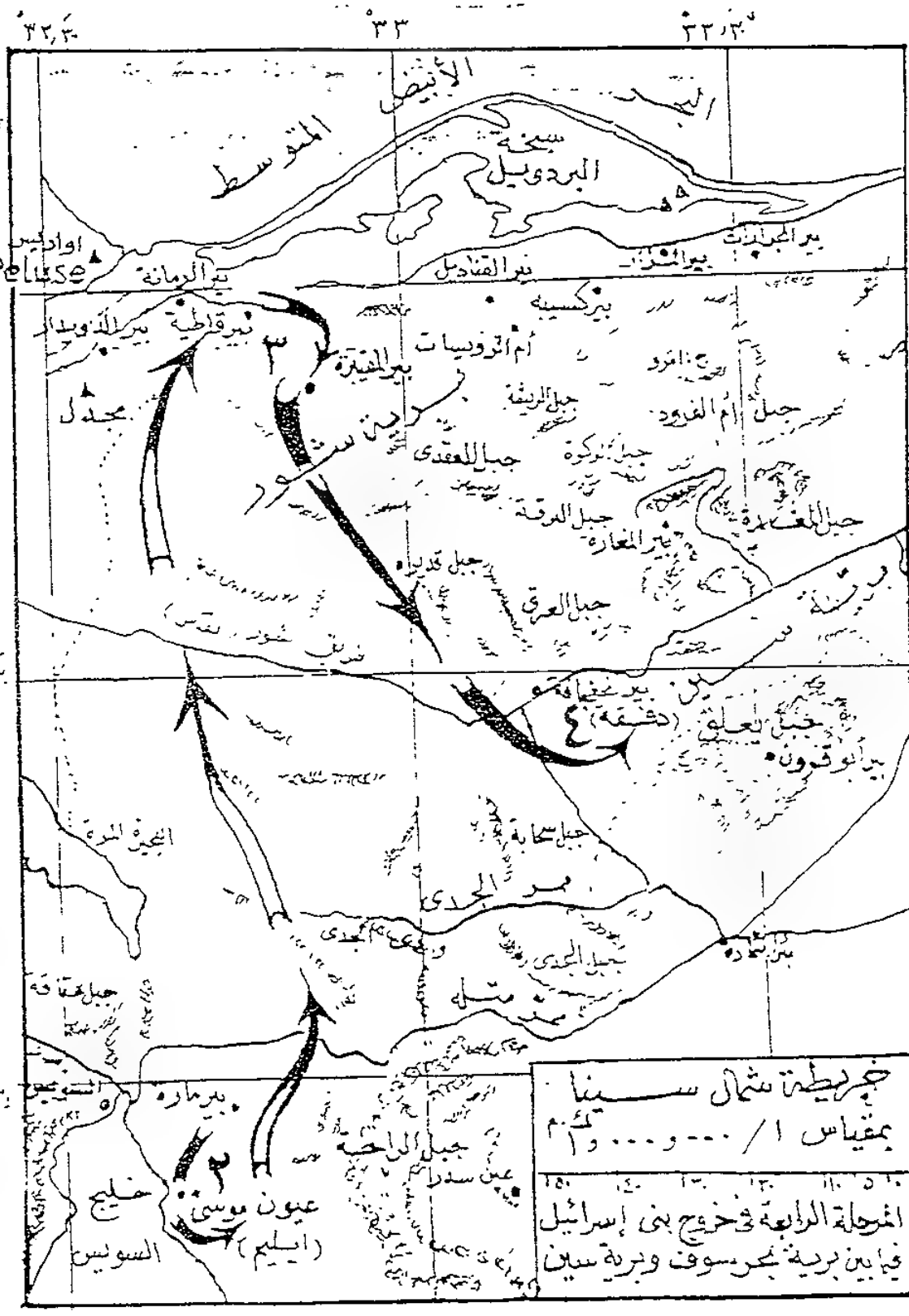

خريطة رقم (٦)

المرجع نفسه ص ١٩٨ .

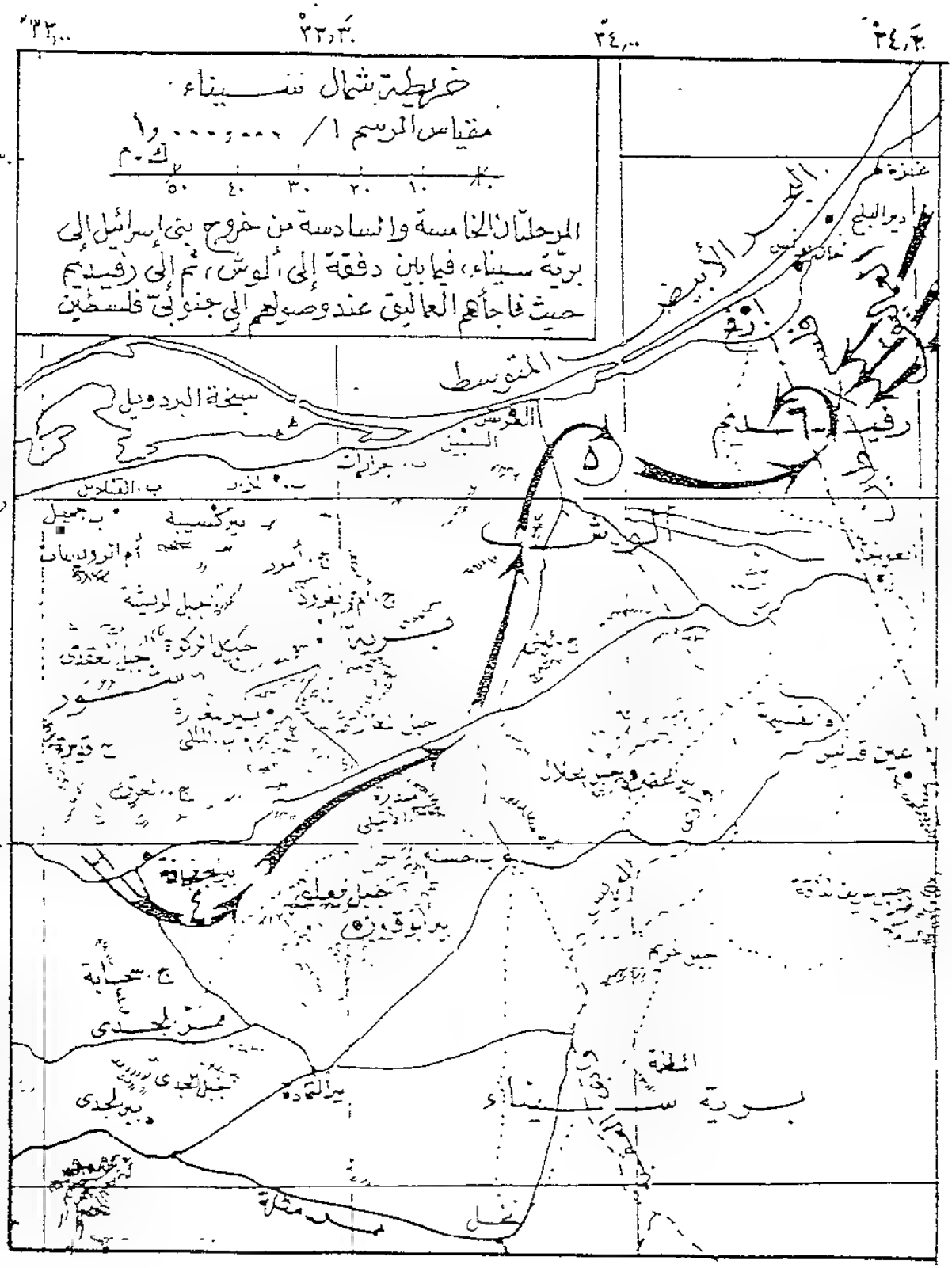
٣٣°٠٠′
٣٣°٣٠′
٣٤°٠٠′
٣٤°٣٠′
خريطة شمال سيناء
مقياس الرسم ١/ ١٠٠٠٠٠٠
كم ٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠
المرحلتان الخامسة والسادسة من خروج بني إسرائيل إلى برية سيناء، فيما بين دفقة إلى ألوش، ثم إلى رفيديم حيث فاجأهم العماليق عند وصولهم إلى جنوبي فلسطين
البحر الأبيض المتوسط
سبخة البردويل
الفرما
السين
رفيديم
٥
ألوش
بئر جفجافة
جبل يعلاق
بئر لبوقرين
سبخة
ممر الجدي
جبل الجدي
بئر الجدي
بئر القاع
المغارة
بئر مغارة
جبل المغارة
جبل الركوة
جبل الرملية
جبل المقدس
بئر جميل
بئر كسيبة
أم الرديان
عين قديس
بئر لحفن
جبل الحلال
بئر حسنة
جبل الحسنة
جبل الحمر
بئر الحمر
بئر الحمرة
بئر الحمرة
بئر الحمرة

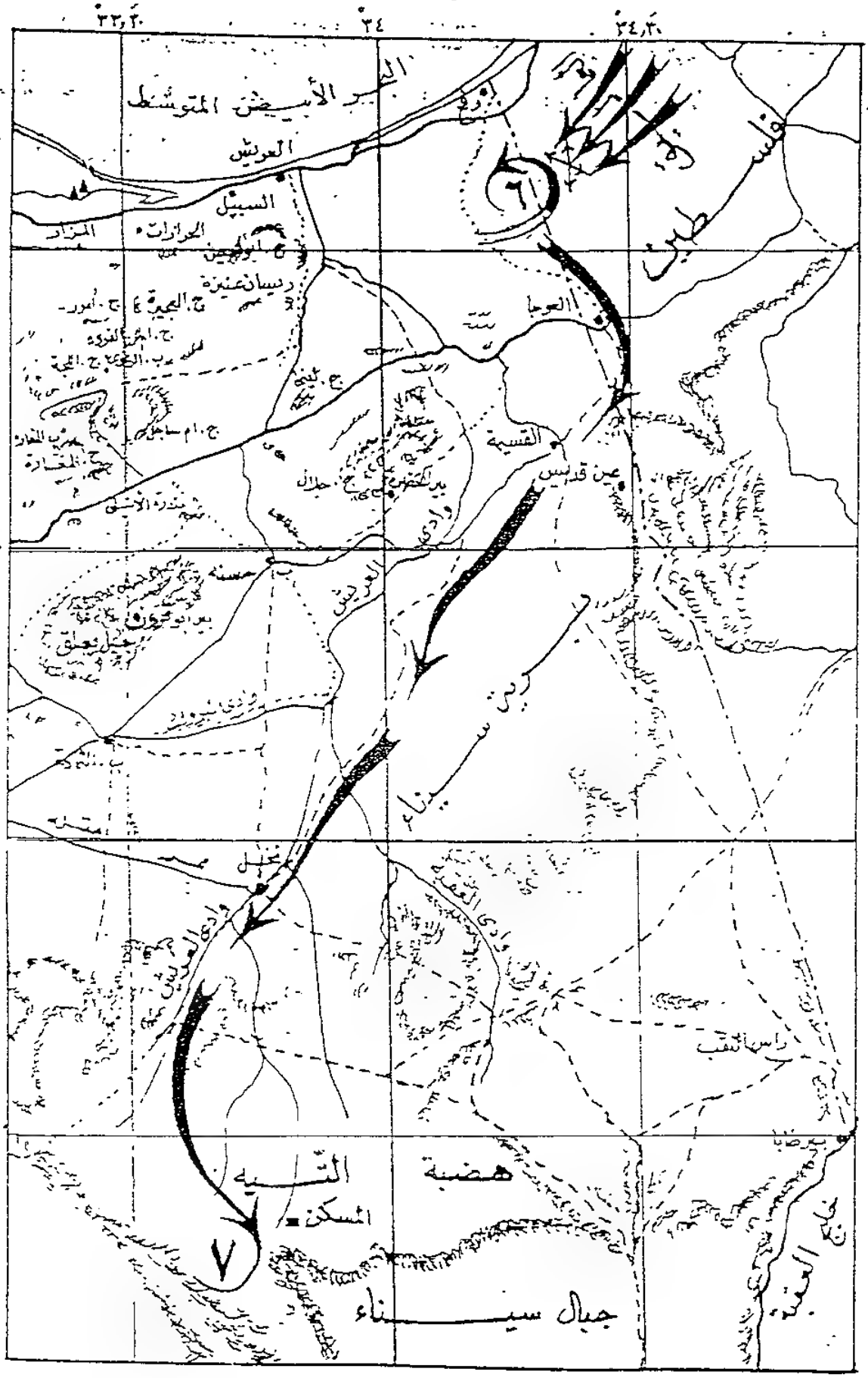

خريطة شمال سيناء - بمقياس ١ / ١٠٠٠٠٠٠ ك.م

المرحلة السابعة فى خروج بنى إسرائيل من مصر من رفيديم إلى برية سيناء عند الجبل .

المرجع نفسه ص ٢٠٣ .

خريطة رقم (٨)

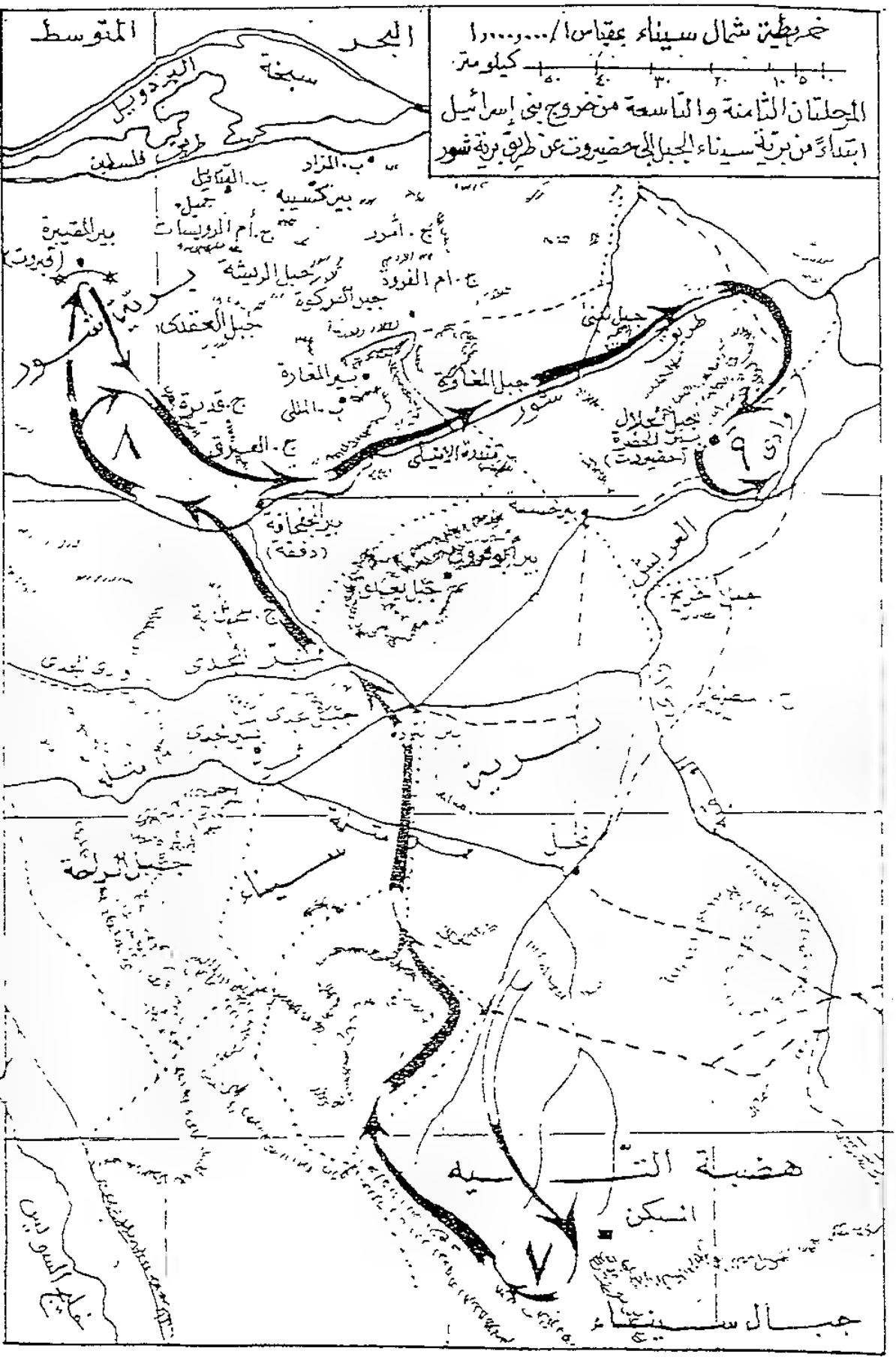

خريطة رقم (٩)

المرجع نفسه ص ٢٠٥

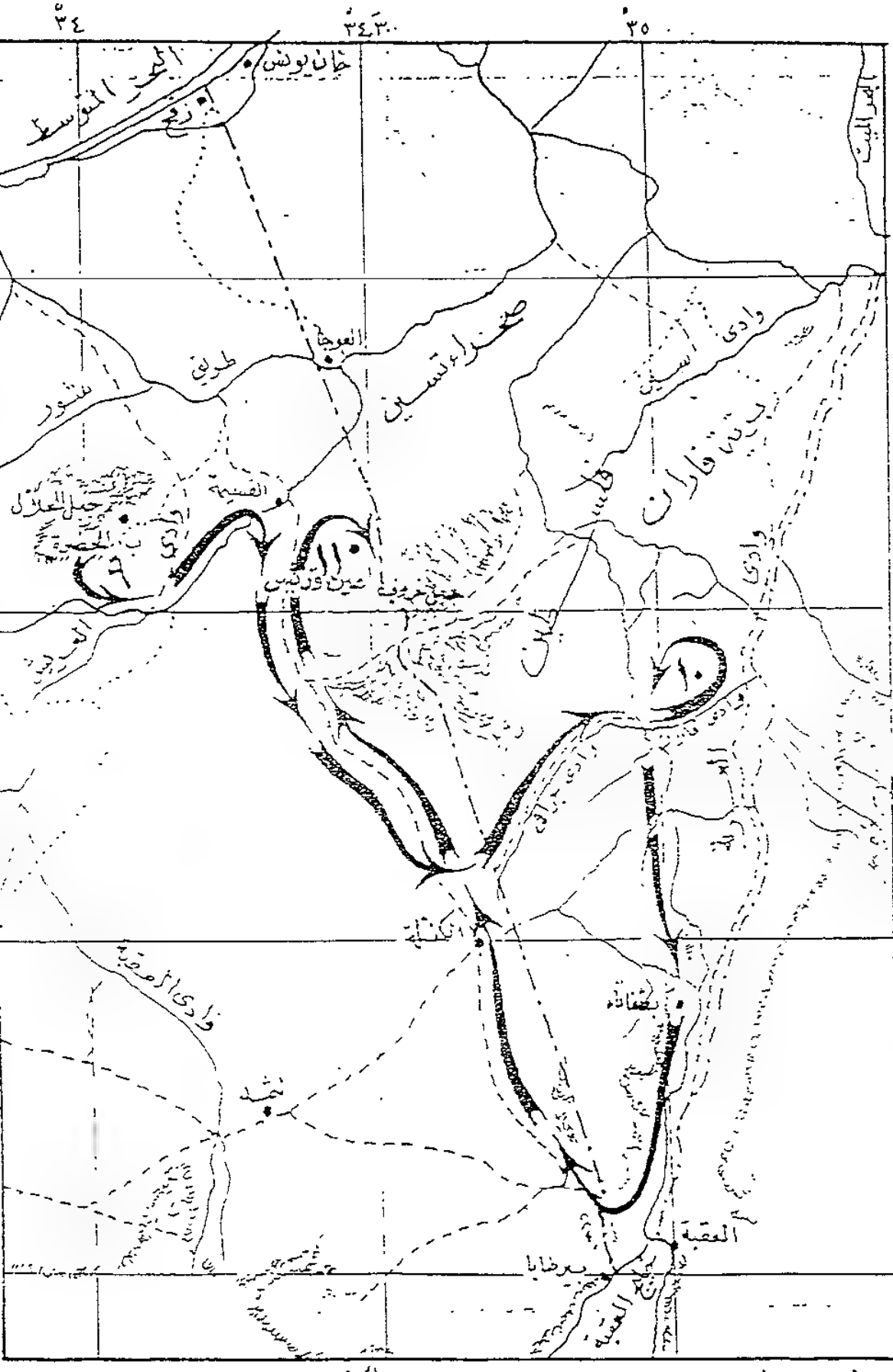

المرجع نفسه ص ٢٠٧ .

خريطة رقم (١٠)

خريطة شمال سيناء ـ بمقياس ١ / ٢٠٠,٠٠٠

المرحلتان العاشرة والحادية عشرة ، من خروج بنى إسرائيل إلى التيه فى سيناء ، ابتداءً من (حضيروت) إلى برية فاران في أرض فلسطين ، ثم منها إلى عين قديس (قادش) .

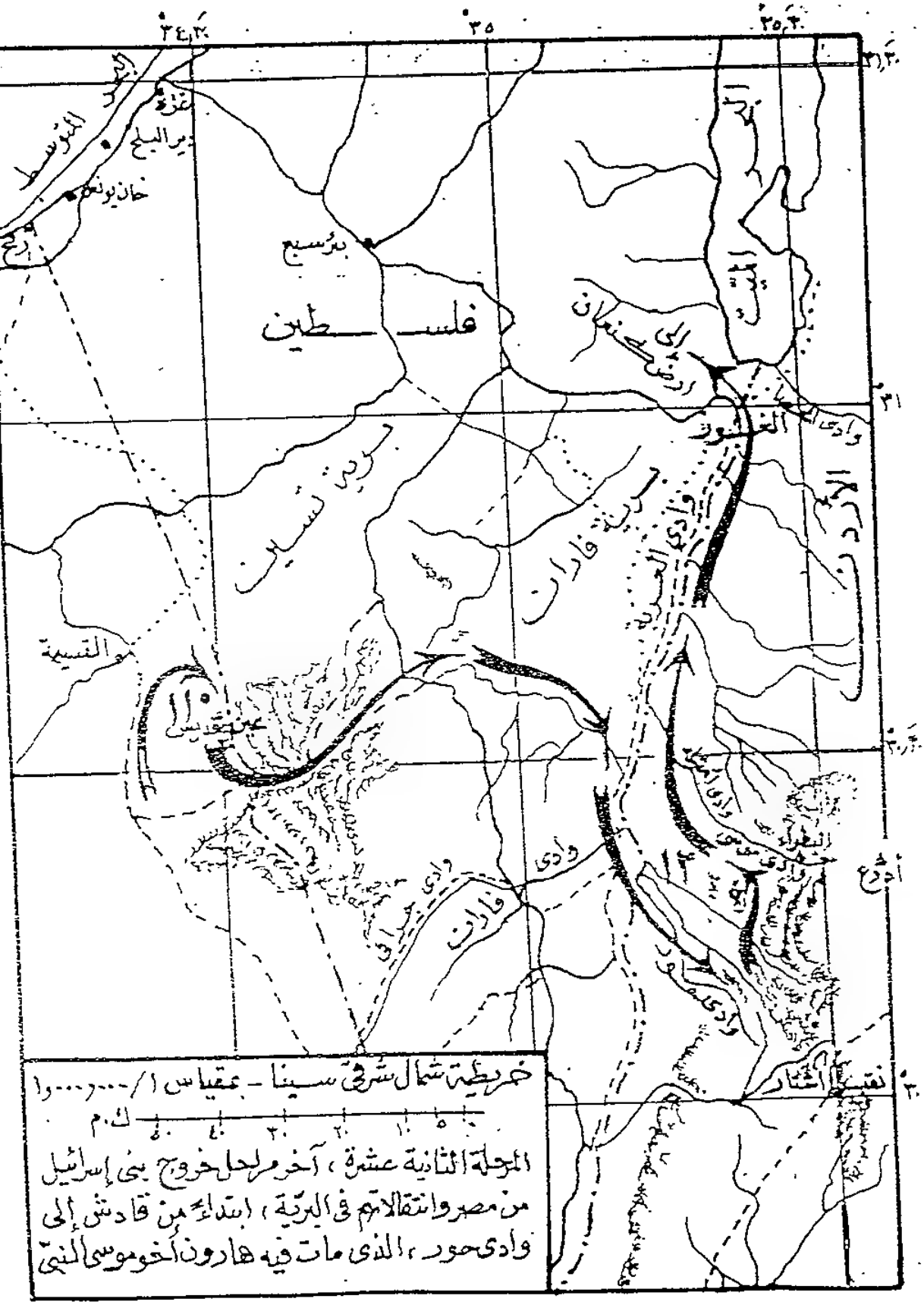

المرحلة الثانية عشرة ، آخر مراحل خروج بنى إسرائيل من مصر وانتقالاتهم فى البرية ، ابتداء من قادش إلى وادى حور ، الذى مات فيه هارون أخو موسى النبى

خريطة رقم (١١)

المرجع نفسه ص ٢٠٨ .

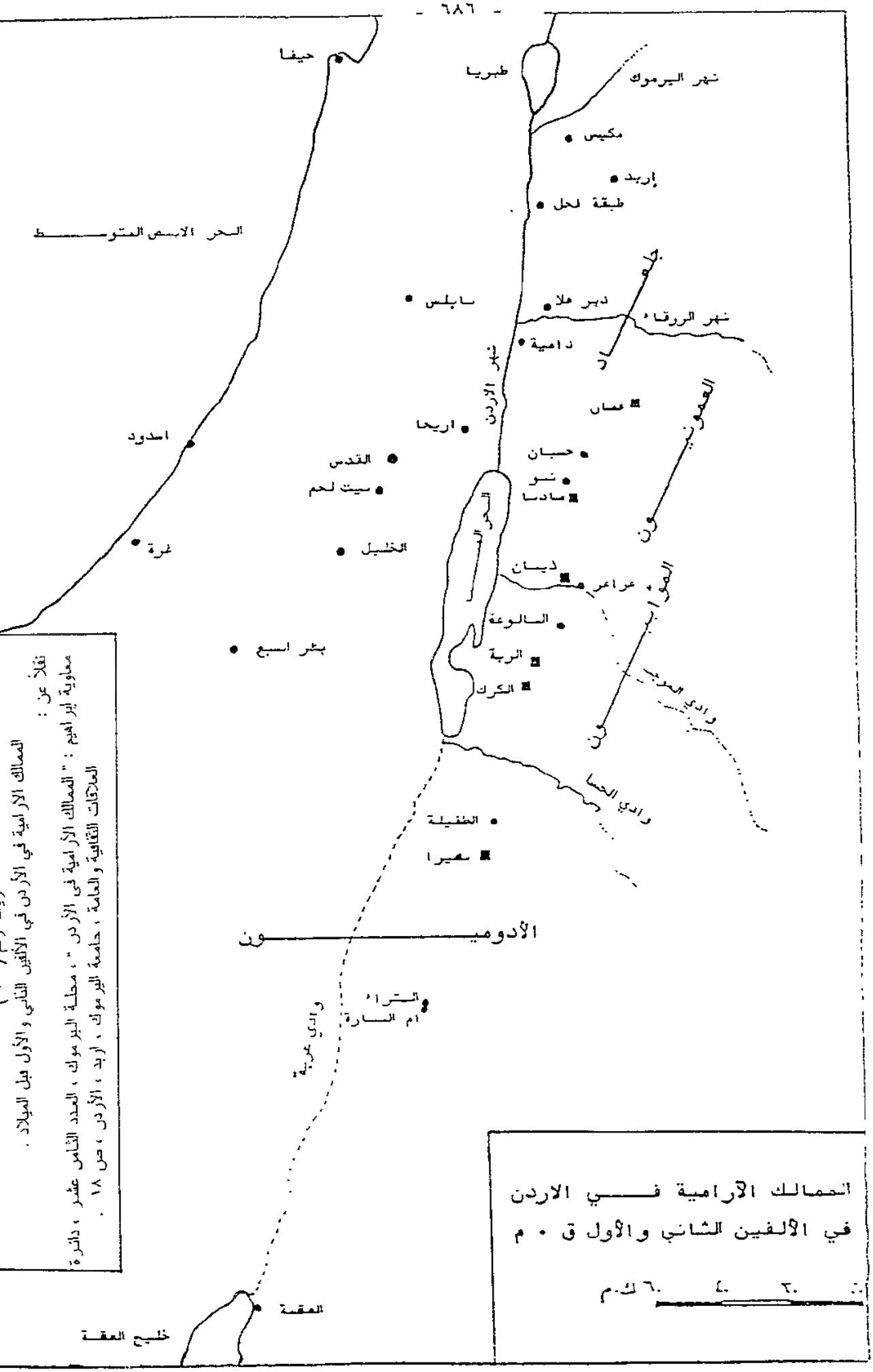

نقلاً عن :
معاوية ابراهيم : " الممالك الأرامية في الأردن " ، مجلة اليرموك ، العدد الثامن عشر ، دائرة العلاقات الثقافية والعامة ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن ، ص ١٨ .

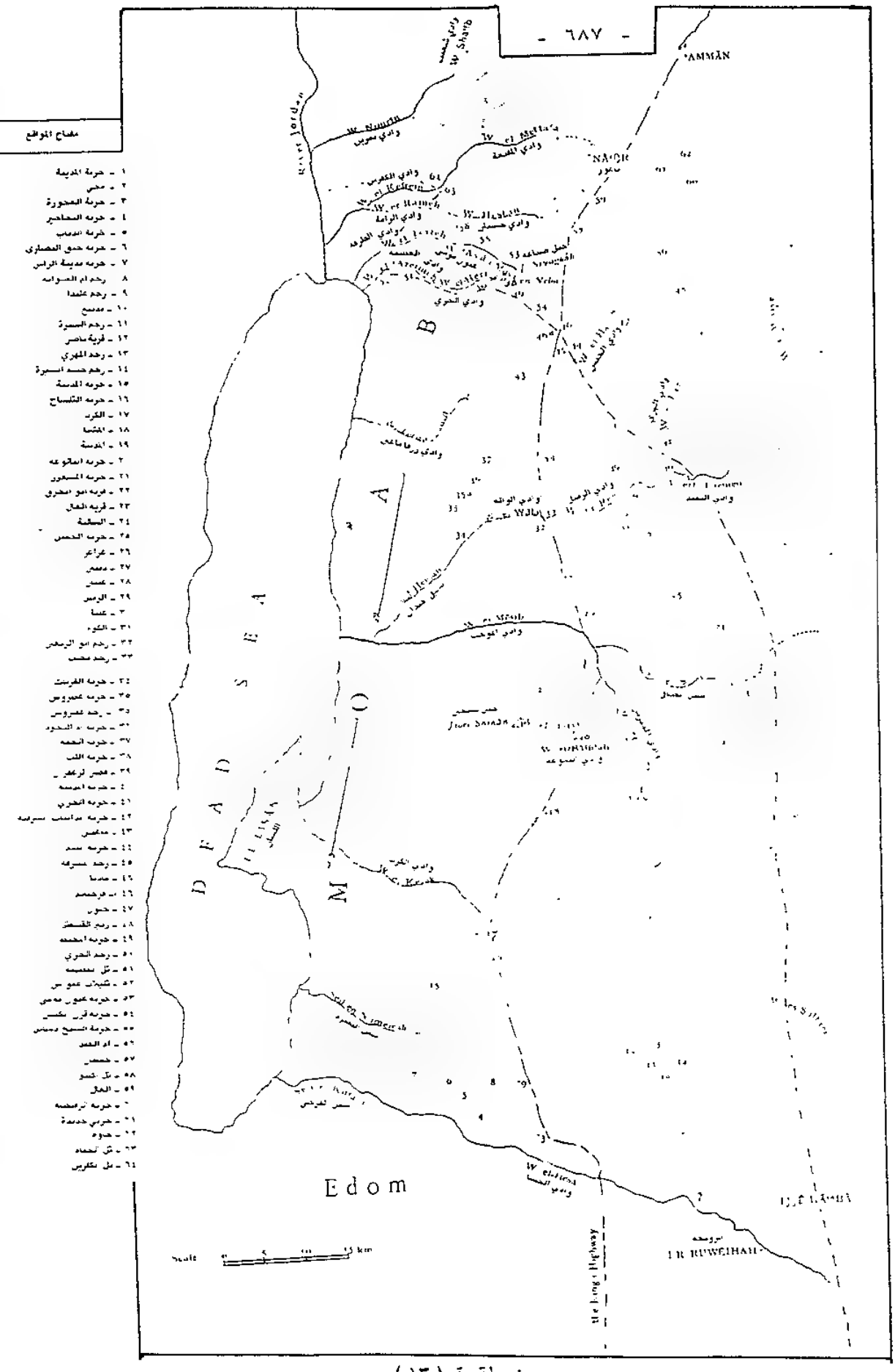

خريطة رقم (١٣)
مؤاب وأهم المواقع الأثرية .

نقلاً عن :
ڤان زين : المؤابيون ، تعريب وإعداد الدكتور خير نمر ياسين ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، ١٩٩٠ م ، ص ١٩٠ – ص ١٩١ .

Abbreviations الإختصارات

- ANET : Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Edited by pritchard , J . B . , Third Edition , Princeton University Press , Princeton , New Jersey , 1974 .

- BASOR : Bulletin of the American School of Oriental Research , The Johns Hopkins University Press , Philadelphia .

- CAH : The Cambridge Ancient History , Cambridge University Press , Cambridge .

- JAOS : Journal of the American Oriental Society , New Haven .

- JNES : Journal of Near Eastern Studies , The University of Chicago Press , Chicago , Illinois .

- JSOT : Journal for the Study of the Old Testament .

- PEQ : Palestine Exploration Quarterly , London .

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع [1]

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- القرآن الكريم .
- الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) : صحيح البخاري، ضبطَهُ ورقَّمه ، وذكر تكرار مواضعه ، وشرَحَ ألفاظه وجُمَله ، وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم ، ووضع فهارسه ، الدكتور مصطفى ديب البُغا ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- التوراة ، وقد تُرجمت من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٨٨ م .
- إبراهيم أمين غالي : سيناء المصرية عبر التاريخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- إبراهيم نمير سيف الدين ، زكي علي ، أحمد نجيب هاشم : مصر في العصور القديمة ، راجعه محمد شفيق غربال ، القاهرة ، ١٩٤١ م .
- أبكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- الدكتور أحمد أبو زيد ، الدكتور محمد الجوهري ، الدكتور أحمد مرسي ، الدكتورة نبيلة إبراهيم سالم ، الدكتورة علياء شكري : دراسات في الفولكلور ، الإسكندرية ، ١٩٧٢ م .

---

(١) مرتبة حسب الحروف الهجائية لمؤلفيها ، ما عدا القرآن الكريم ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، والتوراة . مع الإشارة إلى حذف الملحقات بالأسماء ، التي تسبق اسم المؤلف فقط ، مثل : الإمام ، الحافظ ، شيخ الإسلام ، شمس الدين ، عماد الدين ، أبو الفداء ، أبو الفضل ، الأستاذ ، الدكتور ، الشيخ ، ... .

- الدكتور أحمد ارحيّم هبّو : تاريخ الشرق القديم (٣) مصر ، الطبعة الأولى ، دار الحكمة اليمانية ، ودار الحرف العربي ، صنعاء وبيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

الدكتور أحمد أمين سليم : في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مصر - سورية القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ م .

- الدكتور أحمد بدوي : " أيام الهكسوس " ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني، مصر ، ١٩٤٨م ، ص ٤١ - ص ٨٦ .

- الدكتور أحمد بدوي : في موكب الشمس ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

الدكتور أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

- أحمد السقاف : العنصرية الصهيونية في التوراة ، الطبعة الأولى ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٤ م .

- الدكتور أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، العربي للإعلان والنشر والطباعة ، دمشق ، ١٩٧٢ م .

- الدكتور أحمد شلبي : " سيناء والأديان السماوية " ، مجلة الهلال ، العدد السادس ، السنة التاسعة والسبعون ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ص ٤٣ - ص ٤٩ .

- الدكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ، الجزء الأول ، اليهودية ، الصبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : جامع الرسائل ، المجموعة الأولى ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

- الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف : " معابد رمسيس الثاني وعبادته في بلاد النوبة "، مجلة المجلة ، العدد ١٠٥ ، السنة التاسعة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٨٦ - ص ٩٣ .

- الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف : " وثائق مطوية وأضواء جديدة في تاريخ مصر القديم ، نص العام الرابع من حكم مرنبتاح " ، مجلة المجلة ، العدد ٧١ ، السنة السادسة ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص ٢٠ - ص ٢٥ .

- أحمد عبد الغفور عطار : الشيوعية وليدة الصهيونية ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

- الدكتور أحمد عبد اللطيف حماد : " الزمان والمكان في قصة العهد القديم " ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ، وزارة الاعلام ، الكويت ، ١٩٨٥ م ، ص ٦٥ - ص ٩٠ .

- أحمد عثمان : تاريخ اليهود ، الجزء الأول ، مكتبة الشروق ، القاهره ، بدون تاريخ .

- الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : تقريب التهذيب ، قدّمَ له دراسة وافية وقابله بأصل مؤلّفه محمد عوامة ، الطبعة الأولى ، دار الرشيد، سوريا ، حلب ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، راجعه وقدّم له ، وضبط أحاديثه، وعلّق عليه، طه عبد الرؤوف سعد ، ومصطفى محمد الهواري، والسيد محمد عبد المعطي ، مكتبة الكلّيات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- الدكتور أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

- الدكتور أحمد فخري : مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق.م ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

- الدكتور أحمد فخري ، وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول - الأدب المصري القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٣٧١ - ص ٤٥٣ .

- الدكتور أحمد فخري ، وآخرون: الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول ، الجزء الأول ، وزارة الثقافة والإعلام ، مصر ، بدون تاريخ .

- أحمد كمال : العقد الثمين في محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م .

- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الجزء الثالث ، دار المعارف بمصر ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .

- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الجزء الرابع ، دار المعارف بمصر ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

- الدكتور أحمد محمود صابون : مكة المكرمة أسماؤها وتأريخها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٩٥ م .

- الدكتور أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ، الطبعة الأولى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- إسحاق ساكا : " معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة الكبرى "، مجلة العربي، العدد ٩١ ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م ، ص ١٤٤ - ص ١٥٣ .

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ، ١٩٢٧ م .

- عماد الدين إسمعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) : المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ، الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي : أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي : الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، الجزء الأول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- أنور الجندي : المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- أنيس فريحة : ملاحم وأساطير من أوغاريت . الجامعة الأميريكية ، بيروت، ١٩٦٦م .

- الدكتور باهور لبيب : لمحات من الدراسات المصرية القديمة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

- الدكتور بطرس عبد الملك ، والدكتور جون الكساندر طمسُن، والاستاذ إبراهيم مطر، وآخرون : قاموس الكتاب المقدس ، لطبعة الثانية ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧١ م .

- الدكتور بول غليونجي ، وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول - الطب عند قدماء المصريين ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٥٢٣ - ص ٥٧٣ .

التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٤ م .

- الدكتور توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسية القديمة ، الجزء الأول، من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق.م ، الطبعة الأولى، دار دمشق ، دمشق وبيروت ، ١٩٨٥ م .

- جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- الدكتور جمال عبد الهادي محمد : أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ - الطريق إلى بيت المقدس ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

- الدكتور جمال عبد الهادي محمد ، والدكتورة وفاء محمد رفعت : أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ - تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها وحتى القرن السابع قبل الهجرة في مصر والعراق ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- الدكتور جمال عبد الهادي محمد ، والدكتورة وفاء محمد رفعت : أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ - ذرية إبراهيم عليه السلام وبيت المقدس، الطبعة الأولى، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة ، ودار العلم للملايين ، بغداد وبيروت ، ١٩٧٦ م .

- حامد عبد القادر : الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها ، مراجعة وتعليق الدكتور عوني عبد الرؤوف ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١م .

- الدكتور حسن أحمد محمود ، وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم - الساميون القدماء - العبرانيون، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٤٧ - ص ٣٧٦ .

- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ما بين ٣٥٠ هـ و ٣٦٠ هـ) : كتاب الإكليل، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع بن الحسين الحوالي ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة، منشورات المدينة، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

- الدكتور حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي ، الطبعة الأولى ، دار القلم ودارة العلوم والثقافة ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الدكتور حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- الدكتور حسن ظاظا : الشخصية الإسرائيلية ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- الدكتور حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، ودارة العلوم والثقافة ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- الدكتور حسن ظاظا ، والدكتورة عائشة راتب ، والدكتور محمد فتح الله الخطيب : الصهيونية العالمية وإسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، القاهرة، ١٩٧١ م .
- الحسن بن عبد الله بن سهل المعروف بأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): الأوائل ، تحقيق الدكتور وليد قصّاب ، ومحمد المصري ، القسم الثاني، الطبعة الثانية ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- حسن نعمة : من ذاكرة التاريخ مدن الشرق الأدنى القديم ، الطبعة الأولى ، شركة رشاد برس ، بيروت ، ١٩٩٤ م .
- حسين ذو الفقار صبري : " توراة اليهود بين أصول متشعبة وسعي إلى انعقاد " ، مجلة المجلة ، العدد ١٥٧ ، السنة الرابعة عشرة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٣ - ص ٢١ .
- الحسين بن عبد الله الطيبي : الخلاصة في أصول الحديث ، تحقيق صبحي السامرائي ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ) : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- حمد الجاسر : " على أطلال الأجداد " ، مجلة المنهل ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، السنة الثالثة ، جدة ، ذو الحجة ١٣٥٧ هـ / يناير ١٩٣٩ م ، ص ٩ - ص ١٤ .

- حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت قبل ٣٦٠ هـ بقليل) : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- حمود بن ضاوي القثامي : شمال الحجاز ، الجزء الأول - الآثار ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- حياة سعيد عمر با أخضر : موقف الإسلام من السحر ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

- خليفة بن خياط بن أبي هُبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بـ" شباب " (ت ٢٤٠ هـ) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- خولة قسوس الحنايفة : عصر الهكسوس في الأردن وفلسطين ، وزارة السياحة والآثار ، دائرة الآثار العامة ، عمان ، ١٩٩٠ م .

- خير الله طلفاح : كنتم خير أُمة أُخرجت للناس ، الجزء السابع ، حقيقة يهود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- الدكتور خير ثمر ياسين : جنوبي بلاد الشام تاريخه وآثاره في العصور البرونزية ، منشورات لجنة تاريخ الأردن ، عمّان ، ١٩٩١ م .

- داود عبد العفو سُنقرط : جذور الفكر اليهودي ، الطبعة الأولى، دار الفرقان ، عمّان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- الدكتور ربحي كمال : دروس اللغة العبرية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- الدكتور رشاد محمود بغدادي : حول الأرض المقدسة عند اليهود، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

- الدكتور رشيد سالم الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا - المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى لقديم، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

- الدكتور رشيد سالم الناضوري : " حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٧١ ص ٧٥ .

- الدكتور رمضان عبده علي السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

- زكي شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ، الجزء الثامن ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م - ١٩٧٤ م .

- الدكتور سامي سعيد الأحمد : " الأسس التاريخية للديانة اليهودية " ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ١٩ ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٦ م ، ص ٩٥ - ص ١١١ .

- الدكتور سامي سعيد الأحمد ، وآخرون : العراق في التاريخ - العراق القديم - سلالة بابل الحديثه ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٦٣ - ص ١٨٠ .

- الدكتور سامي سعيد الأحمد ، وآخرون : العراق في التاريخ - العراق القديم - العصر البابلي القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٨٣ - ص ١٠٦ .

- الدكتورة سامية حسن ساعاتي : السحر والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

- الدكتورة سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

- الدكتور سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ م .

- سعيد الصباغ : المدنيات القديمة وتاريخ سورية وفلسطين ، يافا ، ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .

- الدكتور سليمان حُزيِّن : " سكان مصر ودراسة تاريخهم الجنسي " ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني ، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م ، ص ٣ - ص ٤٠ .

- الدكتور سليمان حُزيِّن ، وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول - البيئة والإنسان والحضارة في وادي النيل الأدنى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٣ - ص ٣٦ .

- الدكتور سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الثالث ، العصر الذهبي في تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية وليبيا ، مطبعة دار لكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

- الدكتور سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الرابع ، عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

- الدكتور سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الخامس ، السيادة العالمية والتوحيد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

- الدكتور سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء السادس ، عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية . مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

- الدكتور سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء السابع، عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة . ١٩٥٠ م .

- الدكتور سليم حسن ، وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول - المظاهر الحضارية (١) الحياة الدينية وأثرها على المجتمع - الديانة المصرية القديمة وأصولها ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٠٦ - ص ٢٦٣ .

- السموءَل بن يحيى بن عباس المغربي (ت ٥٧٠ هـ) : بذل المجهود في إفحام اليهود ، قدّم له وخرّج نصوصه ، وعلّق عليه عبد الوهاب طويلة ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، والدار الشامية ، دمشق وبيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

- الدكتور سمير عبد المنعم أبو العينين : العلاقات الدولية في العصور القديمة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

- سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، الطبعة الثانية ، دار النفائس ، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- الدكتور السيد رزق الطويل : بنو إسرائيل في القرآن ، الطبعة الثانية ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

- الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ م .

- الدكتور سيد فرج راشد : القدس عربية إسلامية ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- سيد قطب : في ظلال القرآن ، الطبعة الثانية عشرة ، دار العلم للطباعة والنشر، جدة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة : بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة : التاريخ اليهودي العام ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة : التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة : اليهود بين الدين والتاريخ ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

الدكتور صابر عبد الرحمن طعيمة : اليهود في موكب التاريخ ، الطبعة الأولى ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

- الدكتور صاح الحمارنة : " مراجعة كتاب آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة تأليف الدكتور محمود أبو طالب " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الحادي عشر ، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٠٦ - ص ٣١٥ .

- الدكتور صبري جرجس : التراث اليهودي الصهيوني ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

- الشيخ صلاح أبو إسماعيل : اليهود في القرآن الكريم ، دار الصحوة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي : الشخصية اليهودية من خلال القرآن ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- طه باقر : مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول ، الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين، الطبعة الثانية، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦م .

- ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ، الطبعة الخامسة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- عاتق بن غيث البلادي : رحلات في بلاد العرب في شمال الحجاز والأردن ، الطبعة الأولى ، دار المجمع العلمي ، جدة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

- عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، الطائف ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- عاتق بن غيث لبلادي : معجم معالم الحجاز ، الجزء الثامن ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- عادل محمد صالح أبو العلا : " الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف " ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- عارف باشا العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥١ م .
- الدكتور عامر سليمان ، وأحمد مالك الفتيان : محاضرات في التاريخ القديم ، جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٧٨ م .
- الدكتور عامر سليمان ، وآخرون : العراق في التاريخ - العراق القديم العصر الآشوري ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، ص ١١٩ - ص ١٦٢ .
- عباس محمود العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .
- عباس محمود العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- عباس محمود العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين ، تحرير الحساني حسن عبد الله ، المكتبة العصرية ، بيروت وصيدا ، بدون تاريخ .
- الدكتور عبد الله الطرزي ، وآخرون : " حروب وثقافة وبناء .. عمون ومؤاب وإدوم " ، الموسوعة الأردنية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمّان ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٠٢ ص ٢١٠ .
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) : المعارف ، حققه وقدم له الدكتور تروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ م .
- الدكتور عبد الباقي أحمد سلامة : " نبوة الأسباط في الميزان " ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، الاحساء، ١٤٠٣ هـ / ١٤٠٤ هـ ، ص ١٤ - ص ٤٧ .

- عبد الحكيم خير الدين ذا النون : تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، سورية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- عبد الحميد بن أبي زيان بن شنهو : أصول الصهيونية ومآلها ، الشركة الوطنية للنشر والتوريع ، الجزائر ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

- الدكتور عبد احميد زايد : " الرمز والأسطورة الفرعونية " ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ، وزارة الاعلام ، الكويت ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٩ - ص ٦٤ .

- الدكتور عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، اهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

- عبد الحميد محمود مطاوع : موسى كليم الله عليه السلام ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م .

- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) : الوسائل إلى معرفة الأوائل ، تحقيق الدكتور إبراهيم العدوي ، والدكتور علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- عبد الرحمن صدقي : " لمحة من فجر التاريخ عن سيناء ورسالة مصر الحضارية " ، مجلة الهلال ، العدد السادس ، السنة التاسعة والسبعون ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ٥٢ - ص ٦٢ .

- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) : فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق Charles C . Torrey ، مطبعة بريل، ليدن ، ١٩٣٠ م ، أعادت طبعه مكتبة المتنى ، بغداد .

- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه نعيم زرزور ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثاني ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، بدون تاريخ .

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي المعروف بأبي اليُمْن مجير الدين (ت ٩٢٨ هـ) : الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

- عبد السميع سالم الهراوي : الصهيونية بين الدين والسياسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

- عبد الشكور محمد أمان العروسي : " بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء " ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- عبد العزيز برهام : " قصة بني إسرائيل كما يرويها الكتاب المقدس " ، مجلة كلية الآداب ، المجلد الحادي عشر ، جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية، ١٩٥٧م، ص ٨٩ - ص ١١٧ .

- الدكتور عبد العزيز صالح : الأسرة في المجتمع المصري القديم ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

- الدكتور عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

- الدكتور عبد العزيز صالح : دراسات في التاريخ الحضاري لمصر القديمة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- الدكتور عبد العزيز صالح : " شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة " ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول، وزارة الإعلام، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٩٣ - ص ٣٢٢ .

- الدكتور عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

الدكتور عبد العزيز صالح : " الوحدانية في مصر القديمة " ، مجلة المجلة ، العدد الحادي والثلاثون ، السنة الثالثة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ١١ - ص ٢٢ .

- عبد القدوس الأنصاري : " جلاء صفحة غامضة من تاريخنا القديم " ، مجلة المنهل، المجلد السابع والعشرون ، الجزء الثاني عشر ، السنة الثانية والثلاثون، جدة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ١٣٨١ - ص ١٣٩٢ .

- الدكتور عبد المحسن الخشّاب : تاريخ اليهود القديم بمصر ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِميري المعافري (ت فيما بين ٢١٣هـ-٢١٨هـ): السيرة النبوية ، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السّقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، القسم الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول - النظم الاجتماعية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ١٠٩ - ص ١٣٣ .

- الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ٣٥٣ - ص ٣٨٥ .

- الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد : " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٣٩ - ص ٥٤ .

- الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد : حضارة مصر الفرعونية ، الجزء الأول ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ م .

- عبده مباشر ، وإسلام توفيق: سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م .

- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

- عفيف عبد الفتاح طبارة : اليهود في القرآن ، الطبعة التاسعة ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) : الكامل في التاريخ ، عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن حُمَيِّر (ت بعد ٥٤٠ هـ) : تنزيه الأنبياء عمّا نَسَبَ إليهم حُثالة الأغبياء ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الدّاية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

- الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

- الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) : الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر ، والدكتور عبد الرحمن عُميره ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، شركة مكتبات عكاظ ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- عماد عبد الحميد النجار : التطور التاريخي لبني إسرائيل ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

- الدكتور عمر محمد صبحي عبد الحي: الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم- بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

- غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب المطي المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ) : تاريخ مختصر الدول ، وقف على تصحيحه وفهرسته الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- غطاس عبد الملك الخشبة : رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دار الهلال، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

- الدكتور فاضل عبد الواحد علي ، وآخرون : العراق في التاريخ - العراق القديم- حضارة بلاد الرافدين أصالتها وتأثيرها في بلدان الشرق الأدنى القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٦٩ - ص ٢٩٠ .

- فراس السواح : آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي ، الطبعة الأولى ، دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٥ م .

- فراس السواح : الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، بدون تاريخ .

- الدكتور فضل حسن عباس : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان ، عمّان ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الدكتور فؤاد حسنين علي : إسرائيل عبر التاريخ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- الدكتور فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

- الدكتور فؤاد حسنين علي : فلسطين العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

- الدكتور فواز أحمد طوقان : " مسلة مشيع ملك مؤاب " ، حولية مديرية الآثار العامة، العدد الخامس عشر ، عمّان ، ١٩٧٠م، ص ١٩ - ص ٥١ .

- الدكتور فواز أحمد طوقان : " المؤابيون شعبٌ ثار على الإحتلال " ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد التاسع والعشرون ، السنة الثالثة ، دار النشر العربية، بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- الدكتور فيليب حتي : خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

- الدكتور كامل سعفان : اليهود تاريخ وعقيدة ، الطبعة الثانية ، دار الإعتصام، القاهرة، ١٩٨٨ م .

- الشيخ كمال أحمد عون : اليهود من كتابهم المقدس ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- لبيب عبد الساتر : الحضارات ، الطبعة الرابعة عشرة ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

- الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ م .

- الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى : " الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٩١ - ص ١٠٣ .

- لويس مخلوف : الأردن تاريخ وحضارة آثار ، الطبعة الأولى ، المطبعة الإقتصادية ، عمّان ، ١٩٨٣ م .

- الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه (ت ١٧٩ هـ) : موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى ابن يحيى الليثي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

- المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) : منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- مجلة المقتطف ، الجامعة الأميريكية ، بيروت :

المجلد الحادي والثلاثون ، الجزء السابع ، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، ص ٥٣٧ - ص ٥٤٠ .

المجلد لتاسع والثلاثون ، الجزء الثاني ، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

المجلد الثالث والستون ، الجزء الأول ، ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م ، ص١٠٢ .

- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط . بإخراج الدكتور إبراهيم أنيس ، وعطية الصواحي ، والدكتور عبد الحليم منتصر ، ومحمد خلف الله أحمد ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

- الإمام محمد أبو زهـرة : مقارنـات الأديـان - الديانـات القديمـة ، دار الفكـر العربـي ، القاهرة ، ١٩٩١ م .

- الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور : المـدن الفينيقيـة ، دار النهضـة العربيـة ، بـيروت ، ١٩٨١ م .

- الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجـيء الاسـكندر ، الطبعـة الثالثـة ، دار النهضـــة العربيـــة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- الدكتور محمد أبـو المحاسـن عصفـور : معـالم حضـارات الشـرق الأدنـى القديـم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م .

- الدكتور محمد أبو النور الحديدي : عصمة الأنبيـاء والـرد علـى الشُّبه الموجهـة إليهـم، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

- الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن أبي عيسـى المديـني الأصفهـاني (ت ٥٨١ هـ) : المجموع المغيث في غريبـي القرآن والحديث ، تحقيق عبد الكريـم العزباوي ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، مركز البحـث العلمـي وإحياء الـتراث الإسـلامي، جامعـة أم القـرى ، مكـة المكرمـة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- الإمام الحافظ محمد بن أبـي بكـر الشـهير بـابن قيـم الجوزيـة (ت ٧٥١ هـ) : إغاثـة اللهفان من مصـايد الشـيطان ، تحقيـق وتصحيـح وتعليـق محمـد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) : الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م .

- أبو الريحان محمد بن أحمـد البـيروني الخوارزمـي (ت ٤٤٠ هـ) : الآثـار الباقيـة عـن القرون الخالية ، تحقيق . C . Eduard S ، ليـبزغ ، ١٩٢٣ م ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ، بغداد .

- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : تذكرة الحفاظ ، الطبعة الثالثة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ، صوّرته ونشرته في طبعته الثالثة دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- محمد أحمد العدوي : دعوة الرسل إلى الله تعالى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

الدكتور محمد أحمد محمود حسن : مصر والعرب وإسرائيل في الكتب المقدسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

- الدكتور محمد إسماعيل علي : " الأصول العربية لفلسطين : الإسرائيليون .. أين وكيف ظهروا ؟ " ، مجلة الفيصل ، العدد مائة واثنان وستون، السنة الرابعة عشرة، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٤٠ - ص ٤٢ .

- محمد الأمين خلفة : كل الحقيقة عن تاريخ إسرائيل ، تونس ، ١٩٨٢ م .

- محمد بدر : الكنز في قواعد اللغة العبرية ، المطبعة التجارية الكبرى بعابدين ، القاهرة ، ١٩٢٦ م .

- الدكتور محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٧) إسرائيل - الكتاب الأول - التاريخ ، الاسكندرية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- الدكتور محمد بيومي مهران : " دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد السادس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ٢٩٧ - ص ٤٣٧ .

- الدكتور محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

- الدكتور محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٥) الحضارة المصرية القديمة ، الجزء الثاني ، الطبعة الرابعة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- الدكتور محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٣) مصر، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م .

- الإمام محمد بن جرير لطبري (ت ٣١٠ هـ): تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، دار سويدان ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، حقّقه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ م .

- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، حقّقه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر ، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، الجزء الثامن ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١ م .

- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، حقّقه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر ، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، الجزء الثالث عشر ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٨ م .

- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، حقّقه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر ، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر ، الجزء السادس عشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ م .

- الدكتور محمد جمال الدين مختار، وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني، المجلد الأول - لمحة في تاريخ مصر السياسي والحضاري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٩٢ - ص ١٠٨ .

- أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد (ت ٣٢١ هـ) : الإشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

الدكتور محمد خليفة حسن أحمد : " التاريخ العبري القديم : رؤية نقدية عامة " ، مجلة الفيصل ، العدد الثمانون ، السنة السابعة، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٤٦ - ص ٤٩ .

- الدكتور محمد خليفة حسن أحمد : دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

- محمد خير عدوي : " العبرة من قصة موسى في القرآن الكريم " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، فرع الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- الشيخ محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م - ١٩٧٣ م .

- محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة ، الطبعة السابعة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- محمد سلامة النحال : جغرافية فلسطين ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

- الدكتور محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، الطبعة الأولى ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الدكتور محمد السيد غلاب : " الهجرات البشرية الكبرى " ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد السادس ، جامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٤٨٧ - ص ٥٠٥ .

- محمد شفيق غربال ، وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي : اليهودية والمسيحية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

- الدكتور محمد الطيب النجار : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- الدكتور محمد عبد السلام منصور : " الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة الفلسطينيين إلى أرض فلسطين " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث والأربعون ، السنة السادسة عشرة ، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ، بغداد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ١٦٩ - ص ١٧٨ .

- الدكتور محمد عبد القادر محمد : الساميون في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

- الدكتور محمد عبد القادر محمد : " العلاقات المصرية العربية في العصور القديمة : مصادر ودراسات " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، جامعة الملك سعود ، الرياض، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٣ - ص ٣٨ .

- محمد عبد المقصود عبد الرحيم ، وأشرف عبد المقصود عبد الرحيم ، وغريب علي إبراهيم : " مناطق آثار شمال سيناء وأحدث الإكتشافات الأثرية " ، مجلة الفيصل ، العدد السابع والتسعون ، السنة التاسعة ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٠٥ - ص ١١٢ .

- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٧٢٧ هـ): كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

- محمد العزب موسى : " موسى في سيناء " ، مجلة الهلال ، العدد السادس ، السنة التاسعة والسبعون ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ٦٣ - ص ٧٥ .

- محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا وبيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار ، الجزئين الثاني والرابع ، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا وبيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

- الشيخ محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

- محمد بن عمر بن حسين الملقب بالإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : التفسير الكبير ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

- محمد بن عمر بن حسين الملقب بالإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) : قصة السحر والسحرة في القرآن الكريم، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- الدكتور محمد فتح الله بدران : الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن ، الطبعة الثانية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- محمد فؤاد عبد الباقي : لمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، المكتبة الإسلامية، استمبول ، ١٩٨٤ م .

محمد كمال صدقي : معجم المصطلحات الأثرية ، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، الطبعة الرابعة ، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

- محمد محمد شُرَّاب : معجم بلدان فلسطين ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- الإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ) : لسان العرب ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

- محمد ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الرابع ، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية ، والدار السلفية ، عمان والكويت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- محمد ناصر الدين الألباني : صحيح " الجامع الصغير وزيادته " (الفتح الكبير) ، المجلد الخامس ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ودمشق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- محمد ندا : جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- الدكتور محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة أضواء جديدة (١٩٥٢ م - ١٩٧٧ م) ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٨ م .

الدكتور محمود أبو طالب : " هل جاءت التوراة من جزيرة العرب ؟ " ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان السابع والعشرون ، والثامن والعشرون ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٨٧ م ، ص ١٣١ - ص ١٤٤ .

محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، الكتاب الأول - قبل البعثة ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ودمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- محمود العابدي : قدسنا ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- الدكتور محمود عبد الحميد أحمد : الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام إلى مصر ، الطبعة الأولى ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ م .

- محمود محمد عمارة : اليهود في الكتب المقدسة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

- محمود نعناعة : المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- الدكتور مراد كامل : إسرائيل في التوراة والإنجيل ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

- الدكتور مصطفى كمال عبد العليم ، ولدكتور سيد فرج راشد : اليهود في العالم القديم ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، والدار الشامية ، دمشق وبيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

- الدكتور مصطفى محمد الأمير : " الامبراطوريات القديمة في افريقيا وآسيا " ، موسوعة تاريخ العالم لوليام لانجر ، أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٥ - ص ١٠٩ .

- الدكتور معاوية إبراهيم: " أضواء على المكتشفات الأثرية في دير علا "، مجلة اليرموك ، العدد الحادي عشر ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٨ - ص ٣٢ .

- الدكتور معاوية إبراهيم : " التنقيبات الأثرية في دير علا " ، مجلة اليرموك ، العدد السادس ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٩ - ص ٤٣ .

- الدكتور معاوية إبراهيم : " الممالك الآرامية في الأردن " ، مجلة اليرموك ، العدد الثامن عشر ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، ١٩٨٦ م ، ص ١٦ - ص ٢١ .

- ناشد سبفين : " أثر الأساطير في قصة خروج بني إسرائيل " ، مجلة المقتطف ، المجلد الحادي والثمانون ، الجزء الثالث ، مصر ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ، ص ٢٩٦ - ص ٣٠٠ .

- الدكتور ناصر عبد الله الصالح ، والدكتور محمد محمود السرياني ، والدكتور معراج نواب مرزا : " المواقع في القرآن الكريم " ، بحث غير منشور ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الجغرافيا ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ .

- الدكتورة نبيلة محمد عبد الحليم : مصر القديمة تاريخها وحضارتها ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٨ م .

- الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث - الشرق الأدنى القديم - سورية ، الطبعة الثالثة، دار المعارف، الاسكندرية ، ١٩٦٦ م .

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- نسيب وهيبة الخازن : من الساميين إلى العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٦٢م .

- نعوم بك شقير : تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- هارفي بورتر : موسوعة مختصر التاريخ القديم ، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- وزارة الثقافة والإرشاد القومي : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، المجلد الأول ، تأليف نخبة من العلماء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

- وليم مارش : كتاب السَّنَن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، الجزء الأول والثاني ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

- ياسمين زهران : أصداء من تاريخ الأردن ، دار الكتب ، عمان ، بدون تاريخ .

- الشيخ الإمام شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان ، دار صادر ، ودار بيروت لطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- الإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) : صحيح مسلم بشرح النووي ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

- يعقوب كامل الدجاني ، ومصطفى درويش عادي ، وفاروق عبد الحليم بدران ، ومحمد عبد الغني المصري : موسوعة الوطن العربي للناشئين - بلاد الشام - جنوب بلاد الشام (فلسطين والأردن) ، القسم الأول - البلدانيات ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٠ م .

- يوسف الدبس : من تاريخ سورية الدنيوي والديني، المجلد الثاني ، بيروت، ١٨٩٣م .

- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ (ت ٤٦٣ هـ) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القسم الثاني ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع المترجمة إلى اللغة العربية :

- أبو الأعلى المودودي : فرعون في القرآن ، ترجمة وتعليق أحمد إدريس ، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

- أدولف إرمان ، وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمه وراجعه الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

- الأستاذ أستينذُرْف الألماني : ديانة قدماء المصريين ، ترجمة سليم حسن، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٢٣ م .

- أفرايم ومناحِم تلمي : معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة أحمد بركات العجرمي ، الطبعة الأولى ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمّان ، ١٩٨٨ م .

- ألن جاردنر : مصر الفراعنة ، ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم ، مراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

- ألويس موسل : شمال بلاد العرب (١) شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ، مطابع رمسيس ، الاسكندرية ، ١٩٥٢ م .

- أندريه إيمار ، جانين أوبوايه : تاريخ الحضارات العام ، ترجمة فريد م. داغر ، فؤاد ج. أبو ريحان ، إشراف موريس كروزيه ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ، وباريس ، ١٩٨٦ م .

- أنطون مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعريب توفيق سليمان ، وعلي أبو عساف ، وقاسم طوير ، القسم الثاني ، مكان الطبع مجهول ، ١٩٥٠ م .

- توماس ل. طومسون : التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، ترجمة صالح علي سوداح ، الطبعة الأولى ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

- تيودور هـ . روبنسن : " إسرائيل في ضوء التاريخ " ، ترجمة عبد الحميد يونس ، مراجعة إبراهيم زكي خورشيد ، مقال نشره السير جون . أ. هامرتن : تاريخ العالم ، ترجمته إلى العربية إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، المجلد الثاني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الفصل السابع والعشرون ، ص ١٠٢ - ص ١٢٧ .

- جان فركوتر : مصر القديمة ، ترجمة إلياس الحايك ، فرنسا ، ١٩٧٢ م .

- جان يويوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، راجعه الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- جورج كونتنو : المدنيات القديمة في الشرق الأدنى ، ترجمة منزي شماس ، المنشورات العربية ، بيروت ، بدون تاريخ .

- جون ولسون : الحضارة المصرية، ترجمة الدكتور أحمد فخري ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

- جيمس بيكي : الآثار المصرية في وادي النيل ، ترجمة نبيب حبشي ، وشفيق فريد، راجعه الدكتور محمد جمال الدين الشيال ، الجزء الأول ، دار الكرنك ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

- جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم ، ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ، مراجعة الدكتور حسن ظاظا ، الجزء الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

- جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) ، ترجمة الدكتور أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- جيمس هنري برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة الدكتور حسن كمال ، راجعه وصححه محمد حسنين الغمراوي بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

- جيمس هنري برستد : تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، ترجمة زكي سوس ، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

- جيمس هنري برستد : العصور القديمة ، ترجمة داود قربان ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- جيمس هنري برستد : فجر الضمير ، ترجمة الدكتور سليم حسن ، مراجعة عمر الاسكندري ، وعلي أدهم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

- دي بوا - إيميه : كيف خرج اليهود من مصر القديمة ، ترجمة زهير الشايب ، مكان الطبع مجهول ، ١٩٩١ م .

- ديتلف نيلسن ، فرتزهومل ، ل. رودوكاناكيس ، أدولف جرومان : التاريخ العربي القديم ، ترجمه واستكمله الدكتور فؤاد حسنين علي ، راجع الترجمة الدكتور زكي محمد حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

- روجيه جارودي : ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية ، أشرف على الترجمة الدكتور مصطفى كامل فودة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، بيروت ، والقاهرة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- الدكتور روهلنج : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ، قدم له مصطفى أحمد الزرقا ، والدكتور حسن ظاظا ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، ودارة العلوم ، دمشق وبيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

- سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور لسيد يعقوب بكر ، راجعه الدكتور محمد القصاص ، دار الرقي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

- سيجموند فرويد : النبي موسى ورسالة التوحيد ، ترجمة ودراسة عبد المنعم الحفني ، الطبعة الأولى ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

- سيريل ألدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، ترجمة وتحقيق مختار السويفي ، مراجعة وتقديم الدكتور أحمد قدري ، الطبعة الثالثة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

- الدكتور غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

فان زايل : المؤابيون ، تعريب وإعداد الدكتور خير ثمر ياسين ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، ١٩٩٠ م .

- فردريك ج. بيك : تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، تعريب بهاء الدين طوقان ، الجزء الأول ، القدس ، بدون تاريخ .

- فلندرز م. بتري : " خروج بني إسرائيل من مصر " ، مجلة المقتطف ، المجلد الحادي والثلاثون ، الجزء السابع ، لجامعة الأميريكية ، بيروت ، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، ص ٥٣٧ - ص ٥٤٠ .

- الدكتور فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة الدكتور جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، أشرف على مراجعته وتحريره الدكتور جبرائيل جبور ، الجزء الأول ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٨٢م .

- كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- لانكستر هاردنج : آثار الأردن ، تعريب سليمان موسى ، الطبعة الثالثة ، وزارة السياحة والآثار ، عمّان ، ١٩٨٢ م .

- ل. همفري والز ، والدكتور وليام ف. ستينسبرنج ، والدكتور ألفريد جيلوم ، وآخرون : إسرائيل في الكتاب المقدس ، ترجمة حسني خشبة ، مراجعة وتقديم إسحاق موسى الحسيني ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة الشيخ حسن خالد ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ودمشق ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

- نيقولا جريمال : تاريخ مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتي ، مراجعة زكية طبوزاده ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

- هنري فرانكفورت ، هـ. أ. فرانكفورت ، جون. أ. ولسُن ، ثوركيلد جاكوبسن: ما قبل الفلسفة،الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، مراجعة الدكتور محمود الأمين ، دار مكتبة احياة (فرع بغداد) ، بغداد ، بدون تاريخ .

- واليس بدج : الديانة الفرعونية ، ترجمة نهاد خياطة ، الطبعة الثانية ، دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٣ م .

- ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م .

- و. لوريتس : " هل للعبرانيين وجود في إبلا ؟ " ، ترجمة قاسم طوير ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان السابع والعشرون ، والثامن والعشرون ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، جامعة دمشق ، دمشق ، ١٩٨٧ م ، ص ١٢٣ - ص ١٣٠ .

ثالثاً - المراجع الأجنبية :

- Abu - Qorah , O . , " Astructural Comparison of the Hebrew Conquest and the Arab Conquest of Southern Syria : Trans - Jordan and Palestine " , Dissertation , Published , University of California , Los Angeles , 1989 .

- Ahlstrom , G . W . , and Edelman , D . , " Merneptah's Israel " , JNES , Vol . 44 , Number 1 , 1985 , PP. 59 - 61 .

- Albright , W . F . , " Akkadian Letters - The Amarna Letters " , ANET , PP. 482 - 490 .

- Albright , W . F . , From the Stone Age to Christianity , Second Edition , Doubleday Anchor Books , New York , 1957 .

- Albright , W , F . , " Palestinian Inscriptions - The Lachish Ostraca " , ANET , PP. 321 - 322 .

- Albright , W . F . , " Palestinian Inscriptions - The Moabite Stone " , ANET , PP. 320 - 321 .

- Albright , W . F . , " The Amarna Letters From Palestine " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 98 - 116 .

- Aldred , C . , " Egypt : The Amarna Period and the End of the Eighteenth Dynasty " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 49 - 97 .

- Anderson , B . W . , The Living World of the Old Testament , First Edition , Longmans , Green and Co . , London , 1958 .

- Anderson , G . W . , The History and Religion of Israel , Oxford University Press , Oxford , 1976 .

- Barnett , R . D . , " The Sea Peoples " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 359 - 378 .

- Bartlett , J . R . , Edom and the Edomites , England , Sheffield , 1989 .

- Bartlett , J . R . , " The Rise and Fall of the Kingdom of Edom " , PEQ , One hundred and Fourth Year , 1972 , PP. 26 - 37 .

- Bennett , C . M . , " Excavations at Buseirah (Biblical Bozrah) " , In Midian , Moab and Edom , the History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia , Edited by Sawyer , J . F . A . , and Clines , D . J . A . , JSOT Press , Sheffield , 1983 , PP. 9 - 17 .

- Bernstein , B . , Sinai the Great and Terrible Wilderness , First Published , The Viking Press , New York , 1979 .

- Bimson , J . J . , Redating the Exodus and Conquest , The Almond Press , Sheffield , 1981

- Bowden , J . , What about the Old Testament ? , SCM Press Ltd , London , 1972 .

- Cerny , J . , " Egypt : From the Death of Ramesses III to the End of the Twenty - First Dynasty " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 606 - 657 .

- Cohen , S . , " Edom " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol . 2 , Edited by Buttrick , G. A ., Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , PP. 24 - 26 .

- Cook , S A , " Edomites " , In Encyclopaedia of Religion and Ethics , Vol . V , Edited by James Hastings , Edinburgh : T & T . Clark , New York : Charles Scribner's Sons , 1974 , PP. 162 - 166 .

- Cook , S . A . , " Israel and the Neighbouring States " , CAH , Vol . III , 1976 , PP. 354 - 387

- Cook , S . A . , " Israel befor The Prophets " , CAH , Vol . III , 1976 , PP. 416 - 457 .

- Cook , S . A . , " The Rise of Israel " , CAH , Vol . II , 1940 , PP. 352 - 368 .

- Drower , M . S . , " (b) Ugarit " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 ,

PP. 130 - 160 .

- Eissfeldt , O . , " Palestine in the Time of the Nineteenth Dynasty - (a) The Exodus and Wanderings " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 307 - 330 .

- Eissfeldt, O . , " The Hebrew Kingdom ", CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 537 - 605 .

- Faulkner , R . O . , " Egypt : From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 217 - 251 .

- Finegan , J . , Light From the Ancient Past , The Archeological Background of Judaism and Christianity , Princeton University Press , Princeton , New Jersey , 1969 .

- Franken , H . J . , " Palestine in the Time of the Nineteenth Daynasty - (b) Archaeological Evidence " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 331 - 337 .

- Gardiner , A . H . , Ancient Egyptian Onomastica , Vol . I, II , Oxford University Press , Amen House , Oxford , 1947

- Gardiner , A . H . , Egyptian Grammar Being An Introduction to the Study of Hieroglyphs , Third Edition , Griffith Institute , Ashmolean Museum , Oxford , 1976 .

- Gardiner , A . H . , Egypt of the Pharaohs , Oxford University Press , New York , 1972 .

- Gardiner , A . H . , The Kadesh Inscriptions of Ramesses II , Griffith Institute , Ashmolean Museum , Oxford , 1975 .

- Ginsberg , H . L . , " Ugaritic Myths , Epics , and Legends " , ANET , PP. 149 - 155 .

- Ginsburg , C . D . , The Moabite Stone ; Afac - Simile of the Original Inscription , Second Edition , Reeves and Turner , London , 1872 .

- Goetze , A . , " Egyptian and Hittite Treaties - Hittite Treaties ", ANET , PP. 201 - 203 .

- Goetze , A . , " The Hittites and Syria (1300 - 1200 B . C) " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 252 - 273 .

- Greenberg , M . , " The Redaction of the Plague Narrative in Exodus " , In Near Eastern Studies in Honor of William Foxwell Albright , Edited by Hans Goedicke , The John Hopkins Press , Paltimore and London , 1971 , PP. 243 - 252 .

- Grohman , E . D . , " Moab " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol . 3 , Edited by Buttrick , G . A , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , PP. 409 - 419 .

- Guthrie , W . K . C . , " The Religion and Mythology of the Greeks " , CAH , Vol . II , Part 2 , 1975 , PP. 851 - 905 .

- Gwyn , G . J . , " The Egyptian Derivation of the Name Moses " , JNES , Vol . 12 , 1953 , PP. 225 - 231 .

- Hogarth , D . G . , " The Hittites of Syria " , CAH , Vol . III , 1976 , PP. 132 - 147 .

- Horn , S . H . , " Excavating Biblical Heshbon " , In Review and Herald , December 30 , 1971 , PP. 4 - 6 .

- Ibrahim . M . M . , " The Collard - Rim Jar of the Early Iron Age " , In Archaeology in the Levant , Essays for Kenyon , K . , Edited by Roger Moorey and Peter Parr , Aris and Phillips LTD, Warminster, England , 1978 , PP. 117 - 126 .

- Johnson , P . , The Civilization of Ancient Egypt , Weidenfeld and Nicolson , London , 1978 .

- Kapelrud , A . S . , Israel From the Earliest Times to the Birth of Christ , Translated by Moe , J . M . , Oxford , 1966 .

- Kennett , R . H . , " Israel " , In Encyclopaedia of Religion and Ethics , Vol . VII , Edited by James Hastings , Edinburgh : T . & T . Clark , New York : Charles Scribner's Sons , 1974 , PP. 439 - 456 .

- Kennett , R . H . , " Moab " , In Encyclopaedia of Religion and Ethics , Vol . VIII , Edited by James Hastings , Edinburgh : T . & T . Clark , New York : Charles Scribner's Sons , 1974 , PP. 759 - 761 .

- Kenyon , K . M . , Archaeology in the Holy Land , Ernest Benn Limited , London , 1960 .

- Kirwan , L . P . , " Where to Search for the Ancient Port of Leuke Kome " , In Studies in the History of Arabia , Vol . II . Pre - Islamic Arabia, King Saud University Press , Riyadh , 1984 , PP. 55 - 61 .

- Knauf , E . A . , " Midianites and Ishmaelites " , In Midian , Moab and Edom , the History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia , Edited by Sawyer , J . F . A . and Clines , D . J . A . , JSOT Press , Sheffield , 1983 , PP. 147 - 162 .

- Lambdin , T . O . , " Egyptian Loan Words in the Old Testament " , JAOS , Vol . 73 , 1953 , PP . 145 - 155 .

- Lambdin , T . O . , " Migdol " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol . 3 , Edited by Buttrick , G . A . , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , P . 377 .

- Landes , G . M . , " Midian " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol . 3 , Edited by Buttrick , G . A . , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , PP. 375 - 376 .

- Lods , A . , Israel From Its Beginnings to the Middle of the Eighth Century , Routledge & Kegan Paul , London , 1962 .

- Luckenbill , D . D . , Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol . I , II , Green Wood Press , New York , 1968 .

- Mendenhall , G . E . , " Qurayya and the Midianites " , In Studies in the History of Arabia , Vol . II , Pre - Islamic Arabia , King Saud University Press, Riyadh, 1984 , PP. 137 - 145 .

- Miller , J . M . , " Recent Archaeological Developments Relevant to Ancient Moab " , In Studies in the History and Archaeology of Jordan , Vol . I , Edited by Adnan Hadidi , Department of Antiquities of Jordan , Amman , Jordan , 1982 , PP. 169 - 173 .

- Nadvi , S . M . , Ageographical History of The Quran , Vol . I , Ashraf Press , Lahore , Pakistan , 1974 .

- Noth , M . , The History of Israel , SCM Press , London , 1983 .

- Oppenheim , A . L . , " Babylonian and Assyrian Historical Texts - Texts From Hammurabi to the Downfall of the Assyrian Empire " , ANET , PP. 269 - 301 .

- Oren , E . D . , " Migdol : Anew Fortress on the Edge of the Eastern Nile Delta " , BASOR , Number 256 , 1984 , PP. 7 - 44 .

- Payne , E . J . , " The Midianite Arc in Joshua and Judges " , In Midian , Moab and Edom , the History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia , Edited by Sawyer , J . F . A . and Clines , D . J . A ., JSOT Press, Sheffield , 1983 , PP. 163 - 172 .

- Pfeiffer , R . H . , " Fables and Didactic Tales - Akkadian Fable " , ANET , PP. 410 - 411 .

- Reiner , E . , " Akkadian Treaties From Syria and Assyria - Treaty of Esarhaddon with Baal of Tyre " , ANET , PP. 533 - 534 .

- Rowton , M . B . , " Dimorphic Structure and the Problem of the Apiru - Ibrim ", JNES , Vol . 35 , Number 1 , 1976 , PP. 13 - 20 .

- Sarna , N . M . , Exploring Exodus , The Heritage of Biblical Israel , Schocken Books , New York , 1989 .

- Sawyer , J . F . A . , and Clines , D . J . A . (Editor) , Midian , Moab and Edom , The History and Archaeology of Late Bronze and Iron Age Jordan and North - West Arabia, JSOT Press , Sheffield , 1983 .

- Singer , I . , " Merneptah's Campaign to Canaan and the Egyptian Occupation of the Southern Coastal Plain of Palestine in the Ramesside Period " , BASOR , Number 269 , 1988 , PP. 1 - 10 .

- Smith , G . A . , The Historical Geography of the Holy Land , Twenty - Third Edition, Hodder and Stoughton Limited , London .

- Speiser , E . A ., " Akkadian Myths and Epics - The Legend of Sargon ", ANET , P . 119 .

- Stubbings , F . H ., " The Recession of Mycenaean Civilization ", CAH , Vol . II ., Part 2 , 1975 , PP. 338 - 358 .

- The Holy Bible , Containing the Old and New Testament , King James Version, American Bible Society , New York , 1988 .

- Towers , J . R . , " The Red Sea " , JNES , Vol . 18 , 1959 , PP. 150 - 153 .

- Weippert , M . , " Remarks on the History of Settlement in Southern Jordan During the Early Iron Age " , In Studies in the History and Archaeology of Jordan , Vol . I , Edited by Adnan Hadidi , Department of Antiquities , Amman , Jordan , 1982 , PP. 153 - 162 .

- Wilson , J . A . , " An Egyptian Letter " , ANET , PP. 475 - 479 .

- Wilson , J . A . , " Documents From the Practice of Law - The Vizier of Egypt " , ANET , PP. 212 - 213 .

- Wilson , J . A . , " Egyptian and Hittite Treaties - Egyptian Treaty " , ANET , PP. 199 - 201 .

- Wilson , J . A . , " Egyptian Historical Texts " , ANET , PP. 227 - 264 .

- Wilson , J . A . , " Egyptian Hymns and Prayers - From Amen - hotep III's Building Inscription " , ANET , PP. 375 - 376 .

- Wilson , J . A . , " Egyptian Hymns and Prayers - Hymn of Victory of Mer - ne - Ptah (The " Israel Stela ") " , ANET , PP. 376 - 378 .

- Wilson, J. A ., " Egyptian Hymns and Prayers - The Hymn to the Aton ", ANET , PP. 369 - 371 .

- Wilson , J . A . , " Egyptian Oracles and Prophecies ", ANET, PP. 441 - 449 .

- Wilson , J . A . , " Egyptian Rituals and Incantations - The Execration of Asiatic Princes " , ANET , PP. 328 - 329 .

- Wright , G . E . , " Book of Exodus " , In The Interpreter's Dictionary of the Bible , Vol . 2 , Edited by Buttrick , G . A . , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , PP. 188 - 197 .

- Wright , G . E . , " Route of Exodus " , In The Interpreter's Dictionary of Bible , Vol . 2 , Edited by Buttrick , G . A . , Abingdon Press , Nashville , New York , 1962 , PP. 197 - 199 .